الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة البليدة 2 لونيسي علي

مخبر اللغة العربية وآدابها

مجلة مخبر اللغة العربية وآدابها في

الصوتيات

مجلة علمية دولية محكمة

المجلد العشرون (**20**) العدد الثاني (**02**) شعبان 1439 . أفريل 2018

ISSN : **1112 - 6426**

مجلة مخبر اللغة العربية وآدابها في

الصوتيات

المجلد العشرون (**20**) العدد الثاني (**02**) شعبان 1439 أفريل 2018

رئيس التحرير

أ.د عمار ساسي

مدير المخبر

هيئة التحرير

أ.موسى دريهم **د. عواطف قاسمي الحسني**

سكرتير التحرير

كمال حسايني

الهيئة الاستشارية العلمية للمجلة

- أ.د/ عبد الرحمان الحاج صالح – الجزائر 2.
- أ.د/ عمر لحسن – عنابة.
-أ.د/ محمد العيد رتيمة – الجزائر2 .
-أ.د/ نصرالدين بوحساين – البليدة 2
-أ.د/ بوعبدالله لعبيدي – البليدة 2.
-أ.د/ عبد العزيز محي الدين – البليـدة 2
-أ.د/ مكي دّرار – وهران .
-أ.د/ نادية صام - البليدة 2
- أ.د/ جيلالي بن يشو – مستغانم.
-أ.د/ نعيمة بوزيدي – البليدة 2
-أ.د/ يحي بعيطيش – قسنطينة.
- أ.د/ ناصر الدين خليل – وهران .
-أ.د/ عبد الحفيظ ملواني – البليدة 2
-أ.د/ يوسف مقران – تيبازة
- أ.د/ جمال معتوق – البليدة 2.
-د/ علي حميداتو – البليدة 2
-د/ سيد على صحراوي – البليدة 2.

- أ.د/ فهد بن مسعد بن محمد اللّهيبي – السعودية
- أ.د/ أحمد نعيمي – الأردن
– أ.د/ محمد لهلال - المغرب
أ.د/ فيصل حسين غوادرة – فلسطين
- أ.د/ عمر إسحاق أوغلو – تركيا.
- أ.د/ خلف الخريشة – الأردن .
- أ.د/ الطيب بوقرة – فرنسا .
- أ.د/ عبد الرزاق بن عمر – تونس
-أ.د/ عبد الغاني أبوالعزم – المغرب.
- أ.د/ هادي نهر - الأردن.
- أ.د/ خالد يعبودي - المغرب
- أ.د/ محمد لهلال - المغرب

التدقيق اللغوي

بن شرقي عتابي

ترسل البحوث إلى مجلة **الصوتيات** .البوابة الجزائرية للمجلات العلمية

https://www.asjp.cerist.dz

قواعد النشر العلمي في مجلة الصوتيات

التي تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها بجامعة البليدة2

تنشر المجلة مختلف الإسهامات البحثية لجميع الأكاديميين وأساتذة الجامعات والباحثين المتخصصين في مجالات اللّغة العربية وآدابها واللّغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والاسبانية) والعلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية والسياسية والعلوم الإقتصادية والتسيير، على أن تتوفر الشروط التالية في البحث أو الدراسة:

- لا يكون البحث المقدم للنشر قد نشر أو قدم للنشر في مجلات أو دوريات أخرى أو قدم و نشر في دوريات لمؤتمرات أو ندوات (يقدم الباحث تعهد مكتوب يؤكد فيه ذلك).
- تختصر المادة العلمية المكتوبة فيه قدر المكان بحيث تقدم معلومات مفيدة، ومركزة.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنَحوية والإملائيَّة.
- أن يكون البحث مطبوعا على برنامج الوورد (Word Doc.) ،
- تقع المسئولية على صاحب البحث في الحصول على تصريح باستخدام مادة علمية لها حق الطبع، وهذا يشمل النسخ المصورة من مواد نشرها من قبل.
- لا يزيد حجم الصور عن 20% من حجم البحث، و تقدم في ملف منفصل عند تقديم البحث للنشر.
- يُذكر مرة واحدة في البحث المصطلح العلمي باللغة العربية وبجانبه المصطلح باللغة الإنجليزية أو الفرنسية عند وروده أول مرة، ويُكتفى بعد ذلك بكتابته باللغة العربية (بالنسبة للبحوث العربية) .
- أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، ويكون مرفقا بتقرير من مدقق لغوي سواء باللغة العربية أو الفرنسية.
- يطلب من الباحث أن يتقيد بترتيب محتوى البحث كالآتي (المقدمة، المشكلة، الأهداف، الأهمية، تحديد مصطلحات الدراسة، حدود الدراسة، الدراسات السابقة، فرضيات الدراسة، إجراءات الدراسة الميدانية: منهج الدراسة، مجتمع الدراسة، عينة الدراسة،أدوات الدراسة،عرض النتائج ، مناقشة وتفسير النتائج ،التوصيات،البحوث المقترحة، الخاتمة، قائمة المراجع، قائمة الملاحق). وهذا في حالة البحوث الميدانية.
- ترقم الجداول والرسوم التوضيحية والأشكال وغيرها حسب ورودها في البحث، كما توثق المنقولة منها بالمصادر الأصلية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث أو الدراسة عن (25) صفحة بما فيها الملاحق والمراجع وضرورة إرسال النسخة الالكترونية على العنوان الالكتروني لرئيس التحرير.

ثانيا: إجراءات تحكيم البحوث:

- يتم إشعار الباحث بإستلام بحثه خلال مدة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ الاستلام.
- تقوم هيئة التحرير باختيار محكمين اثنين للبحث الواحد. وتخضع البحوث للتحكيم السرّي لتحديد صلاحيتها للنشر، ويلتزم الباحث بالأخذ بملاحظات المحكمين.
- بعد قبول البحث للنشر في المجلة، يقدِّم الباحث نسخةً من البحث بشكله النهائي، ويحصل على خطاب بقبول بحثه للنشر في المجلة.

- تعتبر القرارات المتعلقة بالبحوث نهائية، ولا يمكن إعادة النظر فيها.
- عند صدور قرار قبول نشر البحث، لا يحق للباحث أن يقدمه للنشر في أي مكان آخر.
- لا تُعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء قُبِلت للنشر أمْ لمْ تُقبل. وعلى الباحث متابعة بحثه خاصة فيما يتعلق بالتعديلات.
- يصبح البحث المنشور ملكًا للمجلة ولا يحق إعادة نشره في أماكن أخرى .
- تعبر الأفكار المنشورة بالمجلة عن آراء أصحابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر المجلة.

ثالثا: طريقة كتابة الهوامش والمراجع:

- الهوامش العربية

توضع جميع الهوامش بصورة متسلسلة في نهاية الدراسة.

الكتب : إسم المؤلف، عنوان الكتاب (مكان النشر: إسم الناشر، سنة النشر)، رقم الصفحة.

مثال: عبد الحفيظ مقدم، الإحصاء في التربية وعلم النفس، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 1998)، ص 33.

البحوث المنشورة في الكتب: إسم المؤلف، "عنوان البحث "، في: محرر الكتاب، عنوان الكتاب (مكان النشر: اسم الناشر، سنة النشر)، رقم الصفحة.

مثال: صلاح الادين محمود علام، "أساسيات التقويم التربوي" :، في: أحمد عكاشة (محرر)، التقويم في حياتنا اليومية (القاهرة: دار المعرفة للنشر، الطبعة الأولى، 1988)، ص 88-96.

المجلات والدورات العلمية: إسم المؤلف، "عنوان البحث" إسم الدورية، رقم العدد (مكان النشر: إسم الناشر، تاريخ النشر)، رقم الصفحة.

مثال: محمد إبراهيم السقا، "تحولات العمال من الدولة العربية النفطية وخيارات السياسة"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 88 (الكويت: 1999)، ص135.

أوراق العمل المقدمة في المؤتمرات: إسم المؤلف، "عنوان الورقة"، في مؤتمر: عنوان المؤتمر، الجهة المنظمة للمؤتمر، مكان أنعقاده، تاريخ إنعقاده، الصفحة.

مثال: أرسي كلايجوغلو، "السياسة الخارجية التركية والامن الإقليمي والتعاون في الشرق الأوسط" في ندوة: الحوار العربي – التركي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، 18-19 مارس 1996، ص23.

الرسائل الجامعية: إسم المؤلف، "عنوان الرسالة"، طبيعة الرسالة (ماجستير أو دكتورة)، وإذا كانت منشورة أولا، الجامعة المقدمة إليها، مكان الجامعة، السنة الإجازة، الصفحة.

مثال: عبد الوهاب عليلي، "واقع تطبيق التصميم التجريبي في البحوث النفسية" رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البليدة 2، البليدة، الجزائر، 2014، ص10.

الموسوعات : إسم مؤلف البحث المنشور داخل الموسوعة، "عنوان البحث"، في: إسم المشرف على الموسوعة، إسم الموسوعة (مكان النشر: إسم الناشر، سنة النشر)، رقم الصفحة.

مثال: خيرية قاسمية، "المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية" ، في: الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني: الدراسات الخاصة، المجلد الثالث (بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990)، ص751.

التقارير الرسمية: اسم الجهة التي أصدرت التقرير، عنوان التقرير (مكان النشر: تاريخ النشر)، الصفحة.

مثال: صندوق النقد العربي وآخرون، التقرير الإقتصادي العربي الموحد 1997 (أبو ظبي: سبتمبر 1997)، ص100.

الوثائق الرسمية : " إسم الوثيقة"، مصدرها، تاريخها. وإذا تم الإستناد إلى وثيقة رسمية منشورة في كتاب، تجب الإشارة إلى ذلك مع ذكر جميع البيانات التوثيقية للكتاب.

مثال: "الجريدة الرسمية" الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1988،العدد 34، السنة 2013، ص214.

المصادر الإلكترونية: يوثق المرجع المنقول عن شبكة "الإنترنت" بذكر بيانات المرجع كاملة، أن وجدت (إسم المؤلف، وعنوان المرجع، ومكان النشر، ودار النشر، وتاريخ النشر، اليوم، الشهر، السنة)، والرابط أو الصلة الإلكترونية الكاملة على " الإنترنت" URL، وتاريخ زيارة الموقع.

مثال: الأمم المتحدة، تقرير الهجرة الدولية لعام 2002 (نيويورك: منشورات الأمم المتحدة، 12/ مارس،2002)، ص 20؛ في:

(www.org/esa/population/publication/ittmigrep 2002arab.doc. febrruary 5, 2006).

إذا تكرر الإستناد إلى المرجع في البحث، فيذكر في المرة الأولى كاملا، ثم يذكر تاليا كما يلي: إسم المؤلف، الشطر الأساسي من عنوان الكتاب أو البحث، مرجع سابق، رقم الصفحة. وفي حال تكرار الإستناد مباشرة، يذكر كما يلي: المرجع سابق، رقم الصفحة.

- قائمة المصادر والمراجع العربية:

ترتب المراجع إلفبائيا طبقا لأسماء المؤلفين، أو الجهات المسؤولة عن التأليف (البدء بالاسم الأخير للمؤلف). بالنسبة إلى البحوث المنشورة في الكتب، فإنه لا يذكر في قائمة المراجع عناوين تلك البحوث، ولا أسماء مؤلفيها، بل يذكر عنوان الكتاب، واسم محرره. لا توضع أرقام الصفحات للمراجع في قائمة المصادر.

الكتب : الإسم الأخير، الاسم الأول، عنوان الكتاب (مكان النشر: إسم الناشر، سنة النشر).

مثال: عبد الحفيظ مقدم، الإحصاء في التربية وعلم النفس، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، 1998).

الدوريات العلمية: الاسم الأخير، الإسم الأول. "عنوان البحث" اسم الدورية، رقم العدد (مكان النشر: إسم الناشر، تاريخ النشر).

مثال: محمد إبراهيم السقا، "تحولات العمال من الدولة العربية النفطية وخيارات السياسة"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 88 (الكويت: 1999).

الصحف: الاسم الأخير، الاسم الأول . "عنوان المقال أو التقرير" إسم الصحيفة، (مكان النشر: تاريخ النشر).

مثال: عبد الحق درواش، "العرب في الغرب: ثنائية الإندماج والمحافظة على الهوية"، الخبر (الجزائر، 6 مارس 2013).

الرسائل الجامعية : الاسم الأخير، الاسم الأول . "عنوان الرسالة"، طبيعة الرسالة (ماجستير أو دكتورة)، وإذا كانت منشورة أولا، الجامعة المقدمة إليها، مكان الجامعة، السنة الإجازة.

مثال: مثال: عبد الوهاب عليلي، "واقع تطبيق التصميم التجريبي في البحوث النفسية"رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البليدة 2، البليدة، الجزائر، 2014، ص10.

الموسوعات : الاسم الأخير، الاسم الأول . (للمشرف على الموسوعة). اسم الموسوعة (مكان النشر: اسم الناشر، سنة النشر).

مثال: خيرية قاسمية، "المذكرات والسير الذاتية الفلسطينية"، في: الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني: الدراسات الخاصة، المجلد الثالث (بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990).

التقارير الرسمية: اسم الجهة التي أصدرت التقرير، عنوان التقري (مكان النشر: تاريخ النشر).

مثال: صندوق النقد العربي وآخرون، التقرير الإقتصادي العربي الموحد 1997 (أبو ظبي: سبتمبر 1997).

الوثائق الرسمية : "اسم الوثيقة"، مصدرها، تاريخها. وإذا تم الإستناد إلى وثيقة رسمية منشورة في كتاب، تجب الإشارة إلى ذلك مع ذكر جميع البيانات التوثيقية للكتاب.

مثال: "الجريدة الرسمية" الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1988،العدد 34، السنة 2013.

المصادر الإلكترونية: يوثق المرجع المنقول عن شبكة "الإنترنت" بذكر بيانات المرجع كاملة، أن وجدت (إسم المؤلف، وعنوان المرجع، ومكان النشر، ودار النشر، وتاريخ النشر)، والرابط أو الصلة الإلكترونية الكاملة على "الإنترنت" URL.

مثال: الأمم المتحدة، تقرير الهجرة الدولية لعام 2002 (نيويورك: منشورات الأمم المتحدة، 2002)؛ في:

www.org/esa/population/publication/ittmigrep 2002arab.doc

فهرس المجلد 20 العدد 02

	المقال	المؤلف	الصفحة
1	سبل التيسير والتخفيف الصوتي في قراءة القرآن الكريم ظاهرة الإمالة أنموذجا دراسة حول الفائدة والوظيفة الصوتيتين للظاهرة على مستوى نص سورة المائدة	محمد بولخطوط	340-311
2	الجهر و الهمس في عرف الفلاسفة المسلمين ـ ابن سينا أنموذجا ـ	نصيرة شيادي	356-341
3	الحرف الساكن في علم العروض بين المتقدّمين والمحدثين	الهادي عبد الله	368-357
4	أسلوبية البناء الصوتي بين معيارية الطرح وفاعلية التحليل الجمالي	بن شيحة نصيرة	390-369
5	ظاهرة الفصل والوصل في ديوان الحماسة البصرية «دراسة تطبيقية تحليلية	هاشمي إلياس	410-391
6	إِشْكَالِيَّةُ الاسْتِدْرَاكِ عَلَى الخَلِيلِ " بَحْر المُتَدَارَك "	بلال ولجة	424-411
7	تقنية التّعرِيف الصّوريّ في المعجم الوسيط "دراسة إحصائية وصفية تحليلية	ابراهيم بوشاشية	448-425
8	وقـــفات مع بلاغـــة النّـبيّ – صلّى الله عـليه وسلّـم- دراسة بلاغية تحليلية	عبدالرّحمن بلحنيش	472-449
9	استراتيجيات الخطاب الموجه لتبسيط العلوم	ابتسام خلا ف	492-473
10	ترجمة نصوص القانون بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة	إيمان بورايب	512-493
11	الموقف النقدي والأدبي من "الأدب النسوي" في العالم العربي	كريمة بكاي	522-513
12	إشكالية المنهج التاريخي في الدراسات النقدية الأدبية.	الصادق دهاش	544-523
13	L'interprétation contextuelle de la terminologie dans le discours didactique des sciences médicales en première année.	Benachenhou Assya	556-545
14	Traducción publicitaria Rasgos comunicativos, lingüísticos y extralingüísticos	لامية جميات	570-557

الديباجة

رحم الله صاحب المقولة التي تستحق التقدير وينال منها العاقل الاعتبار (نتكيف ولا نتلف) ، ذالك أن الزمن يتجدد فتتبعه في التجدد العقول كما يحصل للشجرة أن يتجدد ثوبها كل سنة وفصل ...وتلك سنة الله في خلقه ....

لكن يحصل ذالك من دون مساس بعناصر الحياة الأساسية التي فطر الله تعالى الخلائق والخلق عليها .....واذا كانت عناصر الحياة في الخلق معروفة فان عناصر الحياة في الانسان مألوفة وهي المعتقد والخلق اللذان جاءت النبوات من أجلهما ، قال صلى الله عليه وسلم (جئت لأتمم مكارم الأخلاق) ومن حكم الشعراء (وليس بعامر ديار قوم هذا *اذا أخلاقهم كانت خرابا) ، (وانما الأمم الاخلاق ما بقيت *فانهم ذهبت أخلاقهم ذهبوا)

وعلى مقاس التطور التقني السريع ، والاستجابة لسلوكه الجديد التزمت حولية الصوتيات المحكمة الاستمرار في ثوب الكتروني مضيئ تجسيدا لتعليمة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الملزمة ، وهي حريصة كل الحرص على السير في خطها الأصيل متمسكة بتخصصها العربي الجليل ومبدئها في ذالك (اللغة أصوات ،والأصوات لغة) ، وهي في نسختها العشرين والواحد والعشرين املة صلة رحم قوية واسعة بقرائها ومتينة بأقلام كتابها وباحثيها وخبرائها ، ومتفائلة بأبحاث ترقى الى المطلوب ومقالات تصب في المرغوب شكلا ومضمونا ومنهجا وقيمة علمية ، شاكرة في الوقت نفسه الجهود التي ساهمت في صناعة وانارة العدد الجديد المتميز والشامل لمستويات اللغة من صوت ومفردة وتركيب ومنهج ، كما قد حسن تزينه بصوتين أعجميين فرنسي وايطالي ، أحدهما موسوم بالتأويل السياقي لعلم المصطلح في الخطاب تعليمية العلوم الطبية نموذجا والثاني في الترجمة الاشهارية .....

وقد تجلى فهرس موضوعات العدد على النمط الترتيبي التالي

- سبل التيسير والتخفيف الصوتي في قراءة القرآن الكريم ظاهرة الإمالة أنموذجا
- دراسة حول الفائدة والوظيفة الصوتيتين للظاهرة على مستوى نص سورة المائدة
- الجهر و الهمس في عرف الفلاسفة المسلمين

- . ابن سينا أنموذجا .
- الحرف الساكن في علم العروض بين المتقدّمين والمحدثين
- أسلوبية البناء الصوتي بين معيارية الطرح وفاعلية التحليل الجمالي
- ظاهرة الفصل والوصل في ديوان الحماسة البصرية «دراسة تطبيقية تحليلية
- إِشْكَالِيَّةُ الاسْتِدْرَاكِ عَلَى الخَلِيلِ " بَحْر المُتَدَارَكِ "
- تقنيّة التَّعريف الصُّوريّ في المعجم الوسيط "دراسة إحصائية وصفية تحليلية
- وقـفات مع بلاغـة النّبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم-
- دراسة بلاغيّة تحليليّة
- استراتيجيات الخطاب الموجه لتبسيط العلوم
- ترجمة نصوص القانون بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة
- الموقف النقدي والأدبي من "الأدب النسوي" في العالم العربي
- إشكالية المنهج التاريخي في الدراسات النقدية الأدبية.
- L'interprétation contextuelle de la terminologie dans le discours didactique des sciences médicales en première année.
- Traducción publicitaria Rasgos comunicativos, lingüísticos y extralingüísticos

رئيس التحرير

سبل التيسير والتخفيف الصوتي في قراءة القرآن الكريم ظاهرة الإمالة أنموذجا
ـ دراسة حول الفائدة والوظيفة الصوتيتين للظاهرة على مستوى نص سورة المائدة ـ

Means of sonic lightening and ease in reading the Holy Quran
The case of the phenomenon of deflection
-a study on the sonic benefit and function of the phenomenon in Sourat el-Maïda-

محمد بولخطوط*

تاريخ تعديل البحث **2018/02/02** تاريخ القبول **2018/04/02**

ملخص:

من الظواهر التركيبية التي لها دورٌ جوهريّ في إبراز الدلالة الوظيفية للأصوات من خلال عملية الأداء النطقي لها: ظاهرة الإمالة.

نحاول في هذا البحث الوقوف على هذه الظاهرة الصوتية، بعدِّها واحدة من الظواهر التي تسعى إلى تحقيق التناسب والتماثل الصوتي، ومن ثمّة خلق نوع من التيسير النطقي للأصوات داخل بنية اللغة، ونظرا للأهمية التي تكتسبها الظاهرة كان هدفنا من البحث تعريف القارئ بالوظيفة التي تؤديها تبعا لفائدتها الصوتية؛ خاصة وأنّ لغتنا العربية لغة سلسة تميل دوما نحو السهولة والليونة والبساطة في النطق، وأنّ عملية التواصل تعتمد بالدرجة الأولى على السياق اللغوي المنطوق أو المؤدى بالأصوات.

بناء على ما قيل سنتناول في هذا البحث ظاهرة الإمالة في سورة المائدة، نستهلّ هذه الدراسة ببسط مفاهيمي للظاهرة في تراثنا العربي القديم، وكذا في الفكر العربي الحديث، كما سنتطرق إلى مختلف الجوانب الأخرى المتعلّقة بها على غرار: الأنواع والأقسام، الغرض والفائدة، الأسباب والموانع، الوظيفة الصوتية، مع تحديد أوجه التباين القائمة بينها وبين ظاهرة الفتح، وإيراد أحكامهما عند الإمام "ورش" على مستوى سورة المائدة.

وعلى هذا الأساس يمكن للسائل أن يتساءل فيقول: ما الإمالة؟ فيم تكمن الفائدة منها؟ وما هي أسبابها؟ ثمّ كيف يمكن لها تأدية وظيفتها الصوتية في نص سورة المائدة بناء على الغرض الذي قامت عليه؟

Abstract:

Deflection is one of the synthetic phenomena that play a crucial role in highlighting the functional significance of sounds through the process of performance and producing those sounds.

In this research paper, we attempted to cover this phonetic phenomenon being one of the phenomena that seek to achieve the phonic suitability and symmetry, and thus facilitate the production of sounds within the structure of the language. Given the importance of the phenomenon, our goal was to educate the reader about the function of deflection in accordance with its phonetic utility; especially since Arabic is a smooth language always tending towards ease, flexibility and simplicity in pronunciation and that the communication process depends primarily on the operative language context.

Based on what has been said, in this research work we will be dealing with the phenomenon of deflection in the text of Sourat el-Maïda, starting with a conceptual demystification of the phenomenon in our ancient Arab heritage, as well as in modern Arab thought. We will also touch on various other aspects related to it like: Types and sections, purpose and utility, causes and

* قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات ،جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل، الجزائر .

impediments, and the phonic function, identifying the dissimilarity between this phenomenon and the phenomenon of diacritics, more specifically the one made by adding the front open sound "a" to a letter in Arabic. Moreover, we will provide their judgement by the Imam "Warsh" in Sourat el-Maïda.

And on this basis, one can ask some questions as: What is deflection? What's the point of it? What are the reasons behind it? Then how can its phonic function be perfomed in the text of Surat Al-Maïda based on its purpose?

الكلمات الدالة: الإمالة، الصوت، الدلالة، الفائدة الصوتية، الوظيفة الصوتية، القرآن.

Keyboard: deflection, the sound, significance, the benefit, phonic function, the Quran.

مقدمة:

تعدّ الإمالة واحدة من المصطلحات اللغوية التي أولاها العلماء سواء من اللغويين أو القراء عناية واهتماما واسعا، حيث درسها علماء اللغة بعدّها ظاهرة صوتية فونولوجية، ودرسها القراء باعتبارها إحدى الركائز التي تنبني عليها القراءة القرآنية لمن كان مذهبه طبعا الإمالة لا الفتح.

وقد بيّن كلٌّ من اللغويين والقرّاء أنّ للإمالة أنواعا وأسبابا وأغراضا وحروفا مانعة لها...الخ، كلّ هذه المسائل وغيرها سنحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف عليها بالشرح والتحليل، موضّحين الفرق القائم بين ظاهرة الإمالة وظاهرة الفتح، فضلا عن الوقوف على أحكام الظاهرتين عند الإمام "ورش" رحمه الله تعالى، مع استقاء نماذج وأمثلة عن كلّ حكم من سورة المائدة، ومحاولة الكشف عن علاقة الأداء الصوتي لظاهرة الإمالة باعتبارها مظهرا من مظاهر التماثل والتناسب الصوتي من جهة، وجانبا من جوانب التخفيف والتيسير النطقي الفسيولوجي من جهة أخرى، بدلالتها الصوتية في سياق السورة.

1ـ تعريف الإمالة:

أ/ لغة:

يقول صاحب "اللسان" في شرح مادة "مَيَلَ": «المَيْلُ: العدول إلى الشيء والإقبال عليه، وكذلك الميلان (...)، واسْتَمَالَ الرجل: من الميل إلى الشيء (...)، وإذا مَيَّلَ بين هذا وذاك فهو شاك(...)، وتَمَايَلَ في مشيته تَمَايُلاً، واسْتَمَالَهُ واسْتَمَال بقلبه، والتَّمْيِيلُ بين الشيئين: كالترجيح بينهما(...)، والميْلَاءُ: ضرب من الاعتمام، حكى ثعلب: هو يعتمّ المَيْلأَ: أي يُميل

العمامة (...)، والميَلُ بالتحريك: في الخلقة والبناء، تقول رجل أَمْيلُ العاتق في عنقه (...)، وألف الإمالة: هي التي تجدها بين الألف والياء (...)، والاسْتِمَالَةُ: الاكتيال بالكفين والدراعين ...»[1]؛ إذن فالإمالة في دلالتها اللغوية تحيل على معنى: العدول والانحراف والاتجاه والانزياح...الخ.

ب/ اصطلاحا:

سنورد هنا مجموعة من التعريفات الخاصة بالإمالة عند القدامى وعند المحدثين من أجل اكتشاف القواسم المشتركة بينها:

* **تعريف "سيبويه"(ت 182هـ)**: يقول متحدثا عن الإمالة: «...وإنّما أمالوها ـ أي الألف ـ في عابد وعالم للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرّبوها منها (...)، فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقرّبوها منها (...)، والياء أخف عليهم من الواو فنحوا نحوها...»[2]

إنّ "سيبويه" في هذا التعريف لم يذكر مفهوما صريحا للإمالة، غير أنّه فتح المجال للعلماء من بعده للبحث في موضوع الإمالة، حيث استفاد العلماء الذين جاءوا بعده من الزاد المعرفي الضخم الذي حمله كتابه، ولعلّ في كلمة القرب والانتحاء ما يدلّ دلالة جازمة على الإمالة ومعناها.

* **تعريف "المبرد" (ت 275هـ)**: يعرّفها بقوله «الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلاّ لعلّة تدعو إليه.»[3]

* **تعريف "ابن جنّي" (ت 392هـ)**: الإمالة عنده «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتُميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت، فكما أنّ الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة وهذا هو القياس، لأنّ الألف تابعة للفتحة، فكما أنّ الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها...»[4]

---

1 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، ج6، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م، مادة مَيَلَ.

2 ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط2، 1402هـ/1982م، ص 117 وما بعدها.

3 المبرد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد: المقتضب، ج3، تح: محمّد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ/1994م، ص42.

4 ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/1993م، ص52.

* **تعريف "ابن يعيش"(ت 643هـ):** الإمالة هي «عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدّة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفّتها...»[1]

* **تعريف "ابن جزري" (ت 833هـ):** الإمالة هي «أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء ...»[2]

يُلاحَظ من خلال هذه التعريفات الأربعة الأخيرة للإمالة أنّها تشترك جميعها في معنى واحد، وهو التقريب بين الصوائت سواء أكانت قصيرة أم طويلة، دون الصوامت التي لا تمال؛ ذلك أنّ إمالة الحركة القصيرة (الفتحة) نحو الحركة القصيرة (الكسرة) يستدعي بالضرورة إمالة الحركة الطويلة (الألف) نحو الحركة الطويلة (الياء)، غير أنّ كلّ تعريف من التعريفات السابقة يتميز عن غيره بإضافة جديدة لم يتعرض إليها صاحبه، فقد عرفنا أنّ للإمالة أسبابًا وعللاً من خلال تعريف "المبرد"، وعرفنا كذلك أنّ لها غرضًا وغايةً من خلال تعريف "ابن جنّي" وكان تعريفه لها أشمل وأكمل عمّن سبقه أو جاء من بعده، كما عرفنا أيضا من خلال تعريف "ابن يعيش" أنّ للإمالة أقسامًا وأنواعًا، وكلّ هذه الأمور سيأتي تفصيلها ـ بحول الله تعالى ـ فيما سيأتي من هذا المقال.

هذا بالنسبة للقدماء، أمّا عند اللغويين المحدثين فها هو الباحث "عبد القادر عبد الجليل" يتفق في تعريفه للإمالة مع علماء اللغة القدامى، ولا يذهب بعيدا عن معناها عندهم، حيث نجده يعرّفها قائلا: «الإمالة تقريبٌ صوتي بين الصوائت، ومعناه الاتجاه بالصائت قصيرا كان أم طويلا إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قريناته، وفي الإمالة تقريب الفتحة من الكسرة، والفتحة من الضّمة والكسرة من الضمّة والضمّة من الكسرة.»[3]

إذن فالإمالة هي النطق بالصائت وسطا؛ أي ليس بالفتح ولا بالكسر.

ومن المحدثين أيضا الذين حذوا حذو القدامى نجد الباحث واللغوي المصري "محمود فهمي حجازي" الذي يرى أنّ الإمالة هي «إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة

---

1 ابن يعيش، موفّق الدين بن علي النحوي: شرح المفصل، ج9، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دس، ص 54.

2 ابن جزري، أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف الدمشقي: النشر في القراءات العشر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص30.

3 عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص ص306- 307.

الطويلة نطقا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة.»[1]، غير أنّ في هذا التعريف نقصًا، حيث اقتصر فيه صاحبه على إمالة الألف فقط، وذلك حينما جعل هذه الظاهرة خاصة بنطق الفتحة الطويلة الممالة نحو "الياء"، وأهمل إمالة الفتحة كحركة قصيرة نحو الكسرة، وكما يبدو أيضا أنّ هذا التعريف قد اقتصر على نوع واحد من أنواع الإمالة فقط وهي الإمالة الصغرى؛ إمالة بين بين. غير أنّ "غالب فاضل المطلبي" وهو من المعاصرين أيضا قد اتّجه اتّجاها مخالفا بعض الشيء في تعريفه للإمالة حيث نجده يقول: «إنّ الإمالة في حقيقتها ليست إلاّ صورة من صور نطق الألف أو صورة من صور نطق الفتحة، ولا تحمل أيّة قيمة فونيمية خاصة بها.»[2]

"فغالب المطلبي" في هذا التعريف يجرّد الإمالة من الدلالة، ويؤكد بأنّ لا وظيفة لها في ذاتها، وهذا في الحقيقة أمر غير صحيح؛ ذلك أنّ هناك الكثير من الكلمات القرآنية الممالة مثلا على علاقة وثيقة بالدلالة «فالانسجام بينهما في الصيرورة والتحوّل من حال إلى حال واضح من حيث إنّ كلمة هَارٍ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ التوبة/110، تدلّ على الميل وعلى الانحراف عن الاعتدال، وإنّ الإمالة تدلّ على الجنوح وعلى الانزياح عن الألف المستوية.»[3]

ونشير أخيرا إلى أنّ الإمالة في الفعل أقوى منها في الاسم، لتمكّنها في التصريف، وهي دخيلة في الحرف لجموده ولذا قلّت فيه، ثمّ إنّ الفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن، والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس...الخ.[4]

---

1 محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/ 2003م، ص 229.

2 غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، دط، 1984م، ص 163.

3 ينظر: عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م، ص ص53- 54.

4 ينظر: الدمياطي، أحمد بن محمّد البنا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، تح: شعبان محمّد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ومكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ/1987م، ص ص247- 248.

2 ـ أنواع الإمالة وأقسامُها:

يقول "المارغيني": «إنّ الإمالة في الاصطلاح على قسمين: كبرى وصغرى، فالكبرى أن تقرّب الفتحة من الكسرة والألف من الياء، من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه وهي المحضة، وإذا أطلقت الإمالة انصرفت إليها، وتسمى بالبطح والإضجاع، لأنّك لمّا قرّبت الفتحة من الكسرة والألف من الياء، فكأنّك بطحت الفتحة والألف؛ أي رميتها وأضجعتها إلى الكسرة، والصغرى هي ما بين الفتح المتوسط والإمالة المحضة، ولهذا يقال لها بين بين، وبين اللفظين؛ أي لفظ الفتح ولفظ الإمالة، وتسمى بالتلطيف والتقليل، ولمّا كان القسمين تغيّر بالألف بتعويجها عن استقامتها في النطق وتحريفها عن مخرجها إلى نحو الياء ولفظها سمي ذلك التغيّر إمالة.»[1]

تضمّن الكلام السابق أمرين: أوّلهما: تحديد أنواع الإمالة والتي جاءت على ضربين هما: الإمالة الكبرى والتي هي الاقتراب من الكسر أكثر مع الفتحة، ومن الياء أكثر مع الألف، ومعنى قولنا "اقتراب" ينفي القلب والتحويل المطلق؛ بمعنى أنّه لا يتمّ قلب الفتحة كسرة صرفة أو الألف ياء بحتة وإن كانت الإمالة محضة، أمّا الإمالة الصغرى فهي الاقتراب من الكسر أقل مع الفتحة، ومن الياء أقل مع الألف؛ أي أنّ الإمالة هنا معتدلة ومتوسطة بين الفتح الجائز (المتوسط) وبين الإمالة الكبرى، ولهذا سميت بين بين، فلا هي بفتح مطلق ولا هي بإمالة كبرى بل بينهما. أمّا الأمر الثاني: فهو تعريف الإمالة كما يوضّح آخر الكلام السابق والذي لا يختلف فيه "المارغيني" عمّا سبقه من العلماء.

ونشير هنا إلى أنّ "ابن جزري" قد تحدّث عن أقسام الإمالة، غير أنّه قد أطلق على الإمالة الكبرى اسم **إمالة شديدة**، وعلى الإمالة الصغرى اسم **إمالة متوسطة**.

---

1 سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1415هـ/1995م، ص90.

3 ــ غرض الإمالة وفائدتُها:

أ/ الغرض من الإمالَة:

إنّ الغرض من الإمالة إنّما هو تحقيق الانسجام والاتساق بين الأصوات، وهذا ما يعرف في اصطلاح علماء الأصوات **بالمماثلة الصوتية***، يقول: "جيلالي بن يشو" معرفا الإمالة ومبينا الغرض منها: «الإمالة ظاهرة صوتية تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات، وتقرّب بعضها من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق وبذل أقل مجهود، إذ الغرض منها في الأعمّ الأغلب: تحقيق الانسجام الصوتي الذي يعدّ ضربا من المماثلة.»[1]، إذن فهذا التعريف قد كشف عن الغرض من الإمالة، وكذا الفائدة منها.

يقول "ابن يعيش" في ذات السياق: «الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل.»[2]، ويقصد بالتشاكل: التماثل والانسجام، وإلى هذا المعنى يذهب "المارغيني"، حيث يقول: «والغرض الأصلي من الإمالة تناسب الأصوات وتقاربها، لأنّ النطق بالياء والكسرة مستفل، وبالفتحة والألف متصعّد مستعل، وبالإمالة تصير الأصوات من نمط واحد في التسفل والانحدار.»[3]

ويذكر" الشيرازي" تعريف الإمالة والغرض منها قائلا: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة لتميل الألف التي بعدها نحو الياء، ليتناسب الصوت بمكانها ويتجانس ولا يختلف.»[4]، ويحدّد "عبد الحميد السيّد" بدوره غرض الإمالة ومجالها فيقول: «الإمالة هي أن يُنْحَى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، والفتحة والكسرة صائتان قصيران والألف

---

* المماثلة هي عبارة عن تقارب أو تجانس أو تماثل حاصل بين صوتين متماسّين، يؤدي إلى تقارب في مخرجي الصوتين وصفاتهما، أو إلى تماثل تام يتجلّى في الإدغام. **ينظر: عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص240.**

1 جيلالي بن يشو: بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي (المماثلة والمخالفة) مصطلحات المماثلة والمخالفة وظواهرهما في العربية الفصحى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص84.

2 ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص 54.

3 سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 90.

4 الشيرازي، نصر بن علي بن محمّد أبو عبد الله الفارسي النحوي (ابن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ/1987م، ص209.

والياء صائتان طويلان، وعليه فالإمالة من باب المماثلة بين العلل والعلل.»[1]؛ أي بين حروف المدّ قصيرة كانت (الفتحة والكسرة) أم طويلة (الألف والياء).

إذن فواضح من خلال ما سبق أن الغرض من الإمالة هو: **تحقيق الانسجام والتجانس والتماثل والتناسب بين الأصوات أو بتعبير أكثر دقّة بين الصوائت.**

ب/ فائدة الإمالة:

يوضّح "ابن جزري" الفائدة من الإمالة قائلا: «وأمّا فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ، وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأمّا من فتح فإنّه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل والله أعلم.»[2]

يتضح جليا من خلال قول "ابن جزري" أنّ لغرض الإمالة علاقة وطيدة بالفائدة منها، فالتشاكل والتجانس بين الصوائت والذي يمثّل غرض الإمالة هو الذي يحقّق سهولة التلفظ بها، ويفهم كذلك من خلال القول السابق أنّ الإمالة أيسر في النطق من الفتح، ففي الإمالة خفة وفي الفتح ثقل وقوة، بيد أنّ السؤال المطروح: أيهما الأصل: الإمالة أم الفتح؟

4 ـ الفتح والإمالة بين الأصل والفرع:

ذهب الكثير من العلماء إلى أنّ الأصل هو الفتح* وما الإمالة إلاّ فرعا منه، ومن هؤلاء "ابن جزري" في القول السابق، إضافة إلى "ابن يعيش" حيث نجده يقول: «والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدلّ أنّ التفخيم هو الأصل أنّه يجوز تفخيم كلّ ممال ولا يجوز إمالة كلّ مفخم، وأيضا فإنّ التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب، والإمالة لغة بني تميم، والفتح لغة أهل الحجاز.»[3]

يتبيّن من خلال قول "ابن يعيش" أنّ الفتح أو كما يسميه "التفخيم" هو الأصل، حيث قدّم لنا "ابن يعيش" أدلّة تثبت ذلك منها: إنّ كلّ حرف ممال جائز فتحه، ولا يجوز أن يمال إلاّ عند وجود سبب يدعو إلى إمالته، وهذا ما تعنيه كلمة "طارئة".

---

1 عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية: المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية، ج1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ/ 2004م، ص 16.

2 ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص35.

* عرّفه "ابن جزري" بقوله: «هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال له التفخيم، وربّما قيل له النصب». **ينظر: ابن جزري: المصدر نفسه، ج2، ص29.**

3 ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص54.

وإلى نفس الاتجاه يذهب "ابن خالويه" في الحجّة، حيث يقول: «والحجة لمن فخّم: أنّه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذي كان له، لأنّ الأصل التفخيم، والإمالة فرع عليه.»[1]

وفي هذا الكلام ما يثبت ويؤكد صراحة على أصلية الفتح وفرعية الإمالة، وتذهب "صفية طبني" مذهب "ابن خالويه" في التصريح بأصلية الفتح وفرعية الإمالة فتقول: «وحكمها الجواز، لأنّ ذلك الحرف الممال يمكن فتحه، والأصل الفتح لأنّه النطق القويم للغة والإمالة فرع، وتكون غالبا في الأسماء المتمكّنة والأفعال والحروف، ولكنّ وجودها في الحروف ليس مطّردا بل ينذر ذلك.»[2]

ويضيف "ابن جزري" سببا ثالثا يقوي أصلية الفتح وفرعية الإمالة فيقول: «الإمالة تُصَيِّرُ الحرف بين حرفين والحركة بين حركتين، والأصل أن يكون الحرف صافيا غير مختلط بغيره، والحركة خالصة غير ممزوجة بسواها.»[3]

فالإمالة هي اقتراب ومزج بين حركتين: قصيرتين (الفتحة والكسرة)، أو طويلتين (الألف والياء)، أمّا الفتح فهو خالص.

لكن في المقابل هناك من العلماء من ذهبوا إلى نقيض ما ذهب إليه الفريق الأوّل، والذي يعترف بأصلية الفتح وفرعية الإمالة، حيث نجد "محمد سالم محيسن"، وهو من العلماء المحدثين يؤكد بأنّ الفتح أصل والإمالة أصل أيضا وليست فرعا منه، وفي هذا يقول: «إنّ كلا منهما أصل قائم بذاته، إذ كلّ منهما كان ينطق به عدّة قبائل عربية بعضها في غرب الجزيرة العربية والبعض الآخر في شرقيها.»[4]

يفهم من خلال هذا الموقف أنّ كليهما كان مستعملا من لدن القبائل العربية، فالفتح كما ذُكر منسوب إلى القبائل العربية التي كانت مساكنها غربي الجزيرة العربية، بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال: قريش ثقيف، هوزان وكنانة،...، أمّا الإمالة فيمكن نسبتها إلى القبائل التي تعيش وسط الجزيرة العربية وشرقيها، أمثال: تميم، قيس، أسد، طيء،...الخ.

---

1 ابن خالويه، الحسين بن أحمد: الحجّة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص66.

2 صفية طبني: ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للألوسي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 1433هـ/ 2012م، ص 88.

3 ينظر: ابن جزري: النشر في القراءات العشر ، ج2، ص32.

4 محمّد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، مصر، دط، 1404هـ/1984م، ص ص97- 98.

5 ـ الإمالة من حيث الوجوب والجواز:

قال "سيبويه" في "الكتاب": «واعلم أنّه ليس كلّ من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل ولكنّه قد يخالف كلّ واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعض ما يميل صاحبه، ويميل بعض ما ينصب صاحبه وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأوّلين في الكسر، فإذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينّه خَلَط في لغته، ولكن هذا من أمرهم.»[1]

يشير "سيبويه" من خلال كلامه هذا إلى أنّ هناك قاعدة لغوية ثابتة في النصب؛ أي الفتح والإمالة لا يمكن للعربي أن يخرقها أو يعدّلها أو يغيّرها كلّما أملت عليه أهواءه، إذ هو ملزم بالتقيد بها، فيفتح ما يميله غيره ويميل ما يفتحه الآخرون، دون أن يعني هذا خلط في اللغة، وإنّما هذا من عادة العرب المتوارثة، ولا يمكن للعربي أن يجري على لسانه غيرها.

وممّا يؤكد على وجوب الإمالة عند من كان مذهبه الإمالة لا الفتح، وحينها لا يمكن التخلي عنها بأيّ حال من الأحوال قول "سيبويه" في موضع آخر: «فأمّا ناب ومال وباع، فإنّه من يميل يلزمها الإمالة على كلّ حال.»[2]

هذا إذن هو مذهب "سيبويه" في وجوب الإمالة عند من كانت عادته أن يميل، وقد خالفه في الرأي "ابن يعيش" في شرحه لـ "المفصّل"، حيث نجده يصرّح بجواز الإمالة فيقول: «وأسباب الإمالة مجوزة لا موجبة أَوَ لا ترى أنّه ليس في العربية سبب يوجب الإمالة لا بد منها، بل كلّ ممال لعلّة، فَلَكَ ألاّ تميل مع وجودها فيه.»[3]، وفي هذا الكلام ما يدلّ دلالة صريحة على أنّ الإمالة جائزة لا واجبة، حيث ذكر "ابن يعيش" أنّ الإمالة تكون بأسباب معينة، ومعنى هذا أنّه إذا توفرت الأسباب التي تدعو إليها وجب ذلك، ولكنّنا نجد "ابن يعيش" مع ذلك يؤكد أنّ للعربي حق الاختيار: إمّا أن يميل، وإمّا أن ينصب، وذلك جليّ في قوله: «**بل كلّ ممال لعلّة فَلَكَ ألاّ تميله مع وجودها فيه**».

وخلاصة القول ـ كما يشير إلى ذلك "عبد الفتاح إسماعيل شلبي"ـ إنّه يجوز للعربي اليوم النطق بالإمالة والفتح على السواء، فهو ينطق الكلمة ذاتها ممالة إذا أخذ

---

1 سيبويه: الكتاب، ج4، ص 125.

2 المصدر نفسه، ج4، ص 131.

3 ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص55.

بمذهب القبائل التي كانت تميل، وينطقها وهي مفتوحة إذا أخذ بمذهب القبائل التي تنصب، أمّا العربي الأول فما كان له أن ينطق بها على غير لهجة مفتوحة أو ممالة.[1]

6 ـ أسباب الإمالة:

لقد حصر "المارغيني" الأسباب التي تدعو للإمالة عند الإمام "ورش" في خمسة أسباب: الأول: انقلاب الألف عن الياء، الثاني: شَبَهْ الألف بالمنقلب عن الياء، الثالث: الكسر الواقع بأثر الألف، الرابع: رسم الألف بالياء في المصحف سوى ما استثنى من بعض الكلمات والخامس: الإمالة التي يمال لأجلها، وقد جمع "المارغيني" الأسباب المذكورة في هذه الأبيات:[2]

أَمَالَ وَرْشٌ كُلَّ مَا فِي البَابِ ... لِسَبَبٍ مِنْ خَمْسَةِ أَسْبَابِ

وَهِيَ انْقِلَابُ أَلَفٍ عَنْ يَاءِ ... وشَبَهٍ بِهِ وكَسْرِ جَاءِي

بِأَثَرِ الأَلِفِ وَالرَّسْمِ بِيَا ... لَهَا بِمَصْحَفٍ سِوَى مَا اسْتُثْنِيَا

ثُمَّ الإِمَالَةُ إِلَى مُمَالْ ... لِأَجْلِهَا رَاءً لَهَا مِثَالْ

إذن فأسباب الإمالة عند "ورش" خمسة تتمثل في: انقلاب الألف عن الياء سواء رسمت في المصحف بالياء أو بالألف، أو الألف الشبيهة بالألف المنقلبة عن الياء وهي الألف الزائد للتأنيث، أو الراء المتطرفة المكسورة بعد الألف، أو الألف المرسومة ياء في المصحف سواء أكان أصلها ياء أو لم يكن، أو كانت منقلبة عن واو ومرسومة ياء مع بعض الاستثناءات، أو الإمالة من أجل مُمَالْ، هذا وسيتمّ التفصيل في هذه الأسباب في مكانها إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا الأساس يمكن حصر جميع هذه الأسباب وغيرها في سببين رئيسين هما: **الكسرة والياء**. يقول "ابن جزري": «هي عشرة ترجع إلى شيئين: أحدهما الكسرة والثاني الياء، وكلّ منهما يكون متقدّما على محلّ الإمالة من الكلمة ويكون متأخرا، ويكون أيضا مقدرا في محلّ الإمالة وقد تكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ، ولا مقدرتين محلّ الإمالة ولكنّهما ممّا يعرض في بعض تصاريف الكلمة...»[3]

---

1 عبد الفتّاح إسماعيل شلبي: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدّة، السعودية، دط، 1429هـ/ 2008م، ص 142.

2 سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص 90.

3 ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 32.

بعد أن حصر "ابن جزري" جميع أسباب الإمالة في الكسرة والياء، ذكر الأسباب العشرة الناتجة عن هذين السببين سواء كانتا (أي الكسرة والياء) قبل الحرف الممال أو بعده، ظاهرتين أم مقدرتين، ويمكن تحديدها كما يلي: «الإمالة لأجل الكسرة السابقة، الإمالة لأجل الياء السابقة، الإمالة لأجل الكسرة المتأخرة، الإمالة لأجل الياء المتأخرة، الإمالة لأجل الكسرة المقدرة، الإمالة لأجل الياء المقدرة، الإمالة لأجل الكسرة العارضة، الإمالة لأجل الياء العارضة، الإمالة لأجل الإمالة، الإمالة لأجل الشبه، الإمالة لكثرة الاستعمال، والإمالة للفرق بين الاسم والفعل، وقيل بأنّ العلل الثلاثة الأخيرة عللا شاذة.»[1]، وما يهمّنا نحن في هذا المقال هو الأسباب الخمسة المذكورة سابقا في نظم "المارغيني".

7 ـ موانع الإمالة:

قال "ابن يعيش" في "شرح المفصّل" وذلك في معرض حديثه عن موانع الإمالة: «وتمنع الإمالة سبعة أحرف وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف، إذا وليت الألف قبلها أو بعدها، إلاّ في باب رمى فإنّك تقول فيهما طاب وخاف وصغى وطغى، وذلك نحو صاعد وعاصم وضامن وعاضد وطائف وعاطس وظالم وعاظل وغائب وواغل وخامد وناخل وقاعد وناقف، أو وقعت بعدها بحرف أو حرفين: كناشص ومفاريص، وعارض ومعاريض، وناشط ومناشيط، وباهظ ومواعيظ، ونابغ ومباليغ، ونافخ ومنافيخ، ونافق ومعاليق.»[2]، ويضيف "هادي نهر" قائلا: «والعلّة في منع هذه الحروف أنّها تستعلي إلى الحنك، وإمالة الألف في صاعد أو في هابط فيه مشقّة، لذلك لم تمل الألف معها طلبا للمجانسة، فإذا جاورت هذه الأحرف الراء المكسورة أميلت ويسمى هذا بـ : مانع المانع، وذلك لأنّ الراء حرف تكرير فكانت بمنزلة حرفين مكسورين فَوَقَتْ جانب الإمالة، ومثال هذه الإمالة قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾التوبة/ 40، ونحو: ﴿غِشَاوَةٌ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾

1 ينظر: عبد العزيز علي سفر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، ج1، تح: المؤلف نفسه، السلسلة التراثية للنشر، الكويت، دط، 1422هـ/ 2001م، ص ص 114- 115.

2 ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص 59.

البقرة/6.»[1]، هذا إن تأخّرت عن الألف، فإن تقدّمتها لم تؤثر نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ الأنفال/61، ولذا لم يمله أحد، وشرط المنع بالراء أمران هما:[2]

1. **كونها مكسورة:** فلا تمال إن كانت مفتوحة أو مضمومة، لأنّه سيجتمع فيها حينئذ فتحتان أو ضمّتان فلذلك منعت الإمالة، وأمّا إن كانت مكسورة فكأنّه قد اجتمعت فيها كسرتان، فلذلك أوجبت الإمالة.
2. **كونها متصلة بالألف:** أمّا قبلها نحو: فِرَاش ورَاشد، وأمّا بعدها نحو: هذا حمارٌ، ورأيت حمارًا، وشرط الاستعلاء المتقدّم على الألف أن يتصل بها نحو: صالح، ضامن، طالب، ظالم، غالب، خالد، قاسم أو ينفصل عنها بحرف نحو: غنائم.

ويضيف "الشيرازي" قائلا: «...فإذا كان الحرف المستعلي قبل الألف بحرف وكان مكسورا، فإنّه لا يمنع الإمالة نحو: ضِبابٍ وقِفافٍ وصِفافٍ وطِلابٍ، وإنّما لم يمنع الحرف المستعلي الإمالة هاهنا لأنّه مكسور، ولأنّه قبل الألف ولا يلي الألف، فيقع اللسان على موضع المستعلي فيصوّبه بالكسرة ثمّ ينحدر بالإمالة.»[3]

يتضح ممّا سبق أنّ حروف الاستعلاء والإطباق هي التي تمنع الإمالة، سواء أكانت متصلة بالألف قبله أو بعده أم منفصلة عنه بحرف أو حرفين، مع بعض الاستثناءات، مثل: صاعد فحرف الاستعلاء ها هنا هو "الصاد" جاء متصلا بـ "الألف" ومتقدم عليه، وهو هنا يمنع الإمالة تجنبا للمشقة في النطق بها، وخاصة كما علمنا أنّ الفائدة المرجوة منها: سهولة اللفظ، إضافة إلى تحقيق التجانس والتماثل، فـ "الألف" حركة طويلة لا تجانسها إلاّ فتحة "الصاد"، وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ حروف الاستعلاء والإطباق هذه إنّما تمنع الإمالة فقط إن تحركت بالفتح والضمّ، أمّا إن كانت مكسورة ويفصل بينها وبين "الألف" فاصل وكانت متقدّمة عنه، فهي هنا لا تمنع الإمالة، بل إنّها حتى لو كانت مفتوحة أو مضمومة وكانت متقدّمة عن "الألف"، وكان بعد "الألف" "راء" مكسورة (ليست مفتوحة ولا مضمومة)، ممّا يعني أنّ "الراء" ليس لها تأثير على حروف الاستعلاء حال تقدّم "الألف" وكانت هي سابقة عليه.

---

1 هادي نهر: علم الأصوات النطقي دراسة وصفية تطبيقية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص187.

2 المرجع نفسه، ص 188.

3 الشيرازي: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، ص 212.

وخلاصة القول: إنّ حروف الاستعلاء تمنع الإمالة إذا كانت مفتوحة أو مضمومة أو لاحقة متصلة أو منفصلة، هذا إن لم يأت بعد "الألف" "راء" مكسورة، هذا فضلا عن تحرك "الراء" بالفتح والضمّ سواء أكانت قبل أم بعد "الألف"، متّصلة به أم منفصلة عنه، فهي في هذه الحالة من موانع الإمالة «لأنّها حرف مكرر فضمّتها كضمّتين وفتحتها كفتحتين وكسرتها ككسرتين، فصارت غير المكسورة كحرف الاستعلاء؛ لأنّ تكرار الضمّ والفتح خلاف الإمالة، فيغلب غير المكسورة سبب الإمالة.»[1]

8 ـ مقوّيات الإمالة:

إنّ ما يقوّي الإمالة، أو يزيدها قوة:[2]

1. أن تسبق الألف بياء مدّ نحو: كِيزَان.
2. أن تسبق الألف بكسرة وياء لين نحو: العِيَانْ.
3. أن تسبق الألف بكسرتين نحو: جِلْبِلَابْ ـ وهو نبات ـ
4. اقتراب الكسرة من الألف نحو: كِتَابْ: وجود حرف واحد أقوى منها في مِفْتَاحْ لوجود حرفين.
5. الإمالة في الكلمة الواحدة أقوى منه في الكلمتين نحو: كِتَابْ: اجتمعت الكسرة والألف في كلمة واحدة، "لِخَالِدٍ مَالْ": الكسرة في دال الكلمة الأولى، والألف في الثانية.
6. إمالة الألف في الفعل أقوى منها في الاسم نحو: بَاْعَ (الفعل)، نَاْبْ (الاسم).
7. الوقف على الإمالة يقوّي الإمالة

9 ـ القراء السبع والإمالة:

القراء أقسام منهم من لم يمل وهو "ابن كثير" ومنهم من أمال، وهم قسمان:[3]

1. **مقلّل:** وهم "قالون"، "ابن عامر" و"عاصم".
2. **مكثر:** وهم "ورش"، "أبو عمرو"، "حمزة" و"الكسائي"...

---

1 عبد العزيز علي سفر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، ج1، ص6.

2 محمود مَطْرَجِي: في الصرف وتطبيقاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص 54.

3 عبد الفتّاح إسماعيل شلبي: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، ص 152.

وهؤلاء هم القراء السبعة، و"قالون" و"ورش" هما راويا "نافع المدني" فهما يمثّلانه، ممّا يعني أنّ الإمام "نافع" هو الوحيد من القراء السبعة الذين أمالوا بالتقليل (الإمالة الصغرى)، والتكثير (الإمالة الكبرى).

10 ـ الفرق بين الفتح والإمالة:

إنّ اللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفمّ، فإذا أخد في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه أوّل اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة، طويلة كانت أم قصيرة، فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسّمون الإمالة إلى نوعين: خفيفة وشديدة، وكذا نرى أنّ الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلاّ اختلافا في وضع اللسان مع كلّ منهما حين النطق بهذين الصوتين واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح.[1]

ويمكن أن نوضّح هذا الفرق أكثر في الشكل التالي:[2]

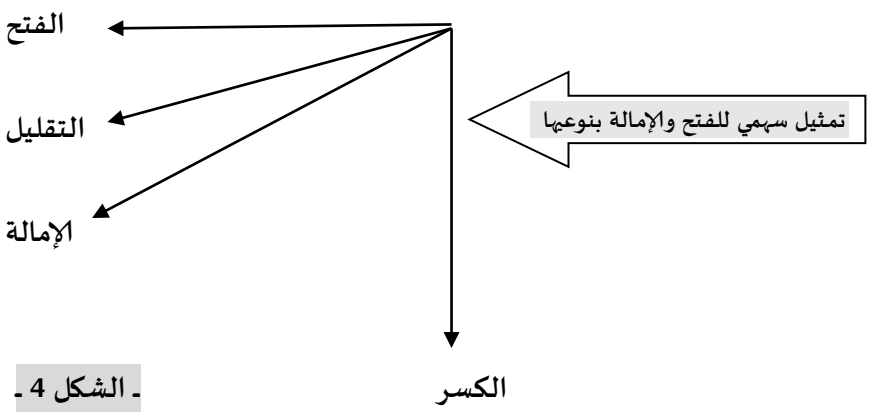

ـ الشكل 4 ـ

1 إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/ 2003م، ص57.

2 غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أنموذجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص233.

11 ـ أحكام الفتح والإمالة عند الإمام "ورش":

كلّ ما قرأه "ورش" ممالا كان مقللا إلاّ حرف الهاء من ﴿طٰهٰ﴾، فقد قرأه رحمه الله بالإمالة الكبرى، وسيأتي الآن ذكر مواضع التقليل، وما يجوز فيه الوجهان (الفتح والإمالة الصغرى)، مع عرض بعض الأمثلة والنماذج من سورة المائدة، وهي هنا مصنّفة حسب **سبب الإمالة** كما يلي:

أ/ الألف المتطرفة المنقلبة عن الياء: وفيها حالتان هما:[1]

* إذا كان قبلها ـ أي الألف المتطرفة ـ حرف الراء مثل: (القرى، اشترى)، فهذه **تُمال وجها واحدا**.

* إذا كان قبلها غير حرف الراء مثل (الهدى، رمى، سعى، أتى)، فهذه فيها الوجهان: **الفتح والإمالة**.

ومن نماذج هذا السبب في سورة المائدة المواضع التالية:

ـ كلمة "تَرَى" في المواضع التالية: ﴿فَتَرَى﴾/54، ﴿وَتَرَىٰ﴾/64، ﴿تَرَىٰ﴾/82و85، وفي جميعها تقلّل الألف قولا واحدا؛ لأنّها من ذوات الياء الرائية.

ـ الكلمات التالية: ﴿مَرْضَىٰٓ﴾/7، كلمة "أَتَى" في قوله تعالى: ﴿وَءَابَآئِكُمْ﴾/22، كلمة:﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾/33، كلمة "أَحْيى" في قوله تعالى: ﴿أَحْيَاهَا﴾/34، كلمة: ﴿ءَابَآئِكُمْ﴾/50، كلمات: ﴿نَخْشَىٰٓ + فَعَسَى﴾/54، كلمة "يَنْهَى" في قوله تعالى: ﴿يَنْهَىٰهُمُ﴾/65، كلمة: ﴿لَا تَهْوَىٰٓ﴾/72، كلمة: ﴿اعْتَدَىٰ﴾/96 وغيرها، فجميع هذه الحالات وأمثالها فيها وجهان: الفتح والإمالة (التقليل بتعبير أدق)؛ لأنّها من ذوات الياء غير الرائية.

وهذا باستثناء الألف التي برؤوس الآي من إحدى عشرة سورة، سواء أكانت الألفات يائية أم واوية فحكمها **التقليل فقط**، إلاّ إذا اقترنت بضمير المؤنث (ها)، فيكون له

---

1 عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، دط، 2008م، ص92.

فيها وجهان: **الفتح والتقليل**، إلاّ ما كان فيه راء (ذوات الراء)* نحو: (ذكراها) فإنّ "ورش" **يقلّله قولا واحدا**، والسور الإحدى عشر هي: طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى والعلق.[1]

كانت هذه الحالة هي **السبب الأوّل** من أسباب الإمالة السابق ذكرها، والمتمثل في انقلاب الألف عن الياء، سواء رُسِمَتْ في المصحف ياءً كما في الأمثلة السابقة، أم رسمت ألفا، نحو: ﴿طَغَا﴾ الحاقة/11.

ب/ الألف المتطرفة الزائدة للتأنيث:

لذوات الراء المتطرفة الزائدة للتأنيث خمسة أوزان هي: فَعْلَى، فُعْلَى، فِعْلَى، فَعَالَى، فُعَالَى. وحكمها: **التقليل** فقط لذوات الراء ، **والوجهان** لغير ذوات الراء....[2]

يضاف إلى هذه الأوزان ما كان على وزن "أَفْعَلْ"، وعلى وزن "مَفْعَلْ"، فيجوز فيهما: **الفتح والإمالة.**[3]

وسنقدّم فيما يلي بعض نماذج هذه الحالة من سورة المائدة:

ـ الكلمات التي جاءت على وزن: "فَعْلَى" نحو: "التَّقْوَى" في قوله تعالى: ﴿التَّقْوَىٰ﴾/2 وكذا: ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾/9 وكلمة: "الموتَى" في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾/112،... وفي هذه الكلمات وجهان: الفتح والتقليل؛ لأنّها ليست من ذوات الياء الرائية.

ـ كلمة "النّصَارى" في قوله تعالى: ﴿نَصَارَىٰ﴾/15 و84، ﴿النَّصَارَىٰ﴾/20، 53، 71،...على وزن: "فَعَالَى" وحكمها: التقليل وجها واحدا؛ لأنّها من ذوات الراء.

---

* وتسمى أيضا "ذوات الياء الرائية"، وهي كلّ ألف متطرفة منقلبة عن ياء أو زائدة للتأنيث، أو رسمت في المصحف ياء، واتصلت بها راء وقعت رأس آية، فإن لم تتصل بها راء سمّيت ذوات الياء غير الرائية.

1 حليمة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، دار الواضح للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1435هـ /2014م، ص146.

2 عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص ص 93- 94.

3 محمّد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدّة، السعودية، ط2، 1428هـ/2007م، ص68.

ـ كلمة "المأْوَى" في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَأْوِيهُ ٱلنَّارُ﴾/74، على وزن: "مَفْعَلْ"، وفيه وجهان: الفتح والتقليل.

ـ الكلمات التي جاءت على وزن: "فُعْلَى" نحو:"القُرْبَى" في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾/108، وكلمة: "الدُّنْيَا" في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾/35، و﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾/43، وفيها حكمان: الفتح والإمالة (التقليل) لغير ذوات الياء الرائية.

ـ كلمة "الأَدْنَى" في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ...﴾/108، على وزن "أَفْعَلْ" وحكمها وجهان: الفتح والتقليل؛ لأنّها ليست من ذوات الراء.

وهذه الحالة هي **السبب الثاني** من الأسباب التي تدعو إلى الإمالة، والمتمثّل في الألف الشبيهة بالألف المنقلبة عن الياء، أو كما تعرف بالألف الزائدة للتأنيث.

ج/ الألف المتوسطة التي يليها راء متطرفة:

فإذا كانت متصلة بالألف ومكسورة كسرة إعراب (كسرة أصلية)، فهذه **تمال قولا واحدا**، ولو اتصل بالراء ضمير وميم الجمع وقفا ووصلا، نحو: النهار، ديارهم، أبصارهم، هارٍ، أقطارهم،...[1]

ويستثنى من ذلك عند"ورش" كلمتا: [الجارِ، وجبّارين]، ففيهما الوجهان: **الفتح والإمالة**، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾الشعراء/130 و قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾النساء/36 .[2]

تنبـــيه:[3]

* كلمة ﴿تُمَارِ﴾ الكهف/23: لا إمالة فيها أصلا، لأنّ لام الفعل "ياء"، حذفت للجازم وهو لا الناهية، وكذلك كلمة (الجَوَارِ) فلا إمالة فيها أيضا.

---

1 عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 94.
2 حليمة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص 148.
3 عبد الكريم مقيدش: المرجع السابق، ص ص 94- 95.

* كلمة ﴿أَنصَارِيٓ﴾ الصف/14: لا إمالة فيها أصلا أيضا، لأنّ كسرة الراء ليست كسرة إعراب، وإنّما هي لمناسبة الياء (ياء الضمير المتكلّم).

* كلمة ﴿مُضَآرٍّ﴾ النساء/12: لا إمالة فيها لأجل الفصل بين الراء المكسورة والألف المتوسطة، لأنّ أصل الكلمة "مُضَارْرِ" فسكّنت الراء الأولى، وأدغمت في الثانية.

ومن نماذج الألف المتوسطة التي يليها "راء" متطرفة في سورة المائدة ما يلي:

ـ كلمة: "الأَدْبَارِ" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ﴾/23، اتّصل بالراء ضمير وميم الجمع وحكمها هاهنا: التقليل وجها واحدا.

ـ كلمة "جَبَّارِينَ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّٰرِينَ﴾/24، وحكمها وجهان: الفتح والتقليل استثناءً عند الإمام "ورش".

ـ كلمة "النَّارِ" في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾/ 31 و﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾/39، وحكمها التقليل فقط.

ـ كلمة "أَثَارِ" في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾/48، جاءت الكلمة متّصلة بالضمير وميم الجمع وحكمها هاهنا التقليل وجها واحدا.

ـ كلمة "الأَنْصَارِ" في قوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾/74، وفيها التقليل وجها واحدا.

إذن تمثّل هذه الحالة **السبب الثالث** من أسباب الإمالة عند الإمام "ورش"، والمتمثّل في الراء المتطرفة المكسورة بعد الألف، وهذا يعني أنّ الألف هنا لا تقع في طرف الكلمة وإنّما تأتي وسطا، وبعدها الراء مباشرة دون فاصل يحول بينهما.

د/ الألف المتطرفة المرسومة ياء:

هذا وإن لم يكن أصلها ياء، وهي الألف التي في الأسماء الأعجمية، مثل: موسى، عيسى، يحيى فحكمها عند "ورش": **التقليل وجها واحدا**، أمّا إذا كانت هذه الألف المتطرفة والمرسومة في المصحف ياء منقلبة عن واو، مثل: ضُحى، العُلى،...ففيها وجهان: **الفتح والإمالة**، ويستثنى من ذلك كلمة ﴿زَكَىٰ﴾النور/21 فليس فيها إلاّ **الفتح**، وكذلك الكلمات التي برؤوس الآي، مثل: (العلى، يتزكّى ،...)، ففيها **الإمالة فقط**، إلاّ إذا اتصلت بها هاء التأنيث ففيها الوجهان. ويندرج تحت هذه الحالة الكلمات التي فيها ألف مجهول الأصل نحو:

(متى بلى، أنّى،...)، ففيه الوجهان، باستثناء أربع كلمات ففيها **الفتح** اتفاقا وهي: (حتّى، على، إلى، لدى).[1]

ملاحظـة هامة: ويستثنى من الألف المرسومة ياء* في المصحف خمس كلمات **لا إمالة** فيها وهي: اسم ﴿لَدَى﴾ غافر/17، فعل ﴿زَكَىٰ﴾النور/21، وثلاثة أحرف: (إلى، حتّى، على).[2]

يمكن أن نقسّم ورود هذه الحالة في سورة المائدة على ثلاثة أقسام كما يلي:

ـ **ما فيه وجها واحدا**: وهو التقليل فقط، وهي الألف في الأسماء الأعجمية، ومن نماذجها في سورة المائدة:

* كلمة: ﴿مُوسَىٰ﴾ الواردة في الآيات التالية: 22، 24 و26.

* كلمة: ﴿عِيسَى﴾ الواردة في الآيات التالية: 48، 80، 112، 114، 116 و118.

ـ **ما فيه وجهان**: الفتح والتقليل، وهي الألف المتطرّفة المرسومة ياء في المصحف، بيد أنّها منقلبة عن واو، نحو قوله تعالى في هذه السورة: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ﴾/2، فأصل الألف المتطرّفة هنا هي: "الواو" نقول: التِلَاوَةُ، يَتْلُو وتَلَوْتُ.

ـ **ما فيه وجهان أيضا**: الفتح والتقليل، وهي تلك الكلمات المجهول فيها أصل الألف، وورد من ذلك في سورة المائدة نموذجا واحدا هو لفظة: "أَنَّى" في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾/77.

ويستثنى من هذه الحالة الأخيرة ـ كما أشرنا ـ مجموعة من الكلمات المذكورة سلفا، ففيها وجها واحدا فقط وهو الفتح، وردت منها في سورة المائدة ما يلي:

---

1 عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 93.

* الضابط الذي نعرف من خلاله هل أنّ الألف منقلبة عن ياء أم عن واو هو: أن نثنّي الاسم ونسند الفعل إلى المتكلّم، فإذا ظهرت الياء فأصل الألف ياء، وإن ظهرت الواو فأصل الألف واوا، ومثال اليائي في الأسماء [هدى= هديان/ فتى= فتيان]، وفي الأفعال [رمى بإسنادها للمتكلّم= رميت، سقى= سقيت،...]، ومثال الواوي من الأسماء: [صفا= صفوان، سنا= سنوان، عصى= عصوان،...]، ومن الأفعال [عفا= عفوت، نجا= نجوت،...] وإذا زاد الثلاثي من الأسماء والأفعال على ثلاثة أحرف مما فيه الألف منقلبة عن واو، فإنّها تردّ إلى الياء وذلك دون ردّها إلى أصلها، ويكون بتثنيتها مباشرة: إذا كانت اسماً، أو إسنادها للمتكلّم: إذا كانت فعلاً، نحو: تزكّى، ابتلى، أدنى، تعالى،...

2 عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، مكتبة الرضوان، مصر، دط، 2005م، ص68.

ـ كلمة: ﴿عَلَىٰ﴾، الواردة في سورة المائدة في 22 موضعًا منها الآيات التالية: 3، 12، 21، 34، 56، 94، 101، 109، 119، 122،...الخ.

ـ كلمة: ﴿إِلَىٰ﴾ وقد وردت في نصّ سورة المائدة في أربعة مواضع هي: 66، 76، 106 و107.

ـ كلمة: ﴿حَتَّىٰ﴾/24، 70.

وتمثّل هذه الحالة **سببًا آخرًا** من أسباب الإمالة، وهو رسم الألف "ياء" في المصحف سواء كانت منقلبة عن "الياء" أو عن "الواو" أو جُهِلَ أصلها فألحقت بهما.

هـ/ الإمالة لأجل الإمالة:

ومثالها كلمة (رأى) مفردة، أو مع ضمير نصب (رآك، رآه، رآها،...)، ففيها **تقليل** الراء والهمزة معا مع ثلاثة البدل قولا واحدا، فإذا وليها ضمير رفع (رأوا، رأيت،...)، أو تاء تأنيث (رأتْ) فلا تقليل فيها، أمّا إذا جاء بعدها ساكن مثل: (رأى الشمس، رأى القمر)، **فتقلّل وقفا فقط**، أمّا كلمة: ﴿أَرَىٰكَهُمْ﴾ الأنفال/44، ففيها الوجهان، **والتقليل مقدّم**.[1]، ولا وجود لهذه الحالة في سورة المائدة.

وتمثّل هذه الحالة **السبب الأخير** من أسباب الإمالة عند الإمام "ورش"، وهو الإمالة من أجل وجود إمالة أخرى فـ "الراء" في المثال السابق إنّما أميلت لأجل إمالة الألف المنقلبة عن "الياء"، وكذلك من أجل إمالة فتحة الهمزة نحو الكسرة.

○ **حالات أخرى:** قلّل "ورش" كلمات وحروفا مخصوصة وهي:[2]

* الكافرين: قلّلها وجها واحدا معرفة ونكرة بشرط أن تكون منصوبة أو مجرورة بالياء، ووقعت هذه الكلمة في سورة المائدة عند أربعة مواضع؛ في الآيات: 56، 69 و70 جاءت هذه الكلمة فيها معرفة: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وفي الآية104 جاءت الكلمة نكرة: ﴿كَٰفِرِينَ﴾.

---

1 عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص ص 95- 96.

2 غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ودار بهاء الدّين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م، ص ص98- 99.

* التوراة: قلّلها وجها واحدا حيثما وقعت، ووردت هذه الكلمة في سورة المائدة في ستّة مواضع (الآيات:45، 46، 48، 68، 70 و112).

* الراء: في: ﴿الٓرۚ﴾، و﴿الٓمٓرۚ﴾.

*الهاء والياء: في: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

* الحاء: في: ﴿حمٓ﴾.

* الهاء: في: ﴿طٰهٰ﴾، أمالها "ورش" إمالة كبرى، وهو الموضع الوحيد عنده.

ملاحـظة: يستثنى من الحروف المذكورة الياء من ﴿يٰسٓ﴾يس/1 ، فلا إمالة فيها.[1]

- **الوجوه الحاصلة من اجتماع ذات الياء مع غيرها:**

أولا: اجتماع ذات الياء مع مدّ البدل:

عند وجود ذات الياء مع مدّ البدل* في الآية الواحدة، يكون فيها أربعة أوجه كما يلي:

أ/ إذا سبق مدّ البدل ذات الياء: ففي البدل أربعة أوجه:[2]

1 ـ قصر البدل مع فتح ذات الياء. 2 ـ توسط البدل مع تقليل ذات الياء.

3 و4 ـ طول البدل مع الفتح والتقليل لذات الياء.

ومثال ذلك من سورة المائدة الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ...﴾/9.

* اجتماع مد البدل المتقدّم على ذات الياء في كلمة واحدة عند قول الله عزّ وجلّ: ﴿... وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ...﴾/50.

---

1 عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق ، ص95.

* مدّ البدل هو أن يتقدّم الهمز فيه على حرف المدّ في كلمة، وليس بعد حرف المدّ همز أو سكون، أو هو كلّ همز ممدود، ويجوز فيه الأوجه الثلاثة: القصر، التوسط والمدّ (الإشباع) وهذا عند "ورش" فقط، أمّا عند "حفص" مثلا ففيه وجه وهو القصر قولا واحدا. **سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1430هـ/2009م، ص216.**

2 محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 69.

* قال تعالى: ﴿... ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾/77.

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ... وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ...﴾/108.

ب/ إذا تقدّمت ذات الياء على مدّ البدل: ففيها أربعة أوجه:[1]

1 و2 ـ فتح ذات الياء مع القصر والطول للبدل

3 و4 ـ تقليل ذات الياء مع التوسط والطول للبدل

ومثال الحالة من سورة المائدة:

* قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ ... إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ ... وَءَاتَىٰكُم ...﴾ /22.

* قال الله عزّ وجلّ: ﴿... ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾/35.

ثانيا: اجتماع ذات الياء مع اللين المهموز*:

أ/ إذا تقدّمت ذات الياء على اللين المهموز، ففيها أربعة أوجه:[2]

1 و2 ـ فتح ذات الياء مع التوسط والطول للين

3 و4 ـ تقليل ذات الياء مع التوسط والطول للين

ولم تجتمع ذات الياء مع اللين المهموز في كلمة أو آية في هذه السورة ولا في موضع من المواضع.

ب/ وإذا تقدّم اللين المهموز على ذات الياء، ففيها أربعة أوجه:[3]

1و 2 ـ توسط اللين مع الفتح والتقليل لذات الياء

3و 4 ـ طول اللين مع الفتح والتقليل لذات الياء

---

1 محمد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، ص 69.

* يسمى مدّ اللين مهموزا في حال ما إذا كان الحرف الواقع بعد الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما همزة قطعية، وهو من ملحقات المدّ المتصل في الحكم، وقد ثبت عن الإمام "ورش" رحمه الله فيه وجهان: التوسط والإشباع وصلا ووقفا مع وجود بعض الاستثناءات...**للتوسع ينظر: حليمة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص ص125- 126.**

2 المرجع نفسه، ص 149.

3 نفسه، ص ن.

ولا يوجد لهذه الحالة إلّا نموذجا واحدا فقط في سورة المائدة، وهو قوله تعالى:

﴿... لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ...﴾/33.

ثالثا: اجتماع البدل مع ذوات الياء مع اللين المهموز، ففيه ستة أوجه:[1]

1. قصر البدل مع فتح ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
2. التوسط في البدل مع تقليل ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
3. الطول في البدل مع فتح ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
4. الطول في البدل مع فتح ذات الياء مع الطول في اللين المهموز.
5. الطول في البدل مع تقليل ذات الياء مع التوسط في اللين المهموز.
6. الطول في البدل مع تقليل ذات الياء مع الطول في اللين المهموز.

ومثال ذلك من سورة المائدة النموذجان التاليان:

* يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿... ءَامَنَّا ... ءَاخَرِينَ ... أُوتِيتُمْ ... شَيْـًٔا ... ٱلدُّنْيَا ... ٱلْءَاخِرَةِ ...﴾/43.

* وقوله أيضا في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ... فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ...﴾/96.

ففيهما ستة أوجه على <u>الترتيب</u>:

1 ـ قصر البدل مع التوسّط في اللين المهموز وفتح ذات الياء.

2 ـ توسّط البدل مع التوسّط في اللين المهموز وتقليل ذات الياء.

3+4: طول البدل مع التوسّط والطول في اللين المهموز وفتح ذات الياء.

5+6: طول البدل مع التوسّط والطول في اللين المهموز وتقليل ذات الياء.

<u>ملاحــظة هــامــة</u>: تمتنع عند الإمام "ورش" الحالات التالية:[2]

1. قصر البدل مع تقليل ذات الياء.
2. توسط البدل مع فتح ذات الياء.

---

1 حليمة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، ص150.

2 المرجع نفسه، ص ن.

3. الطول في اللين المهموز، مع التوسط والقصر في البدل.

ونظرا لعدم حصول هذه الوجوه عند "ورش"، فقد وقع الاستثناء في الكثير من حالات اجتماع ذات الياء مع مدّ البدل، أو اللين المهموز أو معهما معا، ويمكن رصد بعض النماذج من سورة المائدة كما يلي:

*** اجتماع ذات الياء مع مدّ البدل:**

أ/ حالات تقدّم مدّ البدل على ذات الياء:

- اجتماع مدّ البدل مع ذات الياء في كلمة "آثارهم" في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ...﴾/48، وكذا اجتماعهما في كلمتين في ذات الآية: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ...﴾/48.

- اجتماع مدّ البدل مع ذات الياء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ ...﴾/53، وقوله: ﴿... ٱلْيَهُودَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ...﴾/84.

ففي جميع هذه الحالات يترتّب على اجتماع مدّ البدل مع ذات الياء المتأخّرة عنه وجهان بدل عن أربعة أوجه استثناءً هما: توسّط البدل وطوله مع تقليل ذات الياء.

ب/ حالات تقدّم ذات الياء على مدّ البدل، وفي سورة المائدة حالة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿... تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ... يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ...﴾/85. ويترتّب على هذا الاجتماع وجهان بدل أربعة أوجه استثناءً هما: تقليل ذات الياء مع التوسط والطول في مدّ البدل.

*** اجتماع اللين المهموز مع ذات الياء مع مدّ البدل** على هذا الترتيب، وقد حدث هذا الاجتماع في سورة المائدة عند موضع واحد فقط في قوله تعالى: ﴿... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ... وَإِذْ تُخْرِجُ ... ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ...﴾/112. وفي هذا الاجتماع وجها واحدا فقط بدلا عن ستة أوجه المذكورة سلفا، وهو: توسط اللين المهموز مع فتح ذات الياء وقصر مدّ البدل.

إنّ للأداء الصوتي لظاهرة الإمالة في القرآن الكريم عموما، وفي نص سورة المائدة على وجه الخصوص دلالة ومعنى سياقي، نحاول فيما يلي تسليط الضوء على بعض حالاته من خلال النماذج التالية:

○ قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾/23.

وقع التقليل هنا في كلمة "أدباركم"، أميلت فيها الألف المتوسطة المتبوعة بالراء المتطرّفة (أَدْبَارِ) نحو الياء، يقول "الزمخشري" في "الكشّاف" مفسّرا قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِكُمۡ ...﴾ أي: «ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا (...)؛ لا ترتدّوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربّكم وعصيانكم نبيّكم، فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة.»[1]

وفي هذه الآية الكريمة أمر، ومعلوم أنّ الأمر في القرآن يدلّ على الوجوب والإلزام، ثمّ إنّ التراجع عمّا هو مأمور به يعني انحراف وعدول عن الاتجاه الصحيح، وفي هذا ما يتماشى مع دلالة الإمالة ومعناها المراد.

○ قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾/68.

للإمالة في كلمة "التوراة" دلالتان: الأولى: دلالة التماثل؛ وقعت الألف الممالة هنا بعد الراء المرقّقة «إذ أنّ الترقيق يؤثّر في الفتحة الطويلة، فتنزاح قليلا عن الفتح الخالص، ولعلّ هذا نتيجة تأثّر الأصوات المتجاورة بعضها بعضا.»[2] ، والأخرى دلالة: الميل عن جادّة الصواب والانحراف عن الاستقامة؛ فتحريف التوراة وعدم إقامتها من شأنه أن يتناسب مع معنى الإمالة، يقول الشيخ "الصابوني": «لو أنّهم استقاموا على أمر الله، وعملوا بما في

---

1 الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج6، تح: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ/2009م، ص285.

2 عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، ص54.

التوراة والإنجيل، وبما أنزل الله في هذا الكتاب الجليل الذي نُزِّلَ على خاتم الرسل (ص)، لوسّع الله عليهم الأرزاق، وأغدق عليهم الخيرات بإفاضة بركات السماء والأرض عليهم.»[1]

وهذا الانحراف عن الاستقامة لا يعمّ كلّ أهل الكتاب، بل إنّ منهم أمّة مقتصدة؛ أي «جماعة معتدلة مستقيمة غير غالية ولا مقصّرة، وهم الذين آمنوا بمحمّد (ص)، كعبد الله بن سلام، والنجاشي وسَلْمَان...»[2]، وهذا من شأنه أن يزيد من معنى الانحراف، لأنّ المعنى ينكشف بإيراد الضدّ.

○ قال تعالى: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾/69.

هناك علاقة بين الإمالة ودلالتها في لفظة "الكافرين"، فالانسجام بينهما في الصيرورة والتحوّل من حال إلى آخر واضح وجلّي، فالإمالة تدلّ ـ كما أشرنا ـ عن الجنوح والانزياح عن الألف المستوية، كذلك الشأن مع كلمة "الكافرين"، إذ تدلّ على الميل والانحراف عن الاعتدال؛ ذلك أنّ الكفر نقيض الإيمان، يقول الإمام "الطبري" في تفسير الآية السابقة: «إنّ الله لا يوفّق للرشد من حاد عن سبيل الحقّ، وجار عن قصد السبيل، وجحد ما جئته به من عند الله، ولم ينته إلى أمر الله، وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه.»[3]

○ قال عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ...﴾/110.

من المعاني التي تؤديها الإمالة: معنى القرب، لأنّ فيها تقريب الحركة (طويلة أو قصيرة) من حركة أخرى (طويلة أو قصيرة)، وهذا ما يتلاءم مع دلالة لفظة "أدنى" في هذه الآية، والتي تعني "القرب والدنو"، يقول "أحمد المراغي": «أي ذلك الذي شرعناه من تكليف المؤتمن على الوصية أن يقوم على مرأى من النّاس، ويشهد بعد الصلاة ويقسم الأيمان المغلظة، أدنى الطرق وأقربها إلى أن يؤدي الشهداء الشهادة على وجهها، بلا تبديل ولا تغيير تعظيما لله ورهبة من عذابه ورغبة في ثوابه، أو خوفا من الفضيحة التي تعقّب استحقاقهما

---

1 الصابوني، محمّد علي: صفوة التفاسير، مج1، ج6، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1402هـ/1981م، ص353.

2 المرجع نفسه، مج1، ج6، ص ن.

3 الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج3، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م، ص137.

الإثم في الشهادة، بردّ أيمان الورثة بعد أيمانهم تكون مبطلة لها؛ إذ من لم يمنعه خوف الله وتعظيمه أن يكذب لضعف دينه، يمنعه خوف الخزي والفضيحة بين الناس.»[1]

خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى استخلاص جملة من النتائج، يمكن رصدها في النقاط التالية:

1. تفرّد الإمام "ورش" رحمه الله دون غيره من القراء بالإمالة بشقيها: الصغرى (التقليل) والكبرى.
2. إنّ الإمالة كغيرها من الظواهر الصوتية الأخرى على غرار: الإدغام، التفخيم والترقيق، الإبدال والإعلال، الهمز وغيرها، إنّما جنحت اللغة العربية إلى توظيفها في صياغة كلامها لغرضين أساسيين، أولهما: تحقيق التناسب والتجانس بين الأصوات لضرب من المماثلة، والآخر طلبا للخفّة والسلاسة والسهولة في النطق؛ فالعربية واحدة من اللغات التي تحرص كلّ الحرص على سلامة نسيجها من كلّ ما يجعله ثقيلا منفّرا، وما الإمالة إلاّ سبيلا من أجل التخلّص من ذلك.
3. كان لصلة الصوت بالمعنى من خلال ظاهرة الإمالة وضوحا وبروزا على مستوى سورة المائدة، حيث تمّ التوصّل إلى عقد هذه العلاقة من خلال آليتين هما: اسم الظاهرة الصوتية، والتي كان لها نصيبا كبيرا من دلالة الصوت مع الاستعانة طبعا بالمعاني اللغوية أو الاصطلاحية، لتدلّ الإمالة بذلك على القرب والدنو والانتحاء هذا من جهة، والميول والعدول والانحراف من جهة أخرى، أمّا الآلية الثانية فهي: الأداء، أو بتعبير أكثر دقّة: الخصيصة الفسيولوجية التي يتميّز بها نطق الظاهرة الصوتية.

---

1 المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، مج3، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، ص ص29- 30.

قائمة المصادر والمراجع:

- ***القرآن الكريم برواية ورش عن نافع بالخط المغربي***

1. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/ 2003م.
2. ابن جزري، أبو الخير محمّد بن محمّد بن محمّد بن علي بن يوسف الدمشقي: النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس.
3. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب،تح: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/1993م.
4. جيلالي بن يشو: بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي (المماثلة والمخالفة) مصطلحات المماثلة والمخالفة وظواهرهما في العربية الفصحى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م.
5. حليمة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، دار الواضح للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1435هـ /2014م.
6. ابن خالويه، الحسين بن أحمد: الحجّة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/ 2007م.
7. الدمياطي، أحمد بن محمّد البنا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تح: شعبان محمّد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ومكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ/1987م.
8. الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ/2009م.
9. سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1430هـ/2009م.
10. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ودار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط2، 1402هـ/1982م.
11. سيدي إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1415هـ/1995م.
12. الشيرازي، نصر بن علي بن محمّد أبو عبد الله الفارسي النحوي (ابن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ/1987م.
13. الصابوني، محمّد علي: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط4، 1402هـ/1981م.
14. صفية طبني: ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للألوسي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 1433هـ/ 2012م.
15. الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1994م.
16. عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية: المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ/ 2004م.
17. عبد الرحمن عاشور خضراوي الحسني: أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، مكتبة الرضوان، مصر، دط، 2005م.
18. عبد العزيز علي سفر: الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، تح: المؤلف نفسه، السلسلة التراثية للنشر، الكويت، دط، 1422هـ/ 2001م.

19. عبد الفتّاح إسماعيل شلبي: في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدّة، السعودية، دط، 1429هـ/ 2008م.
20. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1418هـ/ 1998م.
21. عبد الكريم مقيدش: مذكرة في أحكام التجويد برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، دط، 2008م.
22. عبد المهدي كايد أبو أشقير: تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش وقالون في قراءة نافع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.
23. عصام نور الدّين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
24. غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، دط، 1984م.
25. غنية بوحوش: القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية والشرعية في قراءة أبي عمرو البصري أنموذجا، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.
26. غنية بوحوش: الوجيز النافع في أصول رواية ورش عن نافع، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ودار بهاء الدّين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م.
27. المبرد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد: المقتضب، تح: محمّد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ/ 1994م.
28. محمّد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، مصر، دط، 1404هـ/ 1984م.
29. محمّد نبهان بن حسين مصري: الإستبرق في رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (الشاطبية)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدّة، السعودية، ط2، 1428هـ/2007م.
30. محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، 1424هـ/ 2003م.
31. محمود مَطْرَجِي: في الصرف وتطبيقاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م.
32. المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1 ،1421هـ/2001م.
33. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.
34. هادي نهر: علم الأصوات النطقي دراسة وصفية تطبيقية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ/ 2011م.
35. ابن يعيش، موفّق الدين بن علي النحوي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دس.

الجهر و الهمس في عرف الفلاسفة المسلمين
ـ ابن سينا أنموذجا ـ

The whispering and whispering of Muslim philosophers
Ibn Sina model

نصيرة شيادي*

تاريخ تقديم البحث **2017/11/03** تاريخ القبول **2018/04/1**

ملخص

يبحث هذا البحث في مفهوم الجهر والهمس في التراث الصوتي الفلسفي العربي و بالضبط عند ابن سينا فلقد شاع في عرف الدارسين المحدثين أنّ القدماء لم يدركوا كُنه الجهر و الهمس و سبب هذا الزعم أنّ القدماء و ابن سينا واحد منهم لم يربطوا الجهر و الهمس بالوترين الصوتيين ذلك الربط الذي يشيع عند علماء الأصوات المحدثين و لكن هذا لا يمنع أنّ لابن سينا طرقه العلمية الخاصة لإدراك حقيقة الظاهرتين ـ الجهر و الهمس ـ فالرجل طبيب بالدرجة الأولى و هذا ما كان له بالغ الأثر في تكوينه العلمي و هذا ما انعكس على تفكيره و من ثَمّ طريقته في شرح ظاهرتي الجهر و الهمس و سيتضح في هذا المقال الطرق التي تبناها ابن سينا بغية الوصول لحقيقة الجهر والهمس هذه الطرق التي كان لها بالغ الأثر في دراسات من تلاه .

الكلمات الدالة : الصوت ؛ الجهر ؛ الهمس ؛ الفلاسفة ؛ الاهتزاز ؛ الوترين الصوتيين .

Abstract

This research investigates the concept of whispering and whispering in the Arab philosophical and philosophical heritage, and exactly in Ibn Sina. It has become common in modern scholars to know that the ancients did not realize the meaning of the whispering and whispering. The reason for this claim is that the ancients and Ibn Sina did not connect to the sound and whisper This connection, which is common among modern sound scientists, but this does not prevent that Ibn Sina methods of scientific special to understand the reality of phenomena of whispering and whispering, the man is a doctor in the first degree and this has had a profound impact in the composition of science and this is reflected in his thinking and then His way to explain the phenomena of the whisper and whisper will be clear in This article is the methods adopted by Ibn Sina in order to reach the truth of the utterance and whispering of these methods which have had a great impact in the studies of his followers.

Keyboard : Sound; whispering; whisper; philosophers; vibration;

*قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات ، جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ

مقدمة

للعرب قدم راسخة و جهود فائقة في منظومة البحث اللغوي بكاملها لذلك لم يكن شاذا ولا غريبا أن يورثنا هؤلاء الأئمة تراثا لغويا ضخما يحمل تفكيرا لغويا ناضجا " لم يزل بعض جوانبه تُضارعُ بل تفوق ما يقابلها من وجوه النظر في الدرس اللغوي الحديث " [1]

و من هذا التراث العلمي نلمس قيمة ما طلع علينا به هؤلاء القوم من معارف صوتية ناضجة هي اليوم محلّ إعجاب و تقدير أئمّة اللغة في الغرب . فلقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم و قد أرادوا بها خدمة اللغة العربية و النطق العربي و لا سيما في الترتيل القرآني ولقُرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية و اتّصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحس دقيقي الملاحظة فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم.[2]

و لكنّ الجهود الصوتية للفلاسفة المسلمين ظلّت شبه منسية لأنّ الأذهان والأنامل كانت تتّجه إلى النحاة و اللغويين في كلّ مرّة تُذكرُ فيها المفاهيم الصوتية إلاّ أنّه لا يُمكن لأيّ أحدٍ من الدارسين أن يُنكرَ التطوّر الصوتي الذي أحدثه الفلاسفة المسلمون في دراسة الأصوات . فلقد أحسّوا بالقيمة المعنوية لأصوات اللغة و بنية ألفاظها و خصائص المواد الصّوتية المشكلة لها . ذلك ما يُشير إليه ابن رشد (ت 595 هـ) في قوله : " و إنما صارت الألفاظ و الأصوات تفعلُ في هاتين الصناعتين

[1] ـ المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب : رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ، المهدي بوروبة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، حلب ، 1409هـ ، 1989 م ، ص 117 .

[2] ـ الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 4 ، 1971 م ، ص 5 .

(الخطابة و الشعر) هذا الفعل من جهة أنها تخيّل في المعنى رفعة أو خسّة و بالجملة أمرا زائدا على مفهوم اللفظ مثل غرابة اللفظ فإنها تخيّل غرابة المعنى و النغم كذلك يُفيد فيه هذا المعنى أيضا " [1]

هذا الإحساس و الاتفاق على القيمة المعنوية للأصوات من لدُن الفلاسفة المسلمين لا يعني بالضرورة الاتفاق حول الأسباب و الدوافع التي جعلتهم يخوضون غمار البحث الصوتي فالدراسة الصوتية لم تكن مسعاهم و لا هدفهم فالغاية التي من أجلها قام الكندي (ت 256هـ) بدراسة أصوات العربية في رسالته اللثغة هو الحديث عن عيوب النطق و اهتمّ الفارابي (339هـ) في كتابه الموسيقى الكبير بدراسة الأصوات بُغية التقديم لدراسة الموسيقى ، أما ابن سينا (ت 428هـ) فالغاية التي من أجلها قام بدراسة الأصوات هي من باب العناد . فيروى أنه كان جالسا يوما بين يدي الأمير و أبو منصور الجبائي [*] حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره فالتفت الجبائي إلى الشيخ يقول : إنك فيلسوف و حكيم و لكنك لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها . فاستنكف الشيخ من هذا الكلام و توفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، و استهدى كتاب (تهذيب اللغة) من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري (ت 370 هـ) فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلّما يتّفق مثلها . [2]

فالشيخ الرئيس جمع إلى الفلسفة التي اشتهر بها علوما أخرى كثيرة حتى صحّ أن يقول عنه الأب قنواتي " كان ابن سينا من الرجال القلائل في العالم الإسلامي الذين يصحّ أن

---

[1] ـ تلخيص الخطابة : أبي الوليد بن رشد ، تحقيق و شرح : محمد سليم سالم ، القاهرة ، 1387هـ 1967 م ، الكتاب 14 ، ص 530 .

[*] ـ هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره و إليه نسبة الطائفة الجبائية نسبته إلى جبى من قرى البصرة و له تفسير حافل مطول ردّ عليه الأشعري . ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 15 ، مايو 2002 م 6 / 256 .

[2] ـ الإشارات و التنبيهات : أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، شرح : نصر الدين الطوسي و تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، 1983 م ، 1 / 94 و ينظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، شرح و تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت دط ، دت ، ص 442 ـ 443.

نسمّيهم موسوعيين أو كما يسمّوه اليوم كتاب دائرة المعارف " [1] و أن يقول عنه شاكر الفحام : " كانت إحاطته بالعلوم شاملة و كان شغفه بالمعرفة لا حدود له . " [2]

و إذا كانت دراسة الأصوات اقترنت لدى كلّ من الخليل (ت 175 هـ)

و سيبويه (ت 180هـ) و المبرد (ت 285هـ) و ابن السراج (ت 316هـ)

و ابن جني (392 هـ) و سواهم بالنحو فقد اتّسمت لدى ابن سينا بالاستقلال عن مسائل اللغة الأخرى فعُني عناية شديدة بأعضاء النطق و طرائق هذه الأعضاء في أداء وظيفتها النطقية و مدارج الأصوات التي تصدر عنها و صفات كل صوت مُفرِدا كتابا مستقلا هو الأول من نوعه في التراث اللغوي العربي سماه (رسالة أسباب حدوث الحروف) فحديثه فيها أشبه بحديث علماء وظائف الأعضاء فلا نكاد نلمحُ فيها تأثره كغيره بكتاب سيبويه . فله مصطلحاته و له وصفه الأصيل لكل صوت مما جعله محلّ إعجاب و تقدير من بعض اللغويين المحدثين . [3]

إنّ إفراد ابن سينا رسالة خاصة بالأصوات اللغوية عمل يشبه ما قام به عالم اللغة السنسكريتي بانيني (Panini) الذي وضع أول كتاب في أصوات اللغة السنسكريتية بعد أن ظلّ سابقوه يخلطون دراسة الأصوات بقواعد الصرف و النحو . [4]

و لكن دراسة ابن سينا لأصوات اللغة دراسة أصيلة ليست منقولة في منهجها أو طريقة التفكير فيها عن غيره من الأمم و القول بأنها ترجع إلى أعمال الهنود أو اليونان قول تعوزه الأدلة العلمية التي تستطيع أن تؤكد هذا الزعم و أن تنفيه . على أنّ النظر الدقيق في جملة ما طلع علينا به هؤلاء علماء العربية . و من بينهم ابن سينا . في مجال الأصوات

---

[1] ـ ينظر : أنا و اللغة و المجمع ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1422هـ 2002 م ، ص 39 .

[2] ـ أنا و اللغة و المجمع : ص 39 .

[3] ـ المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1417هـ ، 1997 م ، ص 17 ـ 18 .

[4] ـ ينظر : البحث اللغوي عند الهنود و أثره على اللغويين العرب : أحمد مختار عمر ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، دط ، 1972 م ، ص 45 .

اللغوية يحملنا على الجزم بأنّ العرب كانوا يصدرون عن عقليتهم الخاصة و ثقافتهم العربية.[1]

يُمكننا أن نقول إنّ الدراسة التي عكف عليها ابن سينا منذ صباه ووجه إليها أكثر طاقاته و كرّس لها جهده و هي دراسة علوم الطبيعة والطب و التشريح و المنطق و الفلسفة هي التي أخذت بيديه إلى فهم التراث الصوتي فهما دقيقا و إلى ما توصّل إليه و قدّمه من معلومات عن غير سبق . فهذه الدراسة كشفت له عن أشياء كانت متوارية تماما عن أعين من تقدّموه و أوقفته على كُنه أصوات نأت حقيقتها عن أفهام من قبله و بعدت عن تصورها عقولهم .[2]

فعلا ابن سينا اطّلع على ثقافات من سبقوه سواء أكانوا من الفلاسفة اليونانيين أو النحاة و اللغويين العرب و القراء إلاّ أنّ هذا الاطّلاع لم يمنعه من الإبداع هذا الأخير الذي يعتبره العامة الاختراع الجديد لا عن مادة في حين يعتبره الحكماء إدامة تأييس ما هو بذاته .[3]

فإبداع ابن سينا في مجال دراسة الأصوات لم يأت اعتباطا و إنما نتج من المعجم العلمي الذي امتلكه مما كان له الأثر في دراسته الصوتية التي لفتت أنظار الباحثين إلى حاجتهم إلى علوم أخرى كعلم التشريح للوقوف على أجزاء الحنجرة و التعرف على دورها في نطق الأصوات وأنه قد يعتريها الضيق و الاتساع تبعا لحركة الغضاريف فيها مما له علاقة بالجهر و الهمس و لقد قرر غير واحد من الباحثين أنّ القدماء من العرب و ابن سينا واحد منهم لم يكونوا على معرفة بالوترين

---

[1] ـ ينظر : التفكير اللغوي بين القديم و الحديث : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع دط ، 2005 م ، ص 381 ـ 382 .

[2] ـ علم الأصوات اللغوية : أحمد عبد التواب الفيومي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، دط ، 2009 م ، ص 21 .

[3] ـ المبدأ و المعاد : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا باهتمام : عبد الله توراني ، مؤسسة مطالعات إسلامية ، طهران ، 1363هـ ، ص 77 .

الصوتيين [1] و علاقتهما بالجهر و الهمس معللين ذلك بعدم الاعتماد على الوسائل الحديثة و لكن ما سنورده من أدلة دامغة سيثبت عكس ذلك

1 ـ ارتباط تعريف الجهر و الهمس بالوترين الصوتيين

يعود اكتشاف دور الوترين الصوتيين في عملية التصويت إلى Frakas Kempelen و هو أول صوتي أوربي له معلومات محددة حول دور الوترين الصوتيين في التمييز بين الأصوات المجهورة و المهموسة و قد اخترع أيضا الآلة المتكلمة Machine parlente .[2]

و الصوت المجهور في عرف المحدثين هو الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان عند النطق به و الصوت المهموس هو الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان عند النطق به [3] و لكنّ الهمس لا يعني الصمت المطبق للأوتار الصوتية أي ليس للنفس معه ذبذبات بل يحدث ذلك بنسبة قليلة بدليل إدراك الأذن البشرية لتلك الأصوات .[4]

و قد عدّ (داود عبده) الفرق الحقيقي بين المجهور و المهموس " هو أنّ ذبذبة الوترين الصوتيين تبدأ متأخرة قليلا عند نطق الأصوات غير المجهورة " [5]

و بالتالي فظاهرتي الجهر و الهمس تتصلان اتّصالا وثيقا بمفهوم الذبذبة ، و هو مفهوم فيزيائي يتصل بظاهرة الصوت فالذبذبات الصوتية التي يمكن سماعها بالأذن تقع في

---

[1] ـ ينظر على سبيل المثال : دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو و نقله إلى العربية و ذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي صالح القرمادي ، نشر مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية الجامعة التونسية ، دط ، 1966 م ، ص 34 و ينظر : الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني : حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، دط ، 1980 ، ص 313

[2] ـ مجلة جامعة القرويين من مقال بعنوان : مفهوم الجهر و الهمس عند سيبويه ، عبد الحميد زاهيد المملكة المغربية ، العدد 12 ، 1421هـ ، 2000م ، ص 272 .

[3] ـ الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، ص 20 ـ 21 .

[4] ـ الأصوات اللغوية : عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1998 م ، ص 123 .

[5] ـ دراسات في علم أصوات العربية : عبده داود ، دار جرير للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2010 م ، 2 / 42 .

حدود 20 إلى 200 هيرتس في الثانية و مصدرها في مجال الصوت الإنساني هما الوتران الصوتيان الكائنان في الحنجرة و تتّخذ الشكل الآتي :[1]

الهواء المدفوع من الرئتين ← اهتزاز الوترين الصوتيين ← انتقال الذبذبات في الوسط الهوائي ← استقبالها من الأذن .

و العلماء القدماء و بالضبط ابن سينا أدرك الاهتزاز الذي يصاحب نطق بعض الأصوات دون بعض بحسّه المرهف و معرفته الواسعة بعلم التشريح و على الرغم من أنه لم يذكر مصطلح الوترين الصوتيين في أيّ من كتاباته إلاّ أنه أدرك دورهما في عملية التصويت و هو بذلك ينفي زعم أولئك المحدثين من أمثال (عبد العزيز الصيغ) الذي يُنكر على العرب معرفتهم بالوترين الصوتيين بقوله : " و الوتران الصوتيان من الأعضاء التي خفيت على علماء العربية وظيفتهما "[2] و يقول (جان كانتينو) :" و أما الأوتار الصوتية فلا يبدو أنّ العرب قد عرفوها "[3]

إنّ مصطلحا الجهر و الهمس[*] اللذين أبدعهما أئمة اللغة[4] و ورثهما فيما بعد ابن سينا عنهم ذكرهما إلى جانب مصطلح الخفوت في مواضع عدّة من مؤلفاته . فقد ذكر مصطلح الجهر في المقالة الثانية من الفصل الخامس من كتابه الشفاء في معرض حديثه عن السمع .[5] و ذكر الهمس في الفصل الخامس من رسالته أسباب حدوث الحروف في معرض

---

[1] ـ منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث : علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط 1 ، 1986 م ، ص 69 ـ 70 .

[2] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 1421هـ ، 2000 م ، ص33

[3] ـ دروس في علم أصوات العربية : ص 18 .

[*] ـ يعرف سيبويه المجهور بقوله : " حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، و منع النفس أن يجريَ معه حتى ينقضي الاعتماد عليه و يجري الصوت " و يعرف المهموس بقوله : " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه " الكتاب : سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، دت ، 4 / 434 .

[4] ـ المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب : ص 240 .

[5] ـ كتاب الشفاء ـ الفن السادس من الطبيعيات ـ علم النفس ، أبي علي الحسن بن عبد الله بن سينا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، باريس ، دط ، 1982 م ، ص 89 .

حديثه عن الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب حيث ذكر ثلاثة حروف تشبه الجيم لا توجد في العربية و الفارسية و لكن توجد في لغات أخرى و كلها فيها ما في الجيم من استعمال رطوبة تفعل جرسَها و هي الرطوبة المعدّة وراء الحبس ويكون عليها اعتماد الهواء عند الإطلاق ، فإذا سُلبت هذه الرطوبة و اعتمد الجزء الذي وقع عليه الحبس حدث هناك همس .[1] و ذكر الخفوت [*] في كتابه الشفاء يقول : " أنّ الأصوات تتخالف بجهارةٍ و خفاتةٍ و ذلك من اختلافاتها البعيدة عن الفصول ، و تتخالف بحدّة و ثقل و ذلك من اختلافاتها المناسبة للفصول و التي يختلف حُكم التأليف بها . " [2]

و لكنّ ابن سينا اختلفت طريقته عن سابقيه و لاحقيه في معرفة كنهِ الجهر و الهمس فمن خلال عرضه لمحابس أصوات العربية أمكننا التوصل إلى أنّه أدركهما و حاول تفسيرهما بطريقتين . طريقة علمية رياضية تعتمد على التناسب و طريقة علمية محضة تقارب ما وُقّر في الدرس الصوتي الحديث معتمدا في ذلك على ظاهرة الاهتزاز . كما ذكر الشيخ الرئيس من أعضاء النطق ما يوحي بمعرفته الجيدة بالوترين الصوتيين رغم عدم ذكره لهما .

2 ـ التناسب و إدراك الجهر و الهمس

لقد أشار ابن سينا لمصطلح التناسب في أكثر من موضع من رسالته وذلك لإدراكه أنّ فكرة العلم الرياضي هو الأنموذج لكل دقة و سلامة منطق و هو صالح للاقتداء

---

[1] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا ، تحقيق : محمد حسان الطيان و يحيى مير علم ، مراجعة و تقديم : شاكر الفحام ، أحمد راتب النفاخ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط 1، 1403هـ ، 1983 م ، ص 87 ـ 128 .

[*] ـ الخفوت لغة : ضُعف الصّوت من شدّة الجوع . يقال : صوت خفيض خفيت . وخفت الصّوت خفوتا سكن . وخافت بصوته : خفضه . وفي حديث عائشة قالت : ربّما خفت النبي صلى الله عليه وسلم بقراءته ، وربما جهر. وحديثها الآخر : أنزلت " و لا تجهر بصلاتك ولا تُخافت بها." في الدعاء. و قيل في القراءة والخفت ضدّ الجهر . ينظر : لسان العرب : ابن منظور ، راجعه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424هـ ، 2003 م ، مادة (خفت) 2 / 33 ـ 34.

[2] ـ الشفاء ـ الرياضيات ـ جوامع علم الموسيقى ، ابن سينا ، تحقيق : زكريا يوسف ، تصدير و مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني و محمود أحمد الحفني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1376هـ ، 1956 م ، ص 10 .

به عند أيّ وصف علمي هذا من جهة و من جهة أخرى وظّف مصطلح التناسب في وصف العلاقات بين بعض الأصوات إيجازا ودقة في لغته العلمية فمثلا يصفُ العلاقة بين أصوات : الخاء و القاف والغين و الكاف و الذال و الزاي و الثاء والسين بالتناسب الآتي : " و نسبة الكاف إلى الغين هي نسبة القاف إلى الخاء ." [1] و" الذال نسبتها إلى الزاي نسبة الثاء إلى السين بعينه..." [2]

و يبدو أنّ هذا التناسب يُشير إلى العلاقة بالنسبة للصّفة . فالفرق بين الكاف و الغين هو ذاته الفرق بين القاف و الخاء و هو فرق في صفتي الجهر و الهمس . فالكاف مهموسة و الغين مجهورة في حين أنّ القاف مجهورة والخاء مهموسة . أمّا الذال فتشترك مع الزاي في الجهر. و في المقابل الثاء تشترك مع السين في الهمس .

3 ـ الاهتزاز و إدراك الجهر و الهمس

من الممكن أن يكون ابن سينا قصد بهذا المصطلح ذاك الأثر السمعي الذي صاحب نُطقَ بعض الأصوات إلاّ أنّه لم يوضّح طبيعة الجسم المهتز فكان يُعبّرُ عنه بمصطلح سطح اللسان و سطح الحنك والرطوبة كما في وصفه لأصوات الزاي و الغين و الذال مثلا .

فقد أوضح ابن سينا أنّ الزاي تحدث قريبا من موضع السين و الصاد والفرق فقط في الاهتزاز الذي يُصاحبها أي أنّه فرْق في الجهر و الهمس . فالزاي مجهورة و السين والصاد مهموستين يقول : " و أمّا الزاي فإنها تحدث أيضا قريبا من الموضع الذي تحدث فيه السين و الصاد و لكن يكون طرف اللسان فيها أخفض و ما بعده أقرب و أرفع من سطح الحنك كالمماس بالعرض أجزاء دون أجزاء و لكنها أقل أخذا في الطول مما يأخذه المقرّب من سطح الشجر و الحنك في السين و الغرض في ذلك أن يحدث هناك اهتزاز على سطح اللسان و سطح الحنك ليجتمع ذلك الاهتزاز مع الصفير الذي يكون من تسرب الهواء إلى

[1] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 74 ـ 75.
[2] ـ المصدر نفسه : ص 120 ـ 121 .

خلل الأسنان و أما في سائر الأشياء فهو كالسين ويكاد الاهتزاز الذي يقع في الزاي أن يكون تكريرا كالتكرير الواقع في الراء ." [1]

و في وصف ابن سينا لصوت الغين يقول : " و يكون الاهتزاز في تلك الرطوبة أكثر منها فيما سلف" [2] و أمّا الذال فيوضّح أنها تفارق الثاء بالاهتزاز. [3]

و معنى هذا أنّ ابن سينا قد فطن إلى وجود اهتزاز يصاحب نُطق الزاي والذال و الغين وأنّ هذا الاهتزاز في تكراره يُشبه التكرار الواقع في الراء وهذه نقطة تُحسبُ لصالحه ولكن الشيء الذي يُؤخذ عليه هو عدم اهتدائه إلى العضو المهتز إذ جعله ابن سينا كما سبقت الإشارة إلى ذلك سطح اللسان أو سطح الحنك أو الرطوبة مع أنّه في الواقع الوتران الصوتيان في منطقة الحنجرة و يبدو أنّ وجود الوترين الصوتيين في موضعهما المذكور لم يهتد إليه القدماء و لذا لم يرد لهما ذكر في الكتب الطبية و التشريحية العربية [4] و لكن ابن سينا استعمل مصطلحات للدلالة عليهما .

4 ـ مصطلحات دالة على إدراك الوترين الصوتيين

استعمل ابن سينا لفظ الجرم الشبيه بلسان المزمار [5] و الشيء الذي يسمى لسان المزمار [6] و الجسم الشبيه بلسان المزمار [7] للتعبير عن الأوتار الصوتية و وصفهما بأنها الآلة الأولى للصوت . [8]

---

[1] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 120 ـ 121.
[2] ـ المصدر نفسه : ص 116.
[3] ـ المصدر نفسه : ص 122.
[4] ـ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثر و التأثير : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، ط 6 ، 1988 م ، ص 112.
[5] ـ القانون في الطب : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن علي بن سينا ، وضع حواشيه : محمد أمين الضناوي ، منشورات محمد عل بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1420هـ 1999 م ، 2 / 302
[6] ـ المصدر نفسه و الصفحة نفسها .
[7] ـ المصدر نفسه 2 / 322 .
[8] ـ المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

فابن سينا ذكر لسان المزمار قاصدا به فتحة ما بين الوترين الصوتين أو ما يسمى بفتحة المزمار حيث جعل للسان المزمار دورا رئيسيا في عملية التصويت يقول" و خُلق لأجل التصويت الشيء الذي يسمى لسان المزمار " [1]

و نسب ابن سينا للسان المزمار تكرار الضم و الفتح لينتج الصوت قال :

" ...يتضايق عنده . أي لسان المزمار. طرف القصبة ثم يتسع عند الحنجرة فيبتدئ من سعة إلى ضيق ثم إلى فضاء واسع كما في المزمار فلا بد للصوت من تضييق المحبس و هذا الجرم الشبيه بلسان المزمار من شأنه أن ينضمّ و ينفتح ليكون بذلك قرع الصوت " [2]

و ليس في الحنجرة شيء ينضم و ينفتح غير فتحة المزمار تبعا لحركة الوترين الصوتيين فانقباض فتحة المزمار و انبساطها عملية يقوم بها المرء في أثناء حديثه دون أن يشعر بها في معظم الأحيان . و حين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار ولكنها تظلّ تسمح بمرور النفس خلالها فإذا اندفع الهواء خلال الوترين وهما في هذا الوضع يهتزان اهتزازا منتظما و يُحدثان صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب عدد هذه الهزات أو الذبذبات في الثانية كما تختلف شدته أو علوّه حسب سعة الاهتزازة الواحدة و علماء الأصوات اللغوية يسمّون هذه العملية بجهر الصوت . [3]

و يتلخص من هذا أنّ المراد بلسان المزمار عند ابن سينا فتحة ما بين الوترين الصوتيين التي تعرف بفتحة المزمار.

كما عرض الدكتور (عادل أبو شعر) نص ابن سينا السابق على الدكتورين (محمد عبد الرزاق و محمد أمين الكسم) الاستشاريين في طب الأنف و الأذن و الحنجرة وأجمعا أنّ ابن سينا إنما يتحدث عن الأوتار الصوتية . أمّا الغضروف الذي يسمى حديثا بلسان المزمار فقد سماه ابن سينا بالغضروف المتكئ على المجرى و ذكر من وظيفته تسهيل

---

[1] ـ المصدر نفسه 2 / 302

[2] ـ القانون في الطب 2 / 302

[3] ـ الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، ص 20 ـ 21 .

عملية البلع كما هو معروف طبّيّا . [1] يقول ابن سينا : " و خصوصا و الازدراد [*]لا بجامع النفس لأنّ الازدراد يحوج إلى انطباق مجرى قصبة الرئة من فوق لئلاّ يدخلها الطعام المار فوقها ويكون انطباقها بركوب الغضروف المتكئ على المجرى و كذلك الذي يسمى الذي لا اسم له و إذا كان الازدراد و القيء يحوجان إلى انطباق فم هذا المجرى لم يكن أن يكون عندما يتنفس " [2]

فابن سينا هنا بما لا يدع مجالا للشك يُشير إلى حاجة المرء في أثناء البلع إلى إغلاق طريق النفس و يرى أنّ هذا الإغلاق يتمّ بواسطة غضروفين أحدهما وصفه بالمتكئ على المجرى و أغلب الظن أنه يعني ما يسميه المحدثون Cuneiform و الغضروف الآخر ما يطلق عليه الذي لا اسم له وكلنا يعلم أنّ أهمّ وظيفة للغضروف المسمى Epiglottis هي سدّ طريق التنفس في أثناء البلع و يشترك معه في هذا Cuneiform. [3]

و هنا تستوقفنا قضية عدم الاتفاق بين المحدثين أنفسهم و بين ابن سينا فبينما يتفق إبراهيم أنيس مع ابن سينا في الوظيفة الموكلة للغضروف عديم الاسم أو الذي لا اسم له الكامنة في تسهيل عملية البلع يرى بعض المحدثين أنّ Epiglottis غضروف مفرد أعلى غضاريف الحنجرة يقع في مقدمة الحنجرة و خلف جذر اللسان مباشرة يشكل جدارا أماميا

---

[1] ـ المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب ـ دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري ـ رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه : عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر ، جامعة أم القرى السعودية ، 1424هـ ، 1425هـ ، ص 139 و ينظر : حقيقة الجهر و الهمس عند سيبويه ، جعفر نايف عبابنة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، الجامعة الأردنية ، أيار 2013 م ، ص 18 .

[*] ـ الازدراد لغة : الزَّرْدُ و الزَّرَدُ هو حلقُ المغْفر و الدرع . و الزردة : حلْقة الدرع و السّرد ثقبها و الجمع زرود . و الزّراد : صانعها . و قيل : الزاي في ذلك كله بدل من السين في السرد السراد . و الزرد مثل السرد و هو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض و الزرد بالتحريك الدرع المزرودة . و زرده : أخذ عنقه. و زَرَده بالفتح : يزرده و يزرِده زردا : خنقه فهو مزرود و الحلق مزرود وزرِد الشيء و اللقمة بالكسر زرَدا وزرده و ازدرده زردا : ابتلعه . و الازدراد : الابتلاع و المِزْرَدُ بالفتح الحلق . و المزرد : البلعوم .لسان العرب مادة (زرد) 3 / 239 .

[2] ـ القانون في الطب 2 / 301 .

[3] ـ الأصوات اللغوية : ص 144 .

منحرفا لمدخل الحنجرة ليقوم لسان المزمار بالفصل بين الهواء و الغذاء أثناء البلع و ذلك باندفاعه إلى أسفل تبعا لحركة جذر اللسان و العظم اللامي ليغلق مدخل الحنجرة .[1]

فالمحدثون يستندون إلى ما ورد في كتاب العمدة لجالينوس الذي أطلق على لسان المزمار مصطلح طبق الحنجرة و أوكل إليه الفصل بين الهواء والغذاء أثناء البلع و ليس الفرجة التي بين الأوتار الصوتية يقول : "حال ازدراد الطعام و شرب الشراب ينطبق الجميع و يحيط بالحنجرة من داخل غشاء ملبس عليها جميعها "[2]

فالخلاف بين ابن سينا و المحدثين يكمنُ في توظيف المصطلح فقط فابن سينا استعمل مصطلح لسان المزمار للدلالة على الفتحة التي بين الوترين الصوتيين و جعل من وظيفة الغضروف المتكئ على المجرى و الذي لا اسم له غلق طريق النفس أثناء البلع هذه الوظيفة التي نسبها المحدثون للسان المزمار.

و قد وهم (محي الدين رمضان) أنّ الغضروف الثالث من غضاريف الحنجرة الذي لم يضع له ابن سينا اسما هو الوتران الصوتيان يقول : "واسم هذا الغضروف الوتران الصوتيان و هما يشبهان الشفتين و بينهما فراغ يسمى فتحة المزمار "[3]

و مما يؤكد إدراك ابن سينا للوترين الصوتيين و دورهما في عمليتي الجهر والهمس أنه نسب الهمزة و الهاء للحنجرة . فالأولى " تحدث من حفز *قوي من الحجاب

---

[1] ـ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثر و التأثير : ص 112 ـ 113 نقلا عن : دراسة السمع و الكلام : ص 109 و ينظر : أنا و اللغة و المجمع ، ص 53 .

[2] ـ العمدة في الجراحة : يعقوب بن إسحاق المعروف بابن القف ، حيدر آباد ، ط 1 ، دت ، 1 / 102 ـ 103 .

[3] ـ مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية من مقال بعنوان : صوتيات ابن سينا ، إبراهيم خليل المجلد 32 ، العدد 3 ، 2005 م ، ص 541 ـ 543 نقلا عن : في صوتيات العربية : محي الدين رمضان ، ص 58 .

* ـ مادة حفز في اللغة تدل على الحث و ما قرب منه . فالحفز حثك الشيء من خلفه . معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق و ضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1399هـ ، 1979 م ، 2 / 85 .

وعضل الصدر لهواء كثير و من مقاومة الطرجهالي الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة و ضغط الهواء معا "[1]

و أظهر منظار الحنجرة أنّ الهمزة هي الحرف الوحيد من بين حروف النطق الأخرى التي تشترك في نطقها الأوتار الصوتية الحقيقية و الكاذبة مع الغضروفين الطرجهاليين حيث تقوم هذه الثلاثة بغلق فتحة الحنجرة تماما مسببة الجهد العضلي الذي نعرفه في نطق الهمزة و من هنا كانت أشقّ الحروف في النطق و خففت بأنواع التخفيف من إبدال و حذف

و تسهيل و جاء النهي من القراء عن المبالغة في إخراجها .[2]

و قال ابن سينا عن الهاء : " إنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكمّ والكيف [يعني: الذي في الهمزة] إلاّ أنّ الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعله حافات المخرج و تكون السبيل مفتوحة و الاندفاع يماسّ حافاته بالسّواء غير مائلٍ إلا إلى الوسط "[3]

و أظهر منظار الحنجرة أنّ هناك اختلافا في شكل الوترين الصوتيين بين نُطق القراء للهاء عند تلاوة القرآن . حسب ما تلقّوه أداء . و بين ما اعتاده الناس من نُطقها على الرغم من تدفق الهواء فيها في كلا النطقين

في نطق القراء يكاد الوتران الصوتيان يقتربان من وضع الجهر بل تهتز الأوتار الصوتية و من هنا كان وضوح الهاء السمعي في نُطق القراء أمّا في النطق الاعتيادي للهاء فإنّ الأوتار الصوتية تكون مفتوحة و يندفع الهواء بكلّ راحة و من هنا كانت الهاء أضعف الحروف و أهشّها في النطق و لذلك نبّه القراء على تقويتها .[4]

---

[1] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : 72 .

[2] ـ المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب ـ دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري ـ ص 140 ـ 141 .

[3] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف : 72 .

[4] ـ المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب ـ دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري ـ ص 141 .

و جعلُ الهمزة و الهاء من الحنجرة هو الذي تذكره كتبُ الدراسات الصوتية المعاصرة اليوم .[1]

استنادا لكلّ ما تقدّم نقول إنّ الاضطراب الحاصل بين الدارسين المحدثين في معرفة القدماء و من بينهم ابن سينا للوترين الصوتيين ودورهما في عمليتي الجهر و الهمس راجع إلى انفصام العُرى بين الدرس الصوتي الحديث و التراث الصوتي العربي . فلا يُمكننا بأيّ حال من الأحوال أن ندرس الحاضر و نُقيّم ثقافته دون استقراء الماضي فابن سينا رائد مرحلة جديدة من المراحل و الأطوار التي مرّ بها علم الأصوات العربي فعلى يديه نضج و اكتمل ، و ما تفسيره للجهر و الهمس إلاّ قليل من كثير . فالشيخ الرئيس أدرك بمعرفته الموسوعية دور الوترين الصوتيين في إحداث الجهر و الهمس . و إن لم ينطق بالمصطلح صراحة إلاّ أنه استعمل من الألفاظ ما يدلّ على إدراكه لهما ففسّر الجهر والهمس بما يتوافق و تكوينه العلمي و الدرس الصوتي الحديث رابطا الجهر بالاهتزاز الحادث في الحنجرة عند النطق بالصوت المجهور .

[1] ـ علم الصرف الصوتي : عبد القادر عبد الجليل ، دار أزمنة ، دط ، 1998 م ، ص 84 و علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، دت ص 157 ـ 179 و ينظر : دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة دط 1418هـ ، 1997 م ، ص 319 .

المصادر والمراجع

1 ـ الإشارات و التنبيهات : أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا شرح : نصر الدين الطوسي و تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف القاهرة ، ط 3 ، 1983 م .

2 . الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط 4 ، 1971 م.

3 ـ الأصوات اللغوية : عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1998 م .

4 ـ الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط 15 ، مايو 2002 م .

5 . أنا و اللغة و المجمع ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ط 1 ، 1422هـ 2002 م .

6 . البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثر و التأثير : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، ط 6 ، 1988 م .

7 . البحث اللغوي عند الهنود و أثره على اللغويين العرب : أحمد مختار عمر ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، دط ، 1972 م.

8 . التفكير اللغوي بين القديم و الحديث : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع دط ، 2005 م .

9 . تلخيص الخطابة : أبي الوليد بن رشد ، تحقيق و شرح : محمد سليم سالم ، القاهرة ، 1387هـ 1967 م .

10 . حقيقة الجهر و الهمس عند سيبويه ، جعفر نايف عبابنة رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، الجامعة الأردنية ، أيار 2013 م .

11. دراسات في علم أصوات العربية : عبده داود ، دار جرير للنشر و التوزيع ، ط 1 2010 م .

12 . الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني : حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، دط ، 1980 .

13 . دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، دط ، 1418هـ ، 1997 م .

14 . دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو و نقله إلى العربية و ذيله بمعجم صوتي فرنسي عربي صالح القرمادي نشر مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية الجامعة التونسية دط ، 1966 م .

15 . رسالة أسباب حدوث الحروف : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا ، تحقيق : محمد حسان الطيان و يحيى مير علم ، مراجعة و تقديم : شاكر الفحام ، أحمد راتب النفاخ مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط ، 1403هـ ، 1983 م

16 . الشفاء ـ الرياضيات ـ جوامع علم الموسيقى ، ابن سينا تحقيق : زكريا يوسف تصدير و مراجعة : أحمد فؤاد الأهواني و محمود أحمد الحفني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1376هـ 1956 م .

17 . علم الصرف الصوتي : عبد القادر عبد الجليل ، دار أزمنة دط ، 1998 م.

18 . علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، دت .

19 . العمدة في الجراحة : يعقوب بن إسحاق المعروف بابن القف ، حيدر آباد ، ط 1 ، دت .

20 . عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، شرح وتحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت دط دت .

21 . القانون في الطب : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن علي بن سينا ، وضع حواشيه : محمد أمين الضناوي ، منشورات محمد عل بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1420هـ 1999 م .

22 . الكتاب : سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 دت.

23 . كتاب الشفاء ـ الفن السادس من الطبيعيات ـ علم النفس أبي علي الحسن بن عبد الله بن سينا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، باريس ، دط ، 1982 م .

24 . لسان العرب : ابن منظور ، راجعه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1424هـ ، 2003 م .

25 . المبدأ و المعاد : الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا باهتمام : عبد الله توراني مؤسسة مطالعات إسلامية طهران 1363هـ .

26 . مجلة جامعة القرويين من مقال بعنوان : مفهوم الجهر و الهمس عند سيبويه ، عبد الحميد زاهيد المملكة المغربية العدد 12 ، 1421هـ ، 2000م .

27 . مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية من مقال بعنوان : صوتيات ابن سينا ، إبراهيم خليل المجلد 32 العدد 3 ، 2005 م.

28 . المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1417هـ ، 1997 م .

29 . المصطلحات الصوتية عند النحاة و اللغويين العرب : رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ، المهدي بوروبة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، حلب ، 1409هـ ، 1989 م .

30 . المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب ـ دراسة تاريخية تأصيلية من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري ـ رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه : عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر ، جامعة ام القرى السعودية ، 1424هـ ، 1425هـ .

31 . المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : عبد العزيز الصيغ دار الفكر ، دمشق ، ط 1 1421هـ ، 2000 م.

32 . معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، 1399هـ ، 1979 .

33 . منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث : علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط 1 ، 1986 م .

الحرف الساكن في علم العروض بين المتقدّمين والمحدثين

The Consonant in Prosody between the Classical scholars and Modernist

الهادي عبد الله*

تاريخ تقديم البحث **2017/02/01** تاريخ القبول **2018/04/15**

ملخص

يتناول هذا البحث قضية الحرف الساكن في علم العروض بين المتقدّمين والمحدثين، ويطرح إشكالية جعل القدماء حروف المدّ حروفاً ساكنة، في حين يرى المحدثون أنّها حركاتٌ طويلة ولا يمكن وصفها بالسواكن، وبالتالي فإنّ علم العروض -في رأيهم- غير قادر على وصف إيقاع الشعر العربي وصفا دقيقا، واقترحوا نظام المقاطع بديلا له.

وقد تعرض الباحث لأهم القضايا التي تعلّقت بالحرف الساكن في علم العروض واستعرض أقوال المُتقدّمين والمحدثين فيما يتعلّق به.

وخلص إلى أنّ المتقدّمين كانوا على علم بالعلاقة الموجودة بين الحركات وحروف المدّ إلّا أنّهم ألحقوا هذه الأخيرة بالحروف السواكن، وهذا لم يؤثر على نظامهم العروضي.

الكلمات الدالة: الساكن، العروض، المتقدّمين، المحدثين، حروف المد، حروف اللين، التفعيلات، المقاطع.

Abstract

This Research tackles the Consonant's case in Prosody between the Classical Scholars and Modern Scholars, It passes the following problematic, the Classical Scholars considers "the Long Vowels " like regular Consonants while the Modernists considers then Vowels not Consonants, hence according to then, Prosody cannot describe the Rhythm of the Arabic Poetry accurately, they Suggest the syllabic system to substitute Prosody.

This Research came to result that the Classical scholars could recognize the relation between Vowels and long Vowels, but they regarded the latter to be Consonants , and this did not affect their Prosody system.

The Researcher presented the most prominent issues regarding the consonant in Prosody, and outlined quotations of scholars of both Classical and Modern scholars.

Keyboard: Consonant, Classical, Modernist, Prosody, Vowels, Trochees , Syllables.

*قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الأداب واللغات ،جامعة البليدة 2، البليدة .

مقدمة:

جاء في "باب تفسير العروض وكيف وُضعت" في كتاب العروض المنسوب للأخفش بأنّهم جمعوا كلّ ما وصل إليهم من أبنية العرب فعرفوا عدد حروفها ساكنها ومتحرّكها، وهذا البناء المؤلف من الكلام هو الذي تُسمّيه العرب شعرا، فما وافق هذا البناء الذي سمّته العرب شعرا في عدد حروفه ساكنة ومتحرّكة فهو شعر وما خالفه وإن أشبهه في بعض الأشياء فليس اسمه شعرا[1] .

وجاء في كتاب العروض لابن جنّي وهو يُعرِّف علم العروض بأنّ:" ما وافق أشعار العرب في عدّة الحروف الساكن والمتحرّك سُمِّي شعرا"[2].

انطلاقا من هذين القولين فإنّ الأساس الذي قام عليه العروض هو أساس صوتي يتمثّل في معرفة الساكن والمتحرّك، وهو مفهوم سائد في الدراسات اللغوية آنذاك[3]، وعلى هذا المفهوم بنى الخليل نظامه العروضي، وكوّن به الوحدات الأساسية للوزن الشعري المتمثّلة في الأسباب والأوتاد، حيث جعل السبب نوعين؛ أحدهما ثقيل يتكوّن من متحرّكين والآخر خفيف يتكوّن من متحرّك وساكن، وجعل الوتد نوعين أيضا؛ وتدٌ مجموع يتكوّن من متحرّكين وساكن، ووتد مفروق يتكوّن من متحرّكين يتوسّطهما ساكن.

ومن هذه الوحدات الصوتية صنع الخليل الأجزاء العشرة وعبّر بها عن الأوزان الشعرية التي استقرأها من الشعر العربي، فوجد العرب قد نظمت على خمسة عشر بناء، وقد استطاع بمنطقه الرياضي ومعرفته بالنغم والموسيقى أنّ يقوم بتجريد هذا الإيقاع الشعري وحصره في هذه الأبنية التي سمّاها بحورا، وأطلق على كل بحر اسما خاصّا به.

ولم أجد من المتقدّمين من يَعيب هذا الأساس الصوتي لمفهوم الحركة والسكون فقد اتّفق أغلبية العروضيين عليه ممّن جاءوا بعد الخليل، وساروا على هذا النهج، وكان اختلافهم معه في الأجزاء والبحور والدوائر.

ولكنَّ تأثر بعض العروضيين المحدثين بالدراسات الصوتية الحديثة أوجد اتّجاها مخالفا لهذا المفهوم الذي قام على أساسه علم العروض، فالمحدثون يرون أنّ مفهوم السكون عند المتقدّمين يتلبّسه بعض الغموض يكمن في عدم تفريقهم بينه وبين الصائت الطويل المتمثل في حروف المدّ واللين؛ إذ نجد المتقدّمين يعتبرونها سواكن، يقول ابن جنّي:"لا

يكنّ إلّا سواكن، لأنّهن مدّات والمدّات لا يتحرّكن أبدا" [4]، بينما يراها المحدثون حركات طويلة ولا يُمكن عندهم اعتبار الحركات سواكن في نفس الوقت[5].

إنّ هذا المفهوم للساكن - فيما يراه هؤلاء المحدثون - قد أوقع علماء اللغة القدماء في خطإ وهو إهمالهم للفارق الكمّي بين الصوتين، إذ يتكوّن الساكن الصحيح من صامت فقط بينما يتكوَّن حرف المد من صامت و صائت طويل، لذلك فإنّهم يرون أنّ التفاعيل (التي توصّل إليها العروضيون) غير دقيقة [6]، وغير قادرة على تحليل إيقاع الشعر العربي. ويرجع ذلك في زعمهم إلى أن الأسباب والأوتاد غير صالحة لتحليل الأصوات اللغوية[7]

إلّا أنَّ هذا الاتّجاه يطرح أمرا في غاية الخطورة بالنسبة لعلم العروض وهو أنّه إن كان مفهوم المتقدّمين للسكون خاطئا فهذا بالضرورة – إن صحّ كلامهم- يهدم النظام الإيقاعي الذي بناه الخليل ويجرّنا هذا الأمر إلى ضرورة اختراع جديد يُصوّر الإيقاع الشعري للشعر العربي قديمه وحديثه.

ولهذا سأحاول أن أعرض في هذا البحث لمفهوم الساكن عند كلٍّ من المتقدّمين والمحدثين، وأبيّن أهم وظائفه في اللغة العربية عموما وفي العروض على وجه الخصوص، وسأحاول أيضا أن أوضّح أثر هذا الاختلاف في البنية الإيقاعية الشعرية، وهل أثّر هذا الأمر في الدراسات العروضية القديمة أم لا؟.

أوّلا مفهوم الساكن:

عند المتقدّمين:

يُعرّفه الأخفش قائلا:"اعلم أنّ الساكن من الحروف هو الموقوف الذي ما ليس فيه رفع ولا جرّ ولا نصب، نحو ميم عمْرو وراء برْد، وإنّما يُعرف الساكن من المتحرّك بأن تنقصه ممّا هو عليه، فإن وصلت إلى نقص فليس بساكن، وإن لم تصل إلى نقصه فهو ساكن"[8].

ويُعرّفه ابن جنّي أيضا بأنّه "ما أمكن تحميله الحركات الثلاث نحو كاف (بكْر) وميم (عمْرو) ألا تراك تقول: (بكَر) و (عمَرو) ... إلا أنّ هذه الحروف اللائي يحدُثن لإشباع الحركات لا يكنّ إلّا سواكن، لأنّهن مدّات، والمدّات لا يتحرّكن أبدا"[9].

وهذا يعني أنّ الساكن عند المتقدّمين أحد الشيئين، أولّهما الحرف الصحيح غير المتبوع بإحدى الحركات الثلاث (الفتحة والضمّة والكسرة)، وثانيهما ألف المد أو واوه أو ياؤه[10].

عند المحدثين:

يُقسّم المحدثون الأصوات إلى نوعين صوامت وحركات، ومفهوم الساكن مرتبط بهذين النوعين وهو لا يختلف كثيرا عن مفهومه عند المتقدّمين، فالساكن عندهم هو صامت لا تليه حركة بل يليه صامت مثله، ويقصدون بالصامت مفهوم الحرف الصحيح عند المتقدّمين - كما جاء في قول ابن جنّي-.

وهم يعتبرون أصوات المدّ حركات لا حروفا صامتة أو معتلّة ساكنة، كما يرى الصرفيون والعروضيون[11].

وإذا نظرنا إلى المحدثين أمثال إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية فإننا نجد أنَّ الساكن عنده هو ما يُقابل اللين، إذ يُقسّم الأصوات إلى ساكنة وليّنة، ويقصد بالليّنة ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمّة، وكذلك ما سمّوه بالألف اللينة والياء اللينة والواو الليّنة، وما عدا هذا فأصوات ساكنة[12].

وهذا يعنّي أنّ المحدثين يرون بأنّ حروف المدّ ما هي إلّا حركاتٌ طويلة وليس من المنطقي أن نَصِفَهَا بالسواكن، فكيف يُمكن وصف الشيء بأمرين متناقضين؟

وفي هذا السياق يؤكد كمال بشر في بحثه المستفاض في "**قضية السكون في اللغة العربية**" بأنّ المتقدّمين قد أخطئوا لمّا جعلوا حروف المدّ ساكنة ويمكن تلخيص ردّه في النقاط الآتية:

- حروف المدّ هي اصطلاح لما يُسمّى بالحركات الطويلة، فكيف يمكننا أن نصف الحركات بالسكون.
- عدم تفريق المتقدّمين بين الصوت ورمزه الكتابي أوقعهم في هذا الوهم، فالواو مثلا بوصفها رمزا في نحو (أدعو) يمكن تسميتها "ساكنة" بمعنى أنّها خالية من علامات الحركة القصيرة، ولكنّها بوصفها صوتاً حركةٌ طويلةٌ، ويبدو أنّ علماء العربية قد اعتمدوا على الاعتبار الأوّل دون الثاني، ومن ثمّ كان حكمهم عليها بالسكون وأنّها مسبوقة بحركة تجانسها هي الضمّة، مخدوعين في ذلك بالرسم الكتابي[13]

- المتقدّمون فهموا قيمة المد الصوتية ولكن أخطئوا حينما عاملوها معاملة الساكن، يقول ابن جنّي :"اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمّة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمّة بعض الواو"[14].

وظائف الساكن في اللغة العربية:

للساكن وظائف متنوعة جعلته محلّ عناية كبيرة عند العلماء ، ويمكن تلخيص أهم وظائفه في اللغة العربية عموما وإيقاع شعرها على وجه الخصوص فيما يلي[15]:

- لا يمكن معرفة الخصائص الصوتية للصوت إلّا إذا كان ساكنا، فإذا تُلي بحركة فقد بعض خصائصه، وقد تفطّن لهذه الوظيفة القرّاء والنحّاة لمّا أرادوا دراسة الأصوات لمعرفة مخارجها وصفاتها .
- الحرف الساكن في آخر الكلمة يُكسب السكون وظيفة نحوية مثل الجزم بالنسبة للفعل المضارع المجزوم وبناء الحروف والفعل الأمر للسكون، ومن العلماء من يرى أنّ أصل البناء هو السكون.
- للسكون وظيفة في التركيب المقطعي للغة العربية فهو يميّز نهاية المقطع المنتهي بحرف خال من الحركات.
- السكون له وظيفة موسيقية في نهاية الكلمة أو الجملة في بعض المقامات اللغوية، وقد لاحظ العرب هذه الوظيفة وأدركوا قيمتها، ورتّبوا عليها قواعد نحوية معيّنة في باب خاص سمّوه "باب الوقف".
- للسكون قيمة معنوية تتمثّل في التشديد والبتّ في الطلب لذا جاء فعل الأمر مبنيا لما يستدعيه الأمر من البتّ والتشدّد والجزم.

وفي العروض:

- للساكن وظيفة إيقاعية فلا تكون الأقوال موزونة إلّا إذا كانت لها فواصل، والمقصود بالفواصل مجموعة متحركّات تتناهى بساكن[16].
- يقلّل الساكن من عدد المتحرّكات في الوزن الشعري ممّا يُكسبه خفّة و سهولة، لذا نجد له حضورا كثيرا في باب الزحافات والعلل التي يلجأ إليها الشاعر.

البنية الإيقاعية للشعر العربي حسب المفهومين الصوتيين للساكن:

بالنسبة للمتقدّمين:

انطلاقا من المفهوم التقليدي للساكن فإنَّه يُمكن تصنيف الوحدات الصوتية التي تُعبّر عن الإيقاع الشعري كما يلي:

- السبب الخفيف: ويتكوّن من مُتحرّك وساكن مثل (لا) و(لم). فـ(لا) تتكوّن من حرف مُتحرّك يليه حرف لين ويعتبره القدماء ساكنا كما أشرنا من قبل، أمّا (لم) فتتكوّن من حرف متحرّك وحرف ساكن أي صامت لا تليه حركة، وعليه فإنّ (لا) و(لم) هما عند العروضيين المتقدّمين وحدة واحدة تعبّران عن إيقاع واحد.
- وتد مجموع : ويتكوّن من متحرّكين فساكن مثل (خلا) و(ألمْ)
- وتد مفروق: ويتكوّن من متحرّكين بينهما ساكن مثل (قال) و(تحْت).

ممّا يظهر لنا أنّ الوتدين أيضا يتكوّنان من نوعين من السواكن فالساكن في:(خلا)و(قال) عبارة عن حرف مد، أمّا (ألم) و (تحْت) فالساكن فيهما هو صامت غير متبوع بحركة، وكذلك نجد أنّ العروضيين لا يُفرّقون بينهما أثناء تعبيرهم عن الإيقاع الشعري.

بالنسبة للمحدثين:

نظرا لاختلاف مفهومهم للساكن فهم يرون بأنّ نظام المقاطع يُمكن أن يصف الإيقاع الفعلي للشعر العربي ، وأنواع المقاطع انطلاقا من مفهومهم للساكن هي:

- مقطع متوسط مفتوح ومثاله " لا" ويتكوّن من صامت وحركة طويلة أو ما يعادل حركتين (ص+ح+ح) .
- مقطع متوسط مغلق ومثاله "لم" ويتكوّن من صامت وحركة ثم صامت(ص+ح+ص).
- مقطع طويل مفتوح ومثاله "لِمَا" ويتكوّن من صامت وحركة وصامت وحركة طويلة(ص+ح+ص+ح+ح).
- مقطع طويل مغلق ومثاله "لِمَنْ" ويتكوّن من صامت وحركة وصامت وحركة ثم صامت.(ص+ح+ص+ح+ص).

بالمقارنة بين الوحدات التي توصّل إليها العروضيون والمقاطع التي جاء بها المحدثون، نجد أنّ السبب الخفيف يحتمل أن يكون عبارة عن نوعين من المقاطع أحدهما يكون قصيرا مغلقا والآخر يكون قصيرا مفتوحا، وأنّ الوتد المجموع يحتمل أن يكون مقطعا طويلا مفتوحا أو مغلقا، وإذا طبّقنا مفهوم المقطع على العروض التقليدي فإنّه يجب علينا إعادة تصنيف جديد للوحدات الصوتية المُحلّلة للإيقاع والتي ستصبح كالآتي:

- سبب خفيف مغلق ويتكوّن من صامت وصائت قصير وصامت.
- سبب خفيف مفتوح ويتكوّن من صامت وصائت طويل.
- وتد مجموع مفتوح ويتكوّن من صامت وصائت قصير وصامت وصائت طويل.
- وتد مجموع مغلق ويتكوّن من صامت وصائت وصائت وصامت ثم صامت.
- وتد مفروق مفتوح ويتكوّن من صامت وصائت طويل وصامت وصائت.
- وتد مفروق مغلق ويتكوّن من صامت وصائت وصامت وصامت وصائت.

وبهذا الاعتبار الجديد يجب علينا تصنيف الأجزاء التي يزيد عددها حسب عدد الوحدات الجديدة ويكون لكل تفعيلة صور أخرى ممّا يؤثر على الأوزان الشعرية، التي يجب أن تتماشى مع هذه الأجزاء الجديدة، فتفعيلة (فعولن) مثلا تأخذ أربع صور

باحتساب جميع الاحتمالات التي يتخذها الوتد والسبب من فتح وغلق و يُمكن توضيحها في الشكل الآتي:

- الصورة الأولى: فعولن وتتركّب من وتد مجموع مفتوح وسبب خفيف مغلق.
- الصورة الثانية : فعولا وتتركّب من وتد مجموع مفتوح وسبب خفيف مفتوح.
- الصورة الثالثة: فعلْتُن وتتركب من وتد مجموع مغلق وسبب خفيف مغلق.
- الصورة الرابعة: فعلْتاُ وتتركب من وتد مجموع مغلق وسبب خفيف مفتوح.

و إذا اعتمدنا هذا التصنيف فإنّه سيزيد في تشعّب العلم ويخرجه عن مفهومه التجريدي ، ويضطرّنا هذا الأمر إلى البحث عن نظام آخر بديلا عنه، وهذا ما نادى به بعض المحدثون.

رأي آخر لبعض المحدثين:

مع ظهور هذه الطائفة التي نادت بإلغاء التفاعيل لأنّها غير دقيقة -في رأيهم- لوصف الإيقاع الشعري ودعوتهم إلى استخدام المقاطع، نجد من العلماء المحدثين أيضا من وافق المتقدّمين في مفهومهم للساكن وحاول التوفيق بين ما توصّلت إليه الدراسات الحديثة وما هو موجود في تراثنا العربي.

ومن أمثال هؤلاء سيد بحراوي حيث يرى أنّ مشكلة الساكن وحروف المد واللين ناتجة عن الموازرة بين المفاهيم القديمة (سكون وحركة، متحرّك) والمفاهيم الحديثة Consonant/Vowel التي تُرجمت أحيانا بالمتحّرك والساكن[17].

ويرى أيضا أنّ الخلل في دقّة التصنيف عند اللغويين القدماء لم يؤد إلى أخطاء في الحساب الكمّي الذي يبدو أنّه كان واضحا في أذهانهم كما رأينا عمليا، وكما نستطيع أن نسترشد من رصدهم للعلاقة بين الحركات وحروف المد، حيث نجد ابن جنّي مثلا يقول:"اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللّين"[18]

ويرى محمد العلمي أيضا أنّ ما قام به المتقدّمون لا يجانب الصواب، إذ رغم الفرق بين الحركات الطويلة باعتبارها أصواتا، والسكون باعتباره عدم صوت، فإنّ القدماء ربما نظروا إلى المسألة من زاوية أخرى، ذلك أنّهم ربّما قارنوا بين الصامت متبوعا بصائت قصير فصامت مثل لم (أداة الجزم)، فُزْ(فعل أمر)، لِدْ (فعل أمر)، والصامت متبوعا بصائت

طويل مثل لا(أداة)، فو (الفم)، لي(حرف جر وياء المتكلّم) فوجدوا أنّ المدّة التي يستغرقها نطق الصامت المتبوع بصائت قصير فصامت، مساوية لتلك التي يستغرقها نطق الصامت المتبوع بصائت طويل، ولعلّ هذا هو الذي الذي دفعهم إلى تجزئة الحركة الطويلة إلى حركة وسكون وهو المد، وإلى اعتبار الجزء الثاني الذي هو المد سكونا؛ ويؤكد ذلك أنّ الخليل ساوى في العروض بين الصامت المتبوع بصائت قصير فصامت، والصامت المتبوع بصائت طويل، واعتبرهما معا سببا خفيفا، ولاشكّ أنّ الذي سوّغ له هذا هو التساوي في الإيقاع-وهو أساس العروض- بين الصنفين من السبب الخفيف.[19]

ويُرجع حسني عبد الجليل يوسف أنّ توهّم بعض المحدثين في الفارق الزمني بين الساكن والمدّ هو الذي أحدث التفريق بينهما، وهذا التوهّم هو نتيجة لتعوّد بعضنا تحقيق نطق المد دون تحقيق نطق الساكن، ولو تأمّلنا هذه الكلمات لوجدنا دليلا على ذلك [لا-لن-ما-من] فالزمن في الأولى والثانية والثالثة والرابعة واحد وقد أحسسنا بذلك لأنّنا تعوّدنا نطق النون الساكنة محقّقة ولو تأمّلنا نطقنا (عِيشي) و (عيشٌ) منونة لوجدنا الزمن واحداً.[20]

ونجد تمّام حسّان يؤكّد أنّ المدّ والساكن متساويان في الإيقاع لكنه يعدُّهما شيئين مختلفين حين قال:"إنّ الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حرف المدّ عند الكلام عن التقاء الساكنين كما في (الضّالين) و (مدهامّتان)، لم يقصدوا أنّ حرف المدّ مشكّل هنا بالسكون (لأنّ المدّ والحركة لا يقبلان السكون ولا الحركة)، وإنّما قصدوا شيئا شبيها باعتبار العروضيين أنّ حرف المدّ يساوي من حيث الكمّية الإيقاعية حركة متلوة بسكون "[21]

ويُدافع أحمد كشك عن تفعيلات الخليل التي يرى بأنّها جاءت أشكالا كمّية لا تُؤخذ مجرّدة باعتبار كيفي، لأنّ وحدة السبب (تن) تجمع في إطارها ما يساويها من مقاطع مفتوحة مثل ما-لا-يا وما يساويها من مقاطع مغلقة مثل من-كم-كلْ وكذلك وحدة السبب (لان) وهي وحدة نهائية تجمع تحتها ما يساويها من المقاطع بْكرْ-عمرو- ذئب، وما يساويها من المقاطع لام-مال-هام، ومن هنا فإنّ العدّ لدى الدارس يكون بحسبة الأوتاد والأسباب بعيدا عن الكيف، فقيمة السبب الأوّل (فا) من فاعلاتن تساوي من ناحية الكم قيمة السبب (مُسْ) من التفعيلة (مستفعلن) فالتفعيلات أطر كمّية تأخذ مداها الزمني حين ترتبط ببيت الشعر المنطوق حقيقة وواقعا[22].

وختاماً يبدو أنّ المتقدّمين لمّا اصطلحوا على المدّ بالحروف فهم يعلمون يقينا بأنّها تُعتبر أصواتا منفردة ولها نفس خصائص الحرف الساكن إذ يُمكن الوقوف عليها ولا يُمكن أن يُبتدأ بها، وتُحذف إذا جاء بعدها حرف ساكن لذا ألحقوها بالسواكن، والمثال الآتي يُثبت أنّ حروف المدّ يُمكن أن تكون صوتا منفصلا فألف الفعل "خاف" وهو حرف مدّ والأصل أنّه قُلب عن واو أصلية والدليل على ذلك أنّنا لو عدنا إلى مصدر الفعل وجدناه "خوْف"ممّا يعني أنّ الألف أصلها واو منقلبة ألفا لمناسبة الحركة التي قبلها وهي الفتحة، والفرع من جنس الأصل .

إنّ مناسبة الحركة لما بعدها من حروف المدّ في رأيي الشخصي يجعل صوتي الحرفين صوتًا واحدا طويلا ممّا أوهم المحدثين بأنّه صوت واحد و عملياً فإنّهما صوتان منفردان(الأوّل مُتحرّك والثاني ساكن) أُدمجا معا.

وهذا لا ينفي أنّ المتقدّمين لا يعلمون أنّه توجد علاقة بين حروف المدّ و الحركات والذي يدلّ على ذلك قول ابن جنّي: " اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين"[23]، ويقول شمس الدين أحمد في شرحه لمراح الأرواح: "ولا شكّ أنّ الحركات أبعاض المصوّتات "[24]، وكذا الرموز التي اخترعوها لتُعبّر عن الحركات؛ فالفتحة ألف صغيرة و الضمّة واو صغيرة و الكسرة ألف صغيرة تحت الحرف .

وفي جانب الدراسات العروضية فقد أثبت العروض قوّته على مرور الوقت وذلك بقدرته على تحليل الإيقاع الشعري تحليلا دقيقا، إلّا أنَّ بعض المحدثين لم يفهموا عمل الخليل ومن معه، فمثلا محمد مندور في كتابه ميزان الشعر الجديد يرى أنّ الخليل لم يفطن إلى المقطع الذي كان موجودا في العروض اليوناني، ويرى أيضا أنّه قد اكتفى في تقطيع التفعيل بالحروف التي تُكتب مميّزا بينها بالحركة والسكون[25].

ويمكن الردّ عليه من وجهين، الأوّل أنّ الخليل في تحليله للإيقاع كان همّه أن يصل إلى أجزاء موزونة ولا يُمكن أن تكون كذلك إلّا إذا تركّبت من فواصل، والمقصود بالفواصل كما رأينا في وظائف الساكن هو وجود متحرّكات تتناهى بساكن، و أمّا استعماله للسبب الثقيل كان نتيجة حتمية لوجوده في الإيقاع الشعري وهو لا يكون في أخر التفعيلة.

والوجه الثاني أنّ الخليل ومن معه كانوا يفرّقون بين الحركة والمتحرّك وبين السكون والساكن فقد جعلوا الحركة وعدمها صفة للصامت ممّا يعني أنّهم يعرفون للمقطع

القصير وجودا في اللغة لكن لم يهتموا به لأنّهم بصدد دراسة إيقاع والمقصود بالإيقاع وحدة النغمة التي تتكرّر على نحو ما في الكلام أو في البيت؛ أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم[26].

كمّا أنّه لا يُمكننا تطبيق كل الدراسات الحديثة على اللغة العربية وعلومها، وذلك لاختلاف خصائصها عن اللغات الأخرى، فاللغة العربية مثلا لا تعرف للصائت -قصيرا كان أم طويلا- وجودا مُستقلّا عن الصامت، فليس في العربية كلمة تتكوّن من صائت قصير أو طويل فقط، كما أنّه ليس فيها أيضا كلمة تبدأ بصائت، بينما نجد في الفرنسية مثلا كلمات هي عبارة عن صائت فقط: à (أداة) a (فعل) ، et (أداة) est (فعل) ،وكلمات تبدأ بصائت aller (فعل) identitè (اسم) ... إلخ[27].

هوامش البحث:

[1] الاخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، كتاب العروض،تح: أ.د سيد بحراوي، ط1، القاهرة، مصر، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، 1998م، ص: 56.

[2] ابن جني أبو الفتح عثمان، كتاب العروض،تح: د.أحمد فوزي الهيب، ط2، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1409هـ-1987م، ص: 59.

[3] انظر: محمد العلمي، العروض والقافية دراسة في التأسيس والاستدراك،ط1، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، 1404هـ-1983م، ص65، وكذلك سيد بحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي محاولة لإنتاج معرفة جديدة، د.ط، مصر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص: 18

[4] ابن جني أبو الفتح عثمان،تح: د.حسن الهنداوي، د.ط، سر صناعة الإعراب، ج1، ص31.

[5] انظر: محمد العلمي، نفس المرجع، وكذلك سيد بحراوي، نفس المرجع.

[6] حسني عبد الجليل يوسف، دراسة فنّية وعروضية، د.ط،مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م، ص:41.

[7] شكري محمد عيّاد، موسيقى الشعر العربي، د.ط، القاهرة، مصر، دار المعرفة، 1964م، ص:30

[8] الأخفش ،نفس المصدر، ص :47

[9] ابن جني، سر صناعة الإعراب ، ص:27 و28.

[10] محمد العلميّ،نفس المرجع، ص: 65.

[11] انظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي،د.ط، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1400هـ-1980م، ص :26-32

[12] ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، د.ط، مصر، مكتبة النهضة ومطبعتها، د.ت ، ص:29.

[13] كمال بشر، دراسات غي علم اللغة، د.ط، القاهرة، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م،ج1، ص:161.

[14] كمال بشر ، نفس المرجع ،ص:157

[15] كمال بشر ، نفس المرجع، ج1، ص:176

[16] الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن حزقان، الموسيقا الكبير، د.ط، دار الكاتب المصري، د.ت، ص:1085.

[17] سيد بحراوي، نفس المرجع، ص:19.

[18] سيد بحراوي، نفس المرجع، ص:20.

[19] محمد العلمي، نفس المرجع، ص:72.

[20] حسني عبد الجليل يوسف، نفس المرجع، ص: 42 .

[21] تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، د.ط، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، ص:71.

[22] أحمد كشك، محاولات للتجديد في إيقاع الشعر، د.ط، القاهرة، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص: 9.

[23] ابن جني، سر صناعة الإعراب ص17

[24] عن كمال بشر، نفس المرجع، ج1، ص: 55.

[25] محمد مندور، في الميزان الجديد، ط1، تونس، مؤسسات ع. عبد الله، 1988م، ص:259.

[26] محمود الفاخوري، موسيقى الشعر العربي، د.ط، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1996م، ص:166.

[27] محمد العلمي، نفس المرجع، ص:68،69.

أسلوبية البناء الصوتي بين معيارية الطرح وفاعلية التحليل الجمالي

Stylistic of phonetic structure between the standard of subtraction and effectivenness of aesthetic analysis

بن شيحة نصيرة *

تاريخ تقديم البحث **2017/11/14** تاريخ القبول **2018/03/05**

ملخص

تحاول هذه المداخلة أن تشير إلى إمكانية ولوج فضاء الأسلوبية بالاعتماد على علم الأصوات، حتى يتهيأ لنا تحليل الخطاب الشعري تحليلا صوتيا ينأى عن تلك الصرامة المادية الجافة الفاعلة في الحقول الصوتية، باستشراف أفق علمي يزاوج بين البعد المادي للطرح الصوتي والمعلم الجمالي الذي يفضي إليه التحليل الأسلوبي.

الكلمات الدالة: الأسلوبية، خطاب شعري، صوتيات

Abstract

This article is trying to refer to the possibility of entering stylistic space , based on science of phonetic to be able to analyze poetic discourse away from that harsh physical active in the studies phonetic.

Keyboard: Stylistic, poetic discourse, phonetic.

* المركز الجامعي أحمد زبانةغليزان، الجزائر .

مقدمة:

تنهض استراتجية التحليل الأسلوبي على قسمة لغوية متعاقبة، تحيل إلى مرجعية لسانية تتخذ من الصوت بؤرة مركزية تفضي بتكاثفها إلى أنساق صرفية وتركيبية، تنتظم وفقا لخصوصية التوجه الدلالي المتراوح بين اعتباطية الملمح العلائقي بين الدال والمدلول في حدود المنظومة التواصلية الاعتيادية، وانحرافه عن إشارية المطلب الدلالي الموجّه للمكون اللغوي في الخطاب الشعري.

ومن ثم، فإن المعاينة الأسلوبية لوقائع الفعل الشعري تستوجب الارتكان إلى برنامج قرائي يستقي منطلقاته من معطيات الدرس اللساني وتدرجاته المستوياتية (**صوتي- صرفي- تركيبي- معجمي ودلالي**)، وما تمخض عنها من إفرازات نوعية أسهمت في تخطي عتبة الترجيع التاريخي ذي البعد السردي المكرور، والانفتاح على آفاق تحليلية مرنة تأخذ بإجرائية الضبط وهي تعاين الفضاء المادي للخطاب الشعري، وتستأنس بإيحائية الحس الجمالي وهي تحاول اختراق الفضاء الباطني والإحاطة بظلال المعنى وملاحقة انكساراته ومفارقاته الدلالية.

ولذا فقد باتت الحاجة ماسة للاتكاء على حقل معرفي، يعين على تقفي جغرافية الخطاب الشعري بملامحها السياقية والنسقية، والاتجاه صوب استكناه أغوار الدلالة الدفينة، حيث تتكشف جماليات التشكيل اللغوي، « وقد كان من معطيات هذا الاهتمام وهذه النقلة، نشوء علم جديد يبحث في لغويات النصوص المنطوقة والمدونة، عُرف في الدراسات الحديثة بعلم الأسلوب، أو الأسلوبية »"1" من شأنها أن تبعث مستويات الحوار بين عناصر الرسالة الأدبية متماهية مع مختلف مقوماتها.

إن هذا الحذو المنهجي بخصوصيته التحليلية، يتماشى في توجهه العام مع مطمح الأسلوبية، وسعيها الحثيث إلى «إبراز المحيط العاطفي، وتحديد مجالاته، واستقصاء الدلالات الوجدانية والانفعالية في جميع صور الخطاب اللغوي»"2"، مما يساهم في سد الثغرة، التي تعاني منها بعض مناهج التحليل التقليدية، التي تصرف جل اهتمامها « في تثمين الأفكار والحجج، واستثمارها في صور بيانية [...] دقيقة التحديد والتصنيف والتقعيد»"3" بتفحص تشكلات البنية الخارجية،

حيت يتلاشى النشاط الإيحائي لبنية الدلالة في الخطاب الأدبي عموما، والخطاب الشعري بشكل أخص، مما يستدعي الانقلاب « على القاعدة النظرية القديمة، التي تجعل جُل همها، وصف البنيات الشعرية المتحققة في النص، بوصفه واقعة مادية [...]. وعلى هذا، فالوصف العلمي ينبغي أن يندرج بقاعدة نظرية، تُوَجه لصالح العملية الشعرية برمتها»"[4]".

إثر هذا التقفي في نهج الأخذ بإجرائية تحليل الخطاب الأدبي، انتهى "**عبد السلام المسدي**" إلى الإقرار بضرورة انتهاج مقاربة ألسنية، تلامس حقل الخطابات الأدبية ملامسة فنية، تتوسل بمعطيات الدرس اللغوي، بوصفها سننا جاهزا، ومعيارا منجزا، يترصد بواعث العملية الإبداعية ومقصدها، وما تنطوي عليه من قيم جمالية، فإبداعية أي نص أدبي كما يشير في كتابه الموسوم بـ"**النقد والحداثة**"، «لا يفسرها إلا الاهتداء إلى النموذج الأسلوبي الثاوي وراء بنيته الصياغية، والذي يُتصفى من خلال مراتب البناء، بدءا بالأصوات والمقاطع والألفاظ، وختما بالمضامين الدلالية، بعد المرور بالتراكيب النحوية المتعاقدة»"[5]".

تبعا لهذا الطرح الذي يمنح الباحث رخصة الولوج إلى عالم اللحظة الشعرية، بكل ما فيها من خصوصية فنية، نلمح تفريعا أسلوبيا ينهض على قسمة لغوية تعاقبية، متولدة عن أجواء المشهد اللغوي، فاللغة « هي القاعدة التي تنطلق منها الفاعلية الذاتية للشعراء، تماما كما أن لكل موجود في الوجود قاعدته، ومنطلقه لتحقيق فاعليته الذاتية [....] وهي الوسيلة التي تحفظ هذه الفاعلية من التشتت والضياع»"[6]"، حيث تتموضع الوحدات التركيبية المرتسمة لخطى المستويات اللغوية، على نحو يجسد روح الموقف الوجداني، ولذلك يتخذ الدرس الأسلوبي « أساليب مختلفة، وطرقا متعددة، كل منها يرمي من جانبه، إلى جلاء شريحة»"[7]" في الخطاب الشعري، فإذا بآليات التصميم الخطابي، تتهيأ معلنة عن نفسها كحدث انشقاقي عن تلك الصرامة، التي يترصدها العقل في تنظيره القياسي لمختلف ملامح الدرس اللغوي، « بفعل تأثير إحقاقات اللسانيات

والسيميوطيقا. مسجلة حضورها إلى جانب الشعرية والسيميوطيقا كمبحث مؤهل لمعالجة أنماط التعبير والتواصل المختلفة»"[8]، وفقا للتراتبية التقعيدية التي نلمح صداها في المتون اللغوية، والممارسات اللسانية الحديثة، مما يمهد لتأسيس مشروع يعيد صياغة العلاقة بين اللغة بمختلف مستوياتها، وعالم الخطاب الشعري، « فوقائع الأسلوب لا يمكن التقاطها إلا على مستوى اللغة [....] التي تُكوِّن الهيكل الأسلوبي للنص»"[9] الشعري. ومن ثم الانفتاح على استراتيجيات أسلوبية متعددة (صوتية، صرفية، نحوية)، تستقي شرعيتها المنهجية من نمطها الخطابي التكويني، إذ تستحيل البنى التركيبية بأصواتها ووحداتها المورفولوجية معادلا لغويا فنيا، محاكيا للأنموذج اللساني العلمي، ومتماهيا مع « نظرية النتاج الإبداعي التي لها مكانتها في علم التأصيل وعلم الجمال»"[10] اللغوي.

وإذا ما سلمنا بهذا التقسيم الأسلوبي، فإننا لا نملك إلا الإقرار بذلك الحضور القوي الذي يشغله الحيز الصوتي من الفضاء الشعري بواقعه المادي، وكيانه الإيقاعي والوجداني، فـ « الذي يمكن أن تمنحه [...] المكونات الصوتية وثيق الصلة بنشاط اللغة والمعنى»"[11]، لاسيما وأن الملمح الصوتي في الخطاب الشعري، يعد عتبة إيقاعية، يتكئ عليها الشاعر في محاولته لتعميق الصلة بينه وبين المتلقي، بدءا بلحظة التشكل الجنيني للتجربة الشعرية، وصولا إلى التخلق النهائي على الصعيدين الصوتي والدلالي، « فهذا المنحى [...] ليس في أي مجال من مجالاته عنصرا إضافيا، بل نراه [...] يثري فاعلية الخلق اللغوي، ويمنح المبدع أو الشاعر ما يشاء لنشاط الخيال في خصوصية وامتياز حقيقيين، ويهب المتلقي معنى عميقا، إبان قراءة الشعر في أنه يكشف على الدوام علاقات جديدة بين إيقاع الشعر ومعناه»"[12]، مما يوطد التواصل الوجداني بين الشاعر وجمهور المتلقين، باستثارة الحساسية الجمالية لديه، فنحن «مدفوعون للجمال إبداعا واستمتاعا بعيوننا وسجايانا»"[13].

ولما كانت الواقعة الشعرية تمتاح معطياتها المادية من إفرازات الملفوظ الصوتي، فقد كان من الطبيعي أن تتشابك آليات التحليل الأسلوبي مع محددات الطرح الصوتي كخطوة إجرائية لبنينة صرح **أسلوبية البناء الصوتي**، ومن ثم اكتسب المستوى الصوتي موقعا جوهريا في سياق الأطروحات التنظيرية والتطبيقية على الصعيدين اللساني والأسلوبي.

في ظل هذا الطرح الذي تعزز حضوره في سياق البحث الأسلوبي، شغل البناء الصوتي مكانة هامة في سبيل استغوار حفرية التصميم الباطني للخطاب الشعري، بالاتكاء على مشروع علمي، يضع التحليل الصوتي في موقع متقدم من المقاربات الشعرية، فالأصوات بالنسبة للشاعر ليست « مرتدة إلى فطرتها البدائية عند شعوب الأرض في العصور البدائية؛ أي أنها ليست مجرد "صراخ"، بل إن الكلمة ذات إضافة، وذات إشعاع، بما ترسمه من صور، وما تعبر عنه من معنى»"[14]" وإيحاءات دلالية، تتضارب على سطح الخطاب في شكل ومضات صوتية، تسلك مسلكا إيقاعيا « ينفذ إلى ما وراء المستويات الواعية للتفكير والشعور، ويعبر من خلال التنوع الجم، الذي يتمتع به عن نقاط التقاء علاقات متبادلة بين عناصر التعبير»"[15]" المختلفة، التي تجد متنفسا لها من خلال آليات التحليل الجمالي، التي تتيحها الأسلوبية الصوتية بمعاييرها المرنة المنفلتة عن قيود الضبط الصوتي العلمي، المثبتة في المتون اللغوية والمطارحات الصوتية الحديثة، بالاستئناس إلى أواصر العلاقة الصميمية التي تربط بين الصوت المعنى، « وما يتمخض عنها من أفاق دلالية متشعبة، قادرة على التعبير عن التجربة الشعرية بكل عمقها وثرائها وتعقيدها»"[16]".

إستراتجية التحليل الأسلوبي الصوتي في الخطاب الشعري:

تنهض الرؤية المحورية للأسلوبية الصوتية، على عتبة جوهرية، تتغيا اقتفاء الأثر الفني والجمالي للخطابات الإبداعية، بتجاوز نمطية القرائن ومؤشرات النظام التشفيري، الذي يحيل إليه الخطاب اليومي، إذ ترتهن إلى

توجهات تحليلية أكثر عمقا، تتبنين على جدلية الحوار الآني بين الملامح العامة لحقلي الأسلوبية والأصوات اللغوية، بالاستناد على محصلة التراكم المعرفي، التي تبلورت من خلال الانفتاح على تجليات القيم الفنية التي يطرحها الصوت في الخطاب الشعري، «ومدى تأثيرها في المتلقي، لإبراز مجال التفاعل بين الدوال والمدلولات، والعلاقات الطبيعية بينهما، لأن في تطابق الأصوات ومعانيها، تبرز قيمة الصناعة الأدبية وروعة النص»"[17]، لتصب في تصورات أكثر نضجا، لا تقف عند حد التقسيم الإشاري لعالم الأصوات الشعرية، بحسب تفاصيلها الفيزيولوجية العضوية، أو سماتها الفيزيائية النفَسية المحضة، بوصفها نظاما مشتركا « بين الكائنات يمكنه أن يعبر عن الألم أو الفرح حسب الشكل الذي يرد به»"[18]، وإنما تترفع بالصوت من مزالق الوصف المعياري الجاف، وبوتقة التنظير القياسي الفاعلة في الحقل الصوتي، لتنفتح على حقل الماورائي، بهدف الكشف عن التشكلات الدلالية الباطنية، التي تثوي خلف النسيج الصوتي، معلنة عن نفسها كفاعلية تشكيلية ناشطة في صلب البنية التخطيطية للخطاب الشعري، تنأى بمقاربتها الأسلوبية عن رِق التوجه « الألسني في رصده للبنيات التركيبية للنص، لاقتناعها بضرورة البحث في حفرياته الأكثر غوراء، وتفجير مكوناته الدلالية»"[19]، المتجذرة في صلب البنية التخطيطية للعمل الشعري، « فرنين الكلام وحده لا ينتج شعرا»"[20].

ضمن هذا الإطار المنفتح على ازدواجية الرؤى الكشفية ما بين أسلوبية وصوتية في معالجة الخطاب الشعري، يتعمق لدينا إحساس قوي بضرورة التأطير لهذا الملمح المعرفي، بالوقوف على المفهوم اللغوي لمصطلحي (**الصوت والأسلوب**)، قصد استنطاق الدلالة الأصلية المستقاة من السندات المعجمية التأصيلية، لنلج من خلالها مجال المفهوم الاصطلاحي، حيث يتخذ

المصطلح تفسيرات علمية أكثر تخصصا ودقة، تتكشف من خلالها خلفيات التقارب بين الحقلين.

- **المجال الدلالي لمفهوم الصوت لغة واصطلاحا:**

انطلاقا مما سبق الحديث عنه، ينبغي التأسيس لمصطلح الصوت من الوجهة اللغوية، وفقا لما تفرزه المعاجم المتخصصة، فإذا حاولنا استكناه العبق التراثي لمادة (ص . و . ت)، نخلص إلى أن الدلالة الأصلية للمادة المعجمية، لا تكاد تخرج عن إطار الرؤيا الابستمولوجية التي حددت الاتجاه الدلالي للصوت بالاستناد إلى قيمته الجرسية، فالصوت من منظور الأعراف التراثية القديمة «الجرس، معروف، مذكر [....] ويقال صَوَّتَ يصوت تصويتا فهو مصوت، وذلك إذا صَوَّتَ بإنسان فدعاه»"[21]، ويفهم من تركيبة هذا النص، أن الصوت بمفهومه اللغوي ليس مجرد ظاهرة إنسانية حسب، وإنما هو ظاهرة طبيعية، تشمل كل حدث سمعي، ناتج عن حركات، أو اهتزازات أدت إلى إحداثه، فـ «الصاد والواو والتاء أصل صحيح، وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع»"[22]، مما تلقاه من المرسل.

ومما يلاحظ أن الإفراز اللغوي، والمعجمي يتفق إلى حد كبير، مع ما خلفته الإفرازات الاصطلاحية للصوت الذي يعد: أثرا سماعيا، ناتجا عن « الذبذبة المستمرة، والمطردة لجسم من الأجسام، وهذا ما نسمعه من الآلات الموسيقية الوترية والنفخية، بالإضافة إلى الصوت الإنسان»"[23]، فقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة، أن سماعنا للصوت بصفة عامة، «يحدث نتيجة لطرق، أو احتكاك جسم ما مصوت، تصدر عنه اهتزازات، أو ذبذبات تصل للأذن عبر جزيئات الهواء»"[24]، فهو من الناحية الفيزيائية، الناقل الطبيعي للمادة الصوتية، أو بتعبير آخر، حلقة الوصل بين مصدر الصوت، ومستقره في الأذن، ولهذا لا يشترط فيه أن يكون حاملا لقيمة دلالية، إلا إذا دخل مجال الاستعمال اللغوي، وأصبح مرتبطا بالإنسان.

وإذا كان التوجه الدلالي للمفهوم الاصطلاحي، يُغيب عنصر الدلالة، فإن الطرح الاستعمالي لمفهوم الصوت، يقف عليه باعتباره « آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف»"[25]"، فاللغة في جوهرها وكنهها أصوات ذات حمولة معنوية، لا يستطيع الدارس الوصول إلى آثارها الدلالية، إلا بدارسة تشكلات البنية الصوتية.

- **المجال الدلالي لمفهوم الأسلوب لغة واصطلاحا:**

إذا استحضرنا التمييز الدلالي لمادة (س . ل . ب) وفقا للإفراز المعجمي، فإن المساءلة الأولية تفضي إلى أن الأسلوب هو « الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه. والأسلوب بالضم الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه»"[26]".

إن حضور المادة الاشتقاقية لمصطلح "الأسلوب" في المصنفات المعجمية القديمة، لا يكاد يثير جدلا عميقا يولد تضاربا في الآراء"[27]"، كما هو الحال في المعالجات الاصطلاحية المتخصصة على صعيد التنظير الأسلوبي، لاتساع مدلول الأسلوب وامتداده نحو مساحات معرفية مجاورة أو موازية، تقاطعت « على المستوى الأفقي والرأسي»"[28]"، مما أدى إلى اصطباغ مفهوم الأسلوب بنوع من الضبابية، أدخلت "جورج مونان" في حالة من الهذيان المعرفي، حملته إلى الإقرار بعجزه عن إدراك كنه الأسلوب، قائلا: « هذا الذي لا أدري ما هو»"[29]".

إزاء هذا الوضع الاصطلاحي القلق، المليء بالزخم التنظيري لاشتباك مفاهيمه، نلمح منفذا يعيننا على تضييق شقة الخلاف بين مختلف الاتجاهات التي تتبعت مفهوم الأسلوب، وأطيافه التاريخية، يكمن في القيمة التأثيرية التي يتقصدها الأديب، ويستشعرها المتلقي، بوصفه حدثا لغويا « يمكن ملاحظته: إنه لساني لأن اللغة أداة بيانه، وهو نفسي لأن الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي

لأن الآخر ضرورة وجوده»"[30]، وهو ما يمنح « الأسلوب جدليات جمالية، تسهم في إبرازه بوصفه البنية الخفية في نسيج النص، وفي حفرياته الأكثر غوراء، وليس مجرد مظهر تجسده العلاقات المعجمية، وتضطلع به المقاييس اللغوية»"[31]، وذلك بتكثيف الطاقات الجمالية للغة، لضخ أكبر قدر ممكن من القيم الفنية المتواشجة في علاقة صميمية مع حركة النص الدلالية، تتمظهر في جزيئات تكوينية تآلفية تعطي «الأسلوب صورته وهيأته وبناءه وتشكله»"[32].

ومن ثم، ولئن كان الخطاب الشعري تركيبا صوتيا إيقاعيا من نوع خاص، فإنه يتأبّى الانصياع لسلطة التوجه الإشاري الاعتباطي، مما يستلزم مساءلة صوتية تتحرك بوعي جمالي مزود بجهاز مفاهيمي، يمارس دوره الكشفي في ظل التراحم المعرفي والتنافذ الإجرائي بين الصوتيات والأسلوبية. لاسيما بعد أن تهيأ للدرس الصوتي مكنة الانعتاق عن بوتقة التنظير السطحي بالإفادة من مكتسبات الزمن التكنولوجي وفكر ما بعد الحداثة، مما ساهم في الارتقاء بمستويات الطرح الأسلوبي إلى درجة تتيح للدارس معاينة الواقعة الشعرية المنطوقة معاينة آنية، تكفل التعايش التزامني مع وقائع الإنجاز الشعري لحظة المكاشفة الخطابية، وتتفاعل مع مجريات الوضع التداولي للخطاب.

في ضوء هذا المعطى، انبثقت الأسئلة عن سبل الإحاطة بالمجال الدلالي للخطاب الشعري، فكان أن سعت الممارسات الأسلوبية الحداثية إلى إحلال الصوت في موقع متميز من المقاربات الشعرية، حيث تتبدد أواصر العلاقة الاعتباطية بين مبنى المكون الصوتي وقراره الدلالي، لتتكشف سرية تواشجه الصميمي بعيدا عن التعسف الإلزامي للخطاب التأصيلي السجالي في الدرس الصوتي، إذ يجب أن يكون تعاملنا مع شظية الأصوات « في بناء إيقاع القصيدة أكبر من مجرد اعتماد الصوتية الصرف في الأصوات اللغوية، كي لا ينتج عن ذلك تشكيل إيقاعية خارجية، جاءت القصيدة الحرة أساساً لتقليل الاهتمام بها، والتعويض عنها بإيقاعية داخلية، تتناسب والتطورات الهائلة التي حصلت في

البنى الأساسية للحضارة والإنسان»"[33] ضمن آصرة إيقاعية لا تستجيب إلا لشرائط التجربة الشعرية، حيث « تظهر قوة الشعر الكامنة في هذه الطاقة التي ينطوي عليها الصوت مشرباً بالدلالة، وبقدر ما يكون هناك تجاوب صوتي، فإنه يسهم في إحداث موازنة سيميائية دلالية»"[34]لا ينفرط عقدها إلا بتفسخ نسيج العلائق السنفونية الإيقاعية في الخطاب الشعري.

وحتى يتهيأ لنا التسرب إلى حفرية البناء الصوتي في الخطاب الشعري، فإن استراتيجية التحليل الأسلوبي تستوجب نرتد إلى أبجديات التحليل الصوتي كسبيل أولي لبسط أرضية علمية، نتلمس من خلالها التصورات التنظيرية والحدود الإجرائية التي تعيننا على تمثل تضاريس المشهد الأسلوبي، « فليس من شك أن جانبا هاما في التجربة في الشعر مصدره الصوت»"[35] بمختلف تفاصيله الفيزيولوجية وحيثياته الفيزيائية، التي ضبطت معايير الكتابة بدرجة الصفر الصوتية.

أسلوبية البناء الصوتي في ظل مقترحات السند المخبري:

في إطار التحول من ثقافة سنِّ المعايير الظنية إلى التمثل التطبيقي للوحدات الصوتية، نلمح سعيا حثيثا لتأسيس «بلاغة جديدة تبارح التصور التقليدي للأزمنة ما قبل التقنية»"[36] في ظل الإغراءات العلمية التي يحفل بها الحقل الصوتي، « وأكثر من ذلك طموحا، ما نلمسه لدى المنادين بالاستعانة بالحاسب الآلي، وهو أمر بات استخدامه أمرا لازما في كثير من العلوم الإنسانية، ومنها الأدب»"[37]، فلا يخفى على من له صلة بالموضوع أن الدقة في الدراسات اللغوية تستوجب تخطي مرحلة الملاحظة السطحية، والمعاينة الأولية الذوقية إلى مرحلة متقدمة، تتسع فيها مساحة المجال التطبيقي، ذلك أن الاتكاء المطلق على منطق الآلية التنظيرية في الممارسات التحليلية، دون الانفتاح على الفاعلية التطبيقية، لا يعدو أن يكون « ضربا من الإغراق في المنطقية البحتة»"[38]، المعرضة للسقوط في مزالق الفهم الناقص أو الجزئي، « فالذوق مسألة انطباعية

قد تصطدم بمتلق عنيد»"[39]، وهو ما يحتم على الدارس اللجوء إلى الوسائل العلمية، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الدقة واليقين، « ولما كانت الآلة قد سبقت إلى ميادين العلوم العربية المادية، وثبت نجاحها هناك، كان الأحرى بالدارس اللغوي، إذا أراد الاستعانة بالآلة، أن يبدأ بجانبه المادي، وفي مجال الأصوات اللغوية بالتحديد»"[40]، حيث تتوافر على إجراءات تطبيقية، وآليات تحليلية، تعين على كشف الخصائص الفيزيائية لأصوات الكلام من جهة، وسبل إنتاج الصوت في الجهاز النطقي من جهة أخرى، شأنها في ذلك شأن العلوم التطبيقية كعلم الأحياء والفيزياء. هذا الوضع التقني الجديد، أفرز وضعا ابستمولوجيا متجددا على مستوى الإبداع الأدبي، استند في تأطيره على المظهر المادي للغة، مستقيا شرعيته من « إمكانية تطويع قدرات، وطاقة اللغة لتلاءم الإمكانات التي وفرها الزمن التكنولوجي»"[41].

إن هذا الوضع التقني الجديد، أفرز وضعا ابستمولوجيا متجددا على مستوى الإبداع الأدبي، استند في تأطيره على المظهر المادي للغة مستقيا شرعيته من «إمكانية تطويع قدرات وطاقة اللغة لتلائم الإمكانات التي وفّرها الزمن التكنولوجي»"[42]وانفتح عليها الطرح الصوتي، على نحو ما تهيّأ لنا من خلال مراودة قصيدة "**أحمد الزعتر**" لمحمود درويش بالاستناد إلى أحدث البرامج الإليكترونية التي تدخل في نسيج عمل المطياف الصوتي، الذي يؤهلنا لتحويل أي رسالة منطوقة إلى صورة طيفية، يمكن الإحاطة بتفاصيلها الفيزيائية، فمعالجة الكلام المنطوق يتضمن « على اختلاف أشكاله استخدام الحواسيب [...]، وعلى كل من يشتغل في هذا الحقل أن يعرف كيف ترسم الحواسيب الموجات الصوتية وتمثلها. إن الحواسيب تصف كل شيء بالأرقام، والموجة الصوتية يجب أن تقلص لتصبح سلسلة من الأرقام التي تمثل سعة الحركة الموجية في فترات زمنية منتظمة» "[43].

ولعل تفعيل هذا الطرح النظري والانتقال به إلى المجال التطبيقي، يفيد في استجلاء فاعلية الأصوات المجهورة والمهموسة على المستوى النطقي والدلالي للخطاب الشعري، حيث جاء تشكيله الصوتي وفقا لإمكانية الرسم الطيفي التي يقدمها البرنامج الإليكتروني ***Praat***، كالآتي:

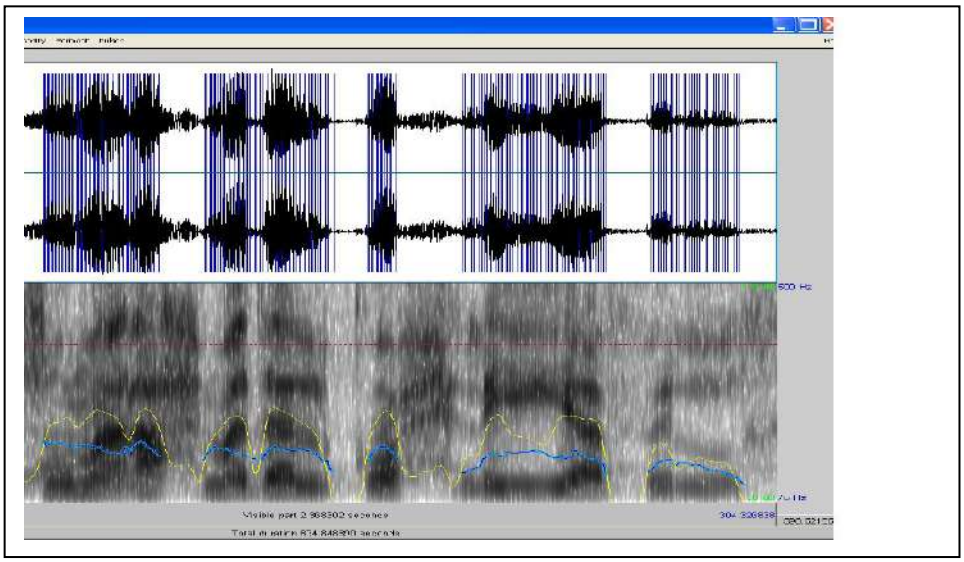

إن الأشكال الذبذبية الموضحة سابقا، تمثل صورة طيفية لعينة من الأبيات الشعرية، يتجلى من خلالها الأبعاد الفيزيائية لصفتي الجهر والهمس بحسب الطاقات النطقية، التي يتصف بها صوت "**محمود درويش**"، حيث تتبدّى معالمها على مستوى الحزم الصوتية وما يصاحبها من ترددات ذبذبية، تتحدد قيمتها الاهتزازية وفقا لثنائية الجهر والهمس؛ إذ يزداد علو التردد بغلبة الأصوات المجهورة، ويقل بطغيان نقيضها، وبتتبع المعالم الطيفية للصفات الأساسية في الشكل السابق نلمح اتساعا مكثفا لمساحة السواد في القسم الأسفل من الشكل المثبت أعلاه، وهو ما يعادل شدة اهتزاز الوترين الصوتيين في حالة الجهر، الذي يسيطر على جو الخطاب الشعري المتجاوب مع الطابع الحماسي المندفع، حيث يزداد سواد الحزمة الصوتية مترافقا مع ارتفاع درجة

الصوت المجهور، ويقل بانخفاض درجة التردد الذبذبي للوترين الصوتيين في حالة الهمس، ولاشك أن هيمنة الأصوات المجهورة تساهم في رفع نسبة التردد الصوتي، ولاسيما أن ارتفاع درجة الصوت، أو انخفاضها تتوقف « على جملة من العوامل الأخرى من أهمها الانفعال، فالشخص الحزين أو الذاهل من الأقرب أن يستعمل درجة صوتية أخفض، والشخص الثائر أو المبتهج من الأقرب أن يستعمل درجة صوتية أعلى»"[44]، ولاشك أن مظاهر الانفعال النفسي، تتجلى بوضوح من خلال الاستماع إلى إلقاء الخطاب، ويكفي أن نستدل على ذلك في قوله:

يّا أَيُّها الوَّلَدُ المُكَرَسُ للنَدَى
قَاوِمْ!
يّا أَيُّها البَلَدُ- المُسَدَسُ فِي دَمِي
قَاوِمْ!
الآنَ أُكْمِلُ فيكَ أُغْنِيَتِي
وَأَذْهَبُ فِي حِصَارِكْ
وَالآنَ أُكْمِلُ فيكَ أَسْئِلَتي
وَأولَدُ مِنْ غُبارِكْ
فَاذْهَبْ إِلَى قَلْبي تَجِدْ شَعْبِي
شُعوباً فِي انْفِجارِكْ

وحتى يتهيأ لنا تلمس المجال الفيزيائي الذي تدور في فلكه الأصوات المجهورة والمهموسة، فإن الرؤية الصوتية تحتّم علينا الاحتكام إلى منطق القياس الحاسوبي كخطوة إجرائية نتقصد من خلالها الكشف عن القيم الرقمية لعامل التردد(***Fréquence***)، بوصفه معيارا أساسيا يعكس بصورة تطبيقية التضاد النوعي الذي نلمس صداه بين الصوت المجهور ونقيضه المهموس، وقد آثرنا معالجة صوتي (**الدال/ التاء**) بوصفهما عناصر صوتية هيمنت على الفضاء الصوتي للخطاب، ووجهت حركته الصوتية « فالعنصر الصوتي المهيمن هو ذلك

العنصر الأساس في العنصر الشعري، إذ هو الذي يوجه الحرجة ويحدد العلاقات لكل المكونات الصوتية الأخرى»"[45].

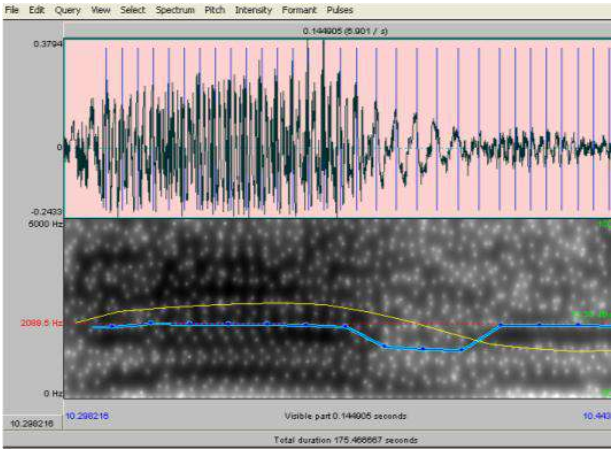

المعالجة الحاسوبية لصفة الجهر صوت الدال نموذجا من الحزمة الصوتية الخندق

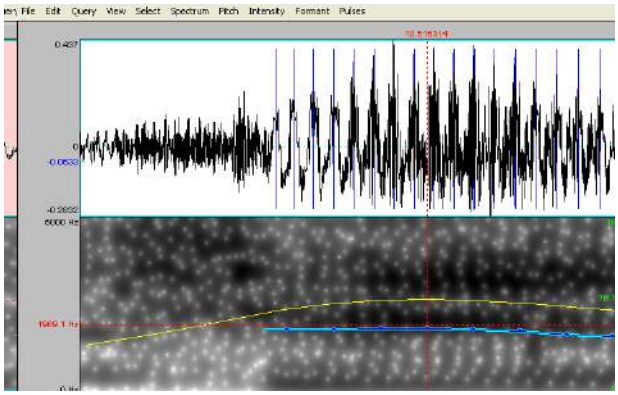

المعالجة الحاسوبية لصفة الهمس **صوت التاء نموذجا من الحزمة الصوتية تأت**

يمثل الرسمان السابقان مقابلة صوتية تجاور فيها صوت الدال (**المجهور**) مع صوت التاء (**المهموس**)، وقد تمّ اختيار هذه العينة وفقا لخصوصية التركيب العضوي التي تجمع بين الصوتين، باعتبارهما من فئة فيزيولوجية واحدة (**النطع**)، تتباين بحسب كمية التردد أو درجة اهتزاز الوترين الصوتيين، فـ «صوت الدال هو النظير المجهور للتاء، وليس بينهما فرق إلا أن

الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق»"[46] بقوة لا نلحظها مع التاء؛ إذ يشير الرسم الطيفي لصوت الدال إلى تركيب طيفي من الأشرطة العمودية القصيرة تتذبذب بشكل متقارب، يتصاعد فيها المنحنى البياني الأزرق منكسرا، ضمن مساحة شديدة السواد، تعكس شدة اهتزاز الوترين الصوتيين بقيمة ترددية وصلت إلى (**2088.5**هرتز) مع صوت الدال، في مقابل البياض الذي يتخلل المساحة التي يشغلها صوت التاء المهموس، دلالة على ضعف التردد الاهتزازي الذي بلغ (**1969.1**هرتز) مع صوت التاء، وبهذه القيم المثبتة تتضح المفارقة الصوتية بين الأصوات المجهورة والمهموسة، وهو ما يضفي على الجهر طاقة صوتية أكبر من طاقة الأصوات المهموسة.

وقد تكشّفت ملامح القوة في الأصوات المجهورة إثر اهتزاز شديد للوترين الصوتيين، « مما جعلها تخرج بصوت قوي [...] يمنع النفس من الجري معها عند النطق بها»"[47]، وهو ما انعكس على معمارية البناء الصوتي في خطاب "**أحمد الزعتر**"، وساهم في رفع سقف التواصل الجماهيري ليكرس بذلك مبدأ فاعلية التلقي في خضم الممارسة الإنشادية، فالخصائص الفيزيائية التي تنهض عليها الأصوات المجهورة تساعد على « خلق جو شعري خاص ذي أبعاد مختلفة، تجد لدى المتلقين أصداء مختلفة أيضا»"[48]، تتجاوب مع المميزات النغمية العالية والمدوية في صوت "**محمود درويش**" -لاسيما في الطبقة الغنائية الثالثة-، فهي بحكم طبيعتها الصوتية المستنفرة ساهمت في إبراز المعالم النطقية للشاعر ضمن السلسلة الصوتية المنطوقة، وتأجيج شعلة التوتر والصراع، لما يكتنفها من وضوح سمعي ترفّعت درجاته لازدياد معدل سرعة الهواء اللازمة لإنتاجها، إذ يتأرجح معدل سرعته بين قيمتي « **200- 700** سم^3/ث، بينما يتراوح معدل سرعة الهواء عند إنتاج الأصوات المهموسة، غير متبوعة بدفقة هوائية ما بين **200-300** سم^3، وهذا وحده كاف للدلالة على أن الأصوات المجهورة أقوى من نظائرها المهموسة من ناحية الوضوح السمعي»"[49] في أذن المتلقي، بينما تتميز الأصوات

المهموسة بثقل في الأداء يفوق ثقل الأصوات المجهورة، ولهذه المفارقة أثرها وتأثيرها على علاقة الأداء الصوتي بالدلالة.

ويتجسد التناسب بين الصفات الأساسية والمعاني التي كان يرمي إليها "**محمود درويش**" في خطاب "**أحمد الزعتر**"، من خلال النسيج النطقي الذي يقوم على تشكلات صوتية متفاوتة في درجة الاستعمال، بين طغيان ملحوظ لأصوات الجهر وحضور ضعيف لأصوات الهمس، « فالصوت الجهير ذو الرنين الجميل، الندي الحلو النغمة، العذب الترنم، الحسن التنغيم، المؤثر، ذو النغمة الموقعة في مكانها، يشكل المادة الأساسية للإنشاد»"[50]، وقد اتضح من خلال المساءلة الصوتية، اتكاء "**محمود درويش**" على الأصوات المجهورة لرسم معالم الفضاء السمعي للخطاب الشعري؛ إذ طغت بمميزاتها على الأصوات المهموسة في تشكيل البنية الصوتية المنطوقة، « وهذا أمر طبيعي وإلا فقدت اللغة العنصر الموسيقي، والرنين الخاص الذي يميز الكلام من الصمت، والجهر من الهمس، وقد تبيّن بالاستقراء أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام، لا تزيد على **20%**، وأن **80%** من الكلام يتكون من المجهورات»"[51].

وبهذا التقابل الصوتي ما بين قوة جهرية طاغية ومهيمنة على الخطاب، ورهافة همسية مُطلة باستحياء على نسيجه التركيبي، ألفينا "**محمود درويش**" يوّلد توترا نسقيا تقصّد من خلاله استفزاز حساسية التلقي لدى جمهوره، فتجميع «عدد من الأصوات المعينة بشكل أشد كثافة من المعتاد، وتركيب نوعين من الأنسجة الصوتية المختلفة في بيت من شعر أو في مقطع أو في قصيدة، يقوم بوظيفة كنوع من التيار الدلالي الباطني»"[52] الذي يتسرب إلى المفاصل البنائية للقصيدة، عبر جسرها الصوتي المتشظي بحالات الصخب. وبذلك تظهر العلاقة الكامنة بين العنصر الصوتي المهيمن ووظيفته الدلالية والإيقاعية بتجاوب عناصر الشكل التعبيري المنطوق، وما توفره من « التنوع المتجانس للإيقاع الصوتي، وذلك بتجنب التوالي الممل للصوت نفسه داخل السياق الشعري»"[53].

وعليه، فإن الإسراف في الأخذ بإجرائية التحليل التقني وتتبع الأنشطة المادية للأصوات الشعرية، وما يحيط بها من تفاعلات فيزيائية وتفاصيل عضوية فيزيولوجية محضة، دون الالتفات إلى أثرها الجمالي والاستيطيقي في الخطاب الشعري، يَحد من طموح الدرس الأسلوبي بامتثاله لمنطق المعالجة الإحصائية، والاحتكام إلى قانون معياري توجهه منظومة « أسلوبية جافة لا تخدم إلا بعدا واحدا لا يقوم بنفسه، ولا يؤدي غاية كاملة الإفادة»"[54]"، مما يحيل حقل الأسلوبية إلى حقل هجين يركن إلى ركام من النظريات الضبطية الصارمة، ترتهن إلى بلاغة تعنيفية صنمية، تنهض على رصد التقديرات الحسابية والقياسات المخبرية للمعطيات الصوتية، « وهكذا يبدو التشكيل الصوتي ممزقا، ويبدو نشاطه الجمالي مفككا»"[55]"، وهو ما يقصف بشعرية الخطاب وانحناءاته الإيقاعية، التي تتكشف من خلال التمظهر العلائقي بين الصوت والمعنى في هيئة تلاحمية، يتواشج فيها المكون الصوتي بصورته الحسية والمفاعل الدلالي بطاقته الإيحائية، فإذا كانت الممارسة الشعرية تتخلق من نقطة بؤرية تتفاعل فيها العناصر الصوتية بالدلالية، « فإن تحليل الوظائف الرمزية للجانب الصوتي، لا يلبث أن يتشابك مع جوانب الدلالة الإيحائية»"[56]" التي يطرحها الصوت في الخطاب الشعري.

ولذلك يبدو الافتراض القائم على هيمنة السند المخبري في المساءلة الخطابية وتفرده بسلطة امتلاك السنن التحليلية، مشروعا وهميا يرتكز إلى إقصاء الطاقة الكامنة في صلب العملية الشعرية، فـ « كل اتجاه يرمي إلى إغفال هذا المنحى، ينبغي ألا يعد بسهولة جزءا من فاعلية اللغة أو نشاط الشعر»"[57]"، ذلك أن العناصر الصوتية في الخطاب الشعري، ليست مجرد مادة جامدة متحجرة، «أو رد فعل غريزي معجم»"[58]"، يحركه همُ التواصل الاجتماعي، وإنما هي أصوات نابضة بالمخزون الفكري والعاطفي للشاعر، تتموضع على نحو نسقي يصاحبه « تطور وتعقيد وعمق في البينة الإيقاعية، بالقدر الذي يستوعب انفجار الدلالة، ويحقق تماسكا نصيا يستحيل فصله»"[59]"، وهو ما يستعصي على

الآليات الفيزيولوجية والفيزيائية استكناهه، ف «الآلات والأجهزة الموجودة في مختبر الصوتيات، هي أدوات غير ذات موقف ثقافي [....]، وهي ليست مزودة بأي (كذا) وسيلة لقياس المعطيات، طبقا للمعايير التي تتبناها ثقافة معينة»"[60]، ترضخ لمعايير التسنين الرقمي وجبرنة الوقائع المادية، التي تتأبّى الإنصات لروح النبض الدلالي، لولوجها مسالك علمية ضيقة، ينحصر أفقها التحليلي لاتساع آفاق الخطاب الشعري ورحابة فضائه، « ومن ثم يصعب وضع قانون صارم لتحليلها، ولكن هذا لا يعني التسيب في الخطاب النقدي المتعلق بالشعر حاليا، بدعوى الشعرية، وتعويض العلم بالفوضى، والنقد بالانطباع المبني على ذوق مهزوز، أو إيديولوجيا بالمعنى التقليدي القدحي للكلمة»"[61].

استنادا على هذا الطرح الذي يتجاوز الإغراق في تبني أطر التحليل المادي في الخطاب الشعري، وينفتح على جدلية التفاعل بين المؤثرات الصوتية والدلالية، يتعمق الإحساس بضرورة الاحتكام إلى مقاربة أسلوبية تمتثل بآلياتها الصوتية والإيقاعية لروح التجربة الشعرية، ذلك أن الوقوف على أطلال البنى الصوتية، والاكتفاء بنتائج الإفرازات المخبرية للعينة التطبيقية يقصف بفاعلية السياق، ودوره في تحديد التوجه الدلالي للصوت، فهو يقع في ثناياه، و« يكتسب معناه فيه، والسياقات لا تحصى، وبخاصة في أنواع الاستعمالات الشعرية، أو الشبيهة بها»"[62]، ولا ريب أن المعالجة الصوتية المتأسسة على مدى كفاءة الأوضاع التقنية، « لا يمكن أن تخرج لنا نتائج صحيحة ودقيقة، إلا بقدر ما يغذيها الباحث تغذية صحيحة بالعينات المراد تحليلها»"[63]، وفقا لمستلزمات التحليل المادية من تفاصيل فيزيولوجية وأخرى فيزيائية، دون الإنصات للنبض الباطني المترسب في محيط النسيج الشعري، ولذا فإن « تحليلنا لأصوات الشعر، ينبغي ألاّ يكون أبدا تحليلا آليا باردا، بل يجب أن يراعي دائما الفكرة التي يحملها الشاعر، والعاطفة التي يريد أداءها»"[64].

وعليه، فإن التماس الفني بين الأسلوبية والصوتيات يخفف من وطأة الحس المادي لعلم الأصوات، ويعين الدارس على الانفتاح على الإمكانات الجمالية والنفسية والدلالية التي يطرحها الصوت في الخطاب الشعري. ومن ثمة اكتسب الصوت فاعلية جمالية تشب عن طوق العلاقات المخرجية الجافة والمعالم الوصفية المتحجرة، حيث يتهيأ للدارس الأسلوبي عبر هذه الفاعلية اختراق الفضاء المادي للخطاب الشعري بأطر مادية تشير إلى إمكانية التنافذ المعرفي بين الأسلوبية وعلم الأصوات.

هوامش البحث

1-سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبي، رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، 2006، ص01.

2- رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993، ص26.

3-محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1991، ص33.

4- هيرمنيوطيقا الشعر العربي، نحو نظرية هيرمنيوطيقية في الشعرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2008، ص55.

5- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 1983، ص101.

6-أسيمة درويش، تحرير المعنى دراسة نقدية في ديوان أدونيس "الكتاب1"، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط01، 1997، ص190.

7-محمد حماسة عبد اللطيف، النحو الدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط01، 2000، ص161.

8- محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، ص33.

9- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط01، 1998، ص150.

10-رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د.ت)، ص10.

11- سلوم ثامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط01، 1983، ص51.

12- سلوم ثامر، المرجع نفسه، ص166.

13- أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، الجمال تطريبا واصطلاحا، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، السعودية، ع256، 1998، ص48.

14- يوسف حسن نوفل، أصوات النص الشعري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط01، 1995، ص128.

15- سلوم ثامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص62.

16- محمد صابر عبيد، إيقاع الدلالة ودلالة الإيقاع، مجلة عمان، عمان، الأردن، ع06، 2000، ص41.

17- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص03.

18- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2005، ص34.

19- خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1996، ص150.

20- السعيد وعزوز، فن الإلقاء الشعري، مقوماته ووظيفته، إشراف محمد زوهير، المركز التربوي الجهوي، شعبة اللغة العربية، مراكش، المغرب، 2008-2009، ص12.

21 - أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2005، مادة (ص- و- ت)المجلد01، ص788، وينظر أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، الدار العربية للطباعة، القاهرة، مصر، 1964، ج12، ص223، ومحمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط01، 1306هـ ج01، ص562.

22-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط،عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991، مادة (ص ـ و ـ ت)، مج3، ص318.

23 - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ص127.

24-كريم زكي حسام الدين، الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص54.

25- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح حسن السندوني، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج1، ص87.

26- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلب)، المجلد 01، ص433.
27- تتفق أغلب المعاجم اللغوية القديمة حول صياغة تأصيلية موحدة لدلالة الأسلوب، وهو ما نجد صداه في متون التراثية، ينظر في ذلك: أبو الحسن بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، ج03، ص92-93، الزبيدي، تاج العروس، ج01، ص301، الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، ص435..
28-أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، مجلة النقد الأدبي "فصول" المجلد 05، العدد01، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1984، ص60. ويقصد بالمستوى الأفقي، الاستخدام المتزامن للمصطلح في حقول متعددة متجاورة أو متباعدة، وبالمستوى الرأسي، الاستخدام المتعاقب في فترات زمنية متتابعة داخل حقل واحد.
29-جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب بكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981، ص131.
30-منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز النماء الحضاري، حلب، سوريا، ط01، 2002، ص35.
31- خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، ص147.
32- سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبي، ص115.
33- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبينة الإيقاعية، حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى، جيل الرواد والستينات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص20.
34- محمد صابر عبيد، المرجع نفسه، ص08.
35- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص333.
36- محمد الماكري، الشكل والحطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، ص184
37- يوسف حسن نوفل، أصوات النص الشعري، ص296.
38- مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط01، 2002، ص14.
39-أحمد العمراوي، يقول الشاعر، دراسات في الشعر الحديث، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط01، 2007، ص09.
40- سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة ياسر الملاح، مراجعة محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983، ص10.
41- محمد الماكري، الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، ص06.
42- محمد الماكري، المرجع نفسه، ص06.
43- بيتر لادفوجد، عناصر صوتيات موجات الكلام، ص157.
44-أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص122.
45- سلوم ثامر، الانزياح الصوتي الشعري، ص51.
46- محمد كمال بشر، علم اللغة العام، القسم الثاني، الأصوات، ص129.
47- سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2004، ص73.
48 - ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص128.
49 - سمير شريف إستتيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص173.
50 - رياض زكي قاسم، تقنيات التعبير العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2002، ص131.
51- عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم و الحديث، مطبعة ابن خلدون، دمشق، سوريا، 1987، ص103.
52 - صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص392.
53 - ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص228.
54- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو الدلالة، ص170.
55- سلوم ثامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص35.
56- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1992، ص471.
57- سلوم ثامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربية، ص51.
58- عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط06، 2006، ص263.

59- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبينة الإيقاعية، ص06.
60- سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص112.
61- أحمد العمراوي، يقول الشاعر، دراسات في الشعر الحديث، ص11.
62- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص22.
63- سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، ص112.
64- محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ج01، ص69.

ظاهرة الفصل والوصل في ديوان الحماسة البصرية »دراسة تطبيقية تحليلية"

The Link and separation phenomenon

And"A statistic and analysis study "

هاشمي إلياس *

تاريخ تقديم البحث **2017/2/2** تاريخ القبول **2017/4/13**

ملخص:

تطرقِ هذا البحث إلى ظاهرة الفصل والوصل مبينا أهمّيتها ومدى اعتناء البلاغيين بها ؛ نظرا لدقّة مسلكه و غموض مأخذهِ وعظيم فائدته حتّى حصر أبو على الفارسي البلاغة في معرفته ، إذ لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلّا كمل لسائر علوم البلاغة قاطبة ، كما تضمن البحث مواضع كلّ من الفصل والوصل مشيدا بنقاط الاشتراك الّتي جمعت بين النحو والبلاغة في بعض المسائل. وتعرض أيضا إلى اختلاف النحويين عن البلاغيين في نظرتهم إلى ظاهرة الفصل والوصل .

وقد حاول البحث تحليل نماذج تطبيقية لهذه الظاهرة في ديوان الحماسة البصريةِ لأبي الفرج البصري مع الوقوف على محسنات الفصل والوصل وبلاغتها .

الكلمات الدالة: الفصل والوصل ، الحماسة البصرية كمال الاتصال ، كمال الانقطاع

Abstract

This research tackles the link and the separation phenomenon showing the importance of Language Specialists in it Since it is so specific and exact and The ambiguity it contains and its greatness benefits " about Ali Alfarsi »summarizes language in it because the one who is not fluent in this domain .it sell is not fluent in the language this domain .its sell is not fluent in the language. the separation position tackling common points that link between conjugating verbs and the language in some cases ,It also tackles the differences between the language specialists visions and other ho the link and the separation phenomenon

this research tries to analyze tasks related to this phenomenon in ¨ Diwan Alhamasa Albasriya ¨ with the Advantages of the link and the separation and their meanings

Keyboard: the link and the separation/ Alhamasa Albasriya / totaling /total distinction

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات ،جامعة د. مولاي الطاهر ، السعيدة

مقدمة:

يعدّ مبحث الفصل والوصل من أهمّ وأعظم المباحث البلاغية التي شغلت ذهن البيانيّين، ومن أدقّ أبواب علم المعاني، حتى إنّ الفارسيَّ قصَرَ معرفة البلاغة على معرفة الفصل والوصل[1]. قال عبد القاهر الجرجاني: « إنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معانى البلاغة »[2] .

ومن حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل والسّرُ في ذلك دقّة مسلكه حيث بلغ من الغموض ما جعل أئمة علم المعاني يحصرون البلاغة في إدراك الفصل والوصل.

قال القزويني في الإشادة بفضله : « فنٌّ منها عظيمُ الخطَرِ، صعب المسلك، دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علمًا بكنهه، إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورزق في إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا »[3].

ويعتبر موضوع الفصل والوصل من المباحث الّتي يشترك في دراستها كلّ من علمي النّحو والبلاغة ، إذ تتوخّى البلاغة الأسرار الدّقيقة الّتي تكمن وراء عطف الجمل بعضها على بعض أو فصلها ، ولا يسهل إدراكه إذا لم يكن الباحث ملمًّا بكلام العرب وأساليبهم ، ولا يتأتّى دراسة مضامين الجمل ودلالة ألفاظها على معانيها دون الإلمام بقواعد اللّغة ، وسنرى بعض أبواب النّحو التي تطرّق إليها البلاغيون في أبحاث الفصل والوصل و قد كانت في الأصل محطَّ بحث لدى النّحويين .

1. مفهوم الفصل والوصل

الفَصْل لغة: الحاجِز بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، فَصَلَ بَيْنَهُمَا يَفْصِل فَصْلًا فانْفَصَلَ، وفَصَلْت الشَّيْءَ فانْفَصَلَ أَي قَطَعْتُهُ فَانْقَطَعَ[4]. قال الزّمخشري :" الفصل: التّمييز بين الشّيئين. وقيل للكلام البيّن: فصل " [5]

والوصل لغة: ضدّ الهجران ، وبينهما وصلة أي اتّصَالٌ وذريعةٌ [6].

وفي الاصطلاح عرّفه النُّويري في مصنَّفه نهاية الأرَب في فنون الأدَب: « فهو العلم بمواضع العطف والاستئناف، والتّهدّي إلى كيفيّة إيقاع حروف العطف في مواقعها»[7]. ويزيده توضيحا تعريف صاحب الطّراز: « أمّا الفصل فهو في لسان علماء البيان عبارة عن ترك الواو

العاطفة بين الجملتين.. وأمّا الوصلُ فهو عطفُ الجملة على الجملة ».فالوصل على حدّ هذين التّعريفين هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك ذلك العطف.

قال الأخضري :

الفصلُ تركُ عطفِ جملةٍ أَتَتْ ... مِنْ بعدِ أُخرى عَكْسُ وصلٍ قَدْ ثَبَت.[8]

وخصّ البلاغيّون الواو بالذّكر لأنّها هي الأداة الّتي يخفى الحاجة إليها ، ويحتاج العطف بها إلى دقّة إدراك .إذ تدلّ الواو على مطلق الجمع ، على خلاف باقي حروف العطف، فلها معان خاصّة " التّرتيب، التّعقيب، التّراخي ، الاستدراك "[9] .

وقد بيّن ذلك السّكّاكي بقوله :« وأنت إذا أتقنت معاني الفاء وثمّ وحتّى ولا وبل ولكن و أو وأم وأمّا وأيْ على قولي حصلت لك الثّلاثة ؛ لدلالة كلّ منها على معنى محصّل مستدع من الجمل بيّنا مخصوصا مشتملا على فائدته وكونه مقبولا هناك»[10].

مواضع الفصل

الأول: أن يكون بين الجملتين اتّحادٌ تامّ وامتزاج معنويّ، حتّى كأنّهما أُفْرِغَا في قالبٍ واحد، ويسمّى ذلك «كمال الاتّصال»[11]، قال السّكّاكي: « متى نزلت من الأولى منزّلة نفسها لكمال اتّصالها »[12]، بمعنى أن تتّحد الجملتان في المعنى فيتعلّق معنى كلّ واحدة منهما بالآخر كما ذكر صلاح الدّين العلائي الدّمشقي: « أَن يكون معنى إِحْدَى الجملتين لذاته مُتَعَلّقًا بِمَعْنى الْأُخْرَى »[13].

قال الجرجاني مبيّنا علّة الفصل في كمال الاتّصال : « جملةٌ حالُها مع التي قبلَها، حالُ الصفةِ مع الموصوفِ، والتّأكيدِ مع المؤكَّدِ، فلا يكون فيها العطفُ ألبتَّةَ، لِشبْهِ العَطْفِ فيها لو عُطِفَتْ، بعَطْفِ الشيء على نَفْسِه »[14]. فكمال اتّصالها لا يتحقّق العطف بينها كما لا يفصل بين الصفة والموصوف،

وهذا يكون في ثلاثة أمور :

أن تكون الجملة الثّانية مؤكِّدة للأولى لزيادة التّقرير، أو لدفع توهّم تجوّز أو غلَط[15]، سواء أكان تأكيدًا لفظيا، نحو: **{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}** [الطارق: 17]،

فصل بين الجملتين؛ لأنّ الثّانيةَ بمثابةِ التّأْكِيدِ اللّفظي مِنَ الأُولَى، قال الإمام الطيبي في البيان في التّبيان: « أن ينزّل منزّلة اللّفظي في اتّحاد المعنى نحو: جاءني زيد زيد »[16] .

أَمْ تأكيدًا معنويا نحو: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}، حيث نزّلت الجملة الثّانية " إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" من الأولى منزّلة التّوكيد اللّفظي فأفادت التّقرير مع اتّحَادِ المعنى، مثلَ قولنا :"جاء زيد" يحتمل أنّ الّذي جاء هو غلامه على خلاف جاء زيد نفسه ، فيه رفع الاحتمال.

قال بهاء الدّين السّبكي : « والموجب للتّأكيد دفع توهّم الغلط ، أو التّجوّز »[17].

وقد ورد مثل هذا في ديوان الحماسة في قول الشّاعر القَحِيفُ بنُ حِمْيَر الخِفَاجِي

فَخَـــلُّوا طَرِيقَ الْحَرْبِ لَا تَعْرِضُوا لَهَا ... إِذَا مُضَرٌ الْحَمْـــرَاءُ عـــبَّ عُبَـــابُهَا[18]

فالشّاعر في جملة " فَخَلُّوا طَرِيقَ الْحَرْبِ" نصح أهل عشيرته بأنْ لا يركبوا مطيّة الحرب ولا يسلكوا سبيلها، وليؤكِّد هذا المعنى عقّب بجملة أخرى لها نفس مضمون الجملة الأولى زيادة في التّقرير "لا تعرضوا لها " أيْ لا تتعرّضُوا لها ، فوجب الفصل لأنَّ بين الجملتين امتزاج معنوي، « لأنّ مضمونَ الثّانيةِ منهمَا مقرّرٌ لمضمونِ الأُولَى»[19].

وهذا هو السرّ في بلاغة الفصل في هذا الموضع هو التّأكيد كما ذكر صاحب البلاغة الاصطلاحية: « وسرّ بلاغة الفصل والوصل في التّأكيد أنّ التّأكيد و المؤكّد كالشّيء الواحد»[20].

أن تكون الجملة الثّانية بدلا من الأولى وذلك لكونها أَدَلَّ عَلَى الغَرَضِ، وأوفى بالمطلوب من جهة ، وللعناية بشأنها من جهة أخرى[21]، وبالأخصّ حين تكون الجملة الأولى غير وافية في دلالتها فتقرن بجملة تكون موضّحةً لها.

قال السّكّاكي : « وأما الحالة المقتضية للإبدال فهي أن يكون الكلام السّابق غير وافٍ بتمام المراد وإيراده أو كغير الوافي، والمقام مقام اعتناء بشأنه »[22].

ومثّل البلاغيُّون بقوله تعالى: « **أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** »[الشعراء:133]. فالجملة الأولى "أمدّكم بما تعلمون" فيها إجمال للنّعم التي أسبغها الله على عباده، فأبدلَ منها جملةً تنوّه ببعض النِّعم، فالأنعام والبنين من جملة ما يعلمون

من النّعم، وإنّما خصّها ونصّ عليها هنا للعناية بشأنها[23] ، بل صارت كأنّها مقصودة بالحكم دون الأولى كالبدل المفرد ، وقد نقل السّكّاكي في مفتاحه قول النّحاة : « البدل في حكم تنحية المبدل منه »[24].

وهذا هو السرّ في بلاغة البدل هنا كما ذكر عبد العزيز قلقيلة: « وسرّ بلاغة الفصل في البدل أنّ المبدل منه في نيّة الطّرح »[25] ، وخلاصة القول في جملة بدل البعض من الكل أن يكون مدلول الثّانية بعض مدلول الأولى أي: جزءا منها .

قال مسلم بن الوليد:

عَوَّدْتَ نَفْسَكَ عَادَاتٍ خُلِقْتَ لَهَا ... صِدْقَ اللِّقَاءِ وَإِنْجَازَ المَوَاعِيدِ[26]

أجمل الشّاعر في الشّطر الأوّل العادات الحميدة التي نسبها لممدوحه " داوود بن يزيد"، إذ هي كثيرة ثمّ أبدل وذكر بعضها في الشّطر الثّاني ، " صِدْقَ اللِّقَاءِ وَإِنْجَازَ المَوَاعِيدِ" وذلك للعناية بشأنها ، فالجملة الثّانية "صِدْقَ اللِّقَاءِ وَإِنْجَازَ المَوَاعِيدِ" بدل بعض من كلّ ؛ لأنّ مدلول الجملة الثّانية جزء وبعض من مدلول الجملة الأولى.

وقد تنزّلُ الجملة الثّانية من الأولى منزّلة بدل الاشتمال من متبوعه كقوله تعالى: {اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ، فإنّ المراد هو حمل المخاطبين على إتباع الرّسل.

قال القزويني : « وقوله تعالى: {اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} أوفى بتأدية ذلك، لأنّ معناه اتّبعوا من لا تخسروه معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحّة دنياكم فينتظم لكم خير الدّنيا والآخرة»[27].

قال صاحب البلاغة العربية : « والغرض التّنبيه على قضيّة مهمّة فيهم ، وهي إخلاصهم وعدم سعيهم لغرض دنيويّ »[28] .

أن تكون الجملة الثّانية بيانًا للأولى لخفائها، والمقام يقتضي إزالة هذا الخفاء [29]، قال صاحب الطّراز: « أن تكون الجملة الأولى واردة على جهة الخفاء ، كقوله تعالى: { **فوسوس إليه الشّيطان ، قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد أو ملكٍ لا يبلى** }[طه: 120.]. فصلت جملة {قَالَ يَا أَدَمُ} عن جملة {فَوَسْوَسَ} ؛ لأنّها موضّحة لها، بمثابة عطف البيان منها لخفائها ؛ إذ لم تتبين تلك الوسوسة[30].

جاء في ديوان الحماسة البصرية قول الأخطل غياث بن غوث التّغلبي :

يَسُــرُّ إِلَيْهَا وَالرِّمَــاحُ تَنُوشُــهُ ... فِدًى لَكِ أُمِّي إِنْ سُبِقْتِ إِلَى العَصْرِ[31]

فصل الشّاعر بين الجملتين فلم يعطف بالواو؛ لأنّ الجملة الثّانية موضّحة ومفسّرة للأولى حيث أبهم الشّاعر في الجملة الأولى السّرَّ الّذي كان بينه وبين والمخاطب، ثمّ أزال ذلك الإبهام بجملة موضّحة تقوم مقام عطف البيان، كما قال عبد المتعال الصعيدي في بغية الإيضاح: « وذلك بأن تنزّل منها منزّلة عطف البيان مع متبوعه في إفادة الإيضاح »[32].

وممّا يلاحظ أنّ هذا الموضع "كمال الاتّصال" اعتبار نّحوي يعتمد على أبواب النّحو من التّوكيد والبدل والجمل المفسّرة ، فلا غنًى للبلاغيّين عن الدّراسات النّحوية ، وكم من موضوع نحوي جعل له أهل البلاغة تسمية بلاغية ، قال عبد المتعال الصعيدي: « فالفصل في هذه المواضع لا يرجع إلى مقام يقتضيه ، وإنّما يرجع إلى امتناع العطف في النّحو بين التّأكيد والمؤكّد بين البدل والمبدل عنه و البيان والمبيّن ؛ لأنّ العطف يقتضي التّغاير بين المعطوفين والتّأكيد عين المؤكّد وكذا عطف البيان والبدل »[33].

الثّاني : كمال الانقطاع

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تامٌّ بشرط ألّا يؤدّي ذلك إلى إبهام غير المقصود [34]، وتحت هذا نوعان:

أن تختلفا خبرا وإنشاء لفظا ومعنى[35]، قال صاحب المصباح في علم المعاني و البيان: « أن يختلفا طلبا وخبرا والمقام عارٍ عمَّا يزيلُ الاختلافَ»[36].

نحو قوله تعالى: **«وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين» [الحجرات: 9]**لم يعطف " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين" على " أَقْسِطُوا" ؛ لأنّ جملة " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين" خبر لفظًا ومعنًى، وجملة " أقسطوا " إنشاء لفظًا ومعنًى .

وقول الشّاعر الْحَارِث بن عباد البكري :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... لَقَحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالٍ[37]

فجملة "قرّبا مربط النَّعامة منّي" إنشائية بصيغة الأمر على خلاف الجملة الثّانية فهي خبرية لذا وجب الفصل بينهما إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء .

أو تختلفا معنى فقط، نحو قولك: **مات فلان رحمه الله**[38].

أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللهُ فِيهُمُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا[39]

فصل الشّاعر بين الجملتين في الشّطر الأوّل " أُولَئِكَ قَوْمِي"و جملة "بارك الله فيهم"؛ لأنّ الجملة الأولى جملة خبرية اللّفظ والمعنى ، والجملة الثّانية خبرية اللّفظ إنشائية المعنى ، فوجب الفصل بينهما .

وقد ورد في القرآن الكريم الوصل بين الجملتين المختلفين خبرا و إنشاءً في كثير من المواضع، كقوله تعالى : « ولا يحزنك قولهم إنّ العزّة لله جميعا» [يونس: 65].

ففصل بين الجملة الإنشائية " لا يحزنك قولهم " و الجملة الخبرية "إنّ العزّة لله جميعا" .

وقد تأوّل علماء البلاغة النّصوص التّي ظاهرها عطف الخبر على الإنشاء بما يوافق قاعدة الفصل والوصل بغية اطّرادها . وأنكر العلامة الطّاهر بن عاشور هذا الموضع ولم يرتض التّأويل الذي لجأ إليه البلاغيون إذ يقول : « وَلَا يُرِيبُكَ عَطْفُ الْإِنْشَاءِ عَلَى الْخَبَرِ؛ لِأَنَّ مَنْعَ عَطْفِ الْإِنْشَاءِ عَلَى الْخَبَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ غَيْرُ وَجِيهٍ وَالْقُرْآنُ طَافِحٌ بِهِ »[40].

وذهب عبد المتعال الصعيدي إلى أنّ الفصل للاختلاف في الخبر والإنشاء حكم نحوي لا يصحّ أن يعدّ في اعتبارات الفصل والوصل ، فهو لا يرجع إلى مقام يقتضيه في هذا الموضع ، وإنّما يرجع إلى منع النّحويين له قاطبة، وقد أجاز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر، مثل أن تقول: " هذا زيد ومن عمروٌ "[41].

وجمهور النّحويين على أنّه لا يجوز العطف، واختاره ابن عصفور في شرح الإيضاح ، وابن مالك في باب المفعول به في شرح التّسهيل .

ورأى السّبكي أنّه يجب الفصل بلاغة، وفي ذلك يقول: « واعلم أنّ الخبر والإنشاء المتمحّضين لا يعطف أحدهما عن الآخر فيجب الفصل بلاغة ، وأمّا لغة فاختلفوا فيه »[42].

ألا تكون بينهما مناسبةٌ في المَعْنَى، حيث تستقلّ كلّ جملة بمعنى مغاير لمعنى الجملة الأخرى ،قال النّويري :« ألّا يكون بين الجملتين تعلّق ذاتيّ، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضا؛ لأنّ العطف للتّشريك ولا تشريك ».[43]

وذلك نحو قوله:

إِنّـَمَا المَـرْءُ بِأَصْغَرَيْـهِ ... كُـلُّ امْرِئٍ رَهْـنٌ بِمَا لَدَيْهِ.[44]

مضمون الجملة الأولى "أنّ المرء يعرف بأصغريه" أي: قلبه ولسانه ، ومعنى الجملة الثّانية "أنّ كلّ إنسان يجازى بعمله" ، ولا مناسبة بين الجملتين فوجب الفصل ، وقد علّل ذلك السّيد أحمد الهاشمي:« لأنَّ العطف يكون للرّبط، ولا ربط بين جملتين في شدَّة التّباعد وكمال الانقطاع »[45].

قال عنترة بن شدّاد :

شَكَكْـتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ ...لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ.[46]

هنا قد اختلفت الجملة الأولى "شككت بالرّمح الطّويل ثيابه" عن الجملة الثّانية " لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ" ، من حيث المعنى إذ لا وصلة بينهما ، فوجب الفصل لعدم وجود مناسبة بينهما في المعنى .

الموضع الثّالث : "شبه كمال الاتّصال" .

وهو كون الجملة الثّانية قويّة الارتباط بالأولى، لوقوعها جوابًا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها، كما يفصل الجواب عن السّؤال[47].

قال السّكّاكي : « وثانيهما أن يكون الكلام السّابق بفحواه كالمورد للسّؤال فتنزّل ذلك منزّلة الواقع ويطلب بهذا الثّاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الكلام السّابق»[48].

ومثله قولُه تَعَالَى: **«وما أبرّئُ نفسي إنَّ النَّفس لأمَّارةٌ بالسُّوءِ»**.فقد فصل بين الجملتين لكون الثّانية جوابًا عن سؤاله اقتضته الأولى، "هل النّفس أمّارة بالسّوء ". فكأن هناك اتّهامًا غامضًا للنّفس، وهنا يأتي السؤال عن هذا الاتّهام الذي يرجع لسببٍ خاصّ فتعامل معاملة الجواب يفصل عن السؤال.

ويعدّ البلاغيُّون هذا النّوع من الفصل استئنافًا، وكذلك الجملة الّتي بعده ، قال السكّاكي: «قَد قطع أراها لِيَقَعَ جَوَابًا لهذا السُّؤال على سبيل الاستئناف، وإيّاك أن ترى الفصل لأجل الوزن»[49].

ويسمّى شبه كمال الاتّصال "الاستئناف البياني"، ولكنّه ليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه، وإنّما متولّدٌ منه وناشيء عنه إذ تتحرّك النّفس نحو مواقف جديدة تثيره الجملة الأولى، فالمعاني يستدعى بعضها بعضًا حيث تتناسل الأغراض[50].

ويختلف استئناف البيانيّين عن الاستئناف النّحوي الذي تناوله النّحاة باعتباره يختصّ بما كان جوابا عن سؤال مقدّر ، قال ابن هشام في مغني اللّبيب: « ويخصّ البيانيّون الِاسْتِئْنَاف بِمَا كَانَ جَوَابا لسؤال مُقَدّر نَحْو قَوْله تَعَالَى {**هَل أَتَاك حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيم الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**} [الذاريات :24]، فَإِنّ جملَة القَوْل الثَّانِيَة جَوَاب لسؤال مُقَدّر تَقْدِيره فَمَاذَا قَالَ لَهُم وَلِهَذَا فصلت عَن الأولى فَلم تعطف عَلَيْهَا »[51].

أمّا الاستئناف لدى النّحاة فيعمّ ما كان جوابا عن سؤال مقدّر سواء تضمّنته الجملة أم لا. قال الزّعبلاوي: «ويأتي الاستئنافُ النَّحْوِي جواباً عن سؤالٍ مقدَّرٍ سواء اقتضته الجملة الأولى أو لم تقتضه»[52]

ومن أمثلة شبه كمال الاتّصال في ديوان الحماسة البصرية قول لَيْلَى الأخيليّة :

لَا تُسْرِعَنَّ إِلَى رَبِيعَةَ إِنَّهُمْ...جَمعُوا سَوَادَا لِلْعَدُوِّ عَظِيمًا.[53]

نهى الشّاعر صاحبه ألاّ يُبَاشِرَ الذَّهاب إلى ربيعة، فاستشعر استفهاما وتساؤلا لدى صاحبه، لماذا هذا النّهي؟ فعقّب بجملة تكون جوابا للسّؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن المخاطب، لذلك وجب الوصل . لكون الجملة الثّانية جوابًا لسؤالٍ تتضمّنه الجملة الأولى وينبعث منها، فارتبطت به ارتباطًا وثيقًا كما يرتبط الجواب بالسُؤَال.

وقد نوّه السّكّاكي بجهات اللّطف من هذا الفصل فإمّا لتنبيه السّامع على موقعه، أو لإغنائه أن يسأل أو لئلّا يسمع منه شيء أو لئلّا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد على تكثير المعنى بتقليل اللّفظ[54].

قال عبد الله بن الدّمينة :

تعَالَلْتِ كَيْ أشْجَى ومَا بِكِ عِلَّةٌ ... تُرِيدينَ قتلِي قَدْ ظَفِرْتِ بذلِكِ.[55]

فصل الشّاعر بين جملتين " تريد قتلي " وجملة " قد ظفرت بذلك" لما بينهما من شبه كمال الاتّصال ، إذ تضمّنت الجملة الأولى " تريد قتلي " سؤالا مفاده: هل تحقق ذلك ؟فجاءت الجملة الثّانية جوابا عن ذلك السّؤال المقدّر ، فوجب الفصل كما يفصل الجواب عن السؤال .

الموضع الرابع: «شبه كمال الانقطاع» :

وهو أن تُسبق جملة بجملتين يصحُّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثّانية فسادٌ في المعنى، فيُتركُ العطفُ بالمرَّةِ دَفْعاً لِتَوَهّم أنّه معطوف على الثّانية[56]، ويكون هذا القطع عند السّكاكي للاحتياط ، نحو:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلا أُرَاهَا فِي الضَّــلَالِ تَهِيـــــــمُ[57]

لم يعطف جملة "أراها" على "تظنّ" لئلّا يدور في خلد السّامع أنّها معطوفة على "أبغي" لقربها منها، فتكون من مظنونات "سَلْمَى"، ويصير المعنى حينئذ أنّ سلمى تظنّ: أنّني أبغي بها بدَلًا، وتظنّ أيضًا: أنّني أراها تهيم في الضّلال، وليس هذا مراده أن يقول: إنّ "سلمى" أخطأت في زعمها أنّني أبغي بها بدلًا، قال القزويني : « وأمّا كونها كالمنقطعة عنها فلكون عطفها عليها مُوهِمًا لعطفها على غيرها »[58].

ويسمّى الفصل قطعا لكون الثّانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى كما ذكر القزويني في كتابه الإيضاح [59].وقسّم السّكّاكي القطع إلى ضربين : القطع للاحتياط والقطع للوجوب [60]

ويراد بالقطع للاحتياط : هو ما لم يكن لمانع من العطف[61] ، بل للاحتياط فقط لدفع توهّم خلاف المقصود كالبيت السّابق .

وأمّا القطع للوجوب هو ما كان لمانع من العطف، ومثّل السّكّاكي بقوله تعالى:{وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}[البقرة: 14]،لم يعطف "الله يستهزئ بهم" للمانع عن العطف، بيان ذلك أنّه لو عطف لكان المعطوف عليه إمّا جملة "قالوا"، وإمّا جملة: "إنّا معكم إنما نحن مستهزءون" لكن لو عطف على "إنّما نحن مستهزءون" لشاركه في حكمه وهو كونه" من قولهم وليس هو بمراد[62] . أي لم يعطف {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} على: {إِنَّا مَعَكُمْ} ؛ لأنّه لو عطف عليه؛ لكان من مقول المنافقين؛ وليس كذلك.

المبحث الثّاني: مواضع الوصل

سبق أن عرّفنا الوصل بأنّه عطف جملة على أخرى بالواو، ويكون ذلك في ثلاثة مواضعَ :

إذا قصد اشتراكُهُمَا في الحُكْمِ الإِعْرَابِي: وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأنَّ الجملةَ لا يكونُ لها محلّ من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، فَكَمَا يشْتَرط فِي عطف الْمُفْردَات أَن يكون بَينَهَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ كَذَلِكَ يشْتَرط فِي الْجمل.[63]

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ الاشتراك في الحكم الإعرابي كما يكون في المفردات يلحق الجمل، جاء في دلائل الإعجاز: « وجملة حالها مع الّتي قبْلها، حالُ الاسم يكونُ غيرَ الذي قَبْله، إلاَّ أَنه يُشارِكُهُ في حكْم، ويدخلُ معه في معنًى مثْلَ أن يكون كلا الاسْمَيْن فاعلًا أو مفعولًا أو مضافًا إليه، فيكونُ حقُّها العطفَ»[64].

واعتبرها عبد المتعال الصعيدي أداة وصل فقط لا تفيد التّشريك في الحكم إذ يقول: « والحقيقة أنّ الواو تفيد هنا معنًى غير ما تفيده في النّحو، فهي تفيد في النّحو التّشريك في الحكم ، وأمّا هنا فلا حكم بين الجملتين اللّتين تصل بينهما الواو ، حتّى يمكن أن يقال إنّها تفيد تشريك الحكم بينهما فهي في هذا أداة وصل لا غير»[65] .

وفيه نظر باعتبار شرط المناسبة في الوصل وفي هذا الموضع لا تكون دون تشريك في الحكم .

وقد مثّل البلاغيُّون بقول الشّاعر:

وحبُّ العيشِ أَعْبَدَ كُلِّ حرٍّ وَعَلَّمَ سَاغِبًا أَكْلَ المُرَارِ[66]

وصل الشّاعر بين جملة "أعبد كلّ حرّ"، وجملة "علّم ساغبا أكل المرار"، لأنّ كليهما خبر للمبتدأ ، ويشتركان في الحكم الإعرابي ، و ثمّة جهة جامعة بينهما.

قال السّكّاكي: « وإذا عرفت شرط كون العطف والواو مقبولا ، هو أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعةٌ »[67]. أي لابدّ أن تكون بينهما مناسبة في المعنى تجمعهم.

قال عبد القاهر الجرجاني : « ومن ههنا عابوا أبا تمام في قوله:

لا والذي هُوَ عالِمٌ أنَّ النَّوَى *** صَبِرٌ وأنَّ أبا الحُسَيْنِ كريمُ

وذلك لأنّه لا مناسبةَ بينَ كَرَمِ أبي الحسين ومرارةِ النَّوى، ولا تعلُّقَ لأَحِدهما بالآخرِ، وليس يقتضي الحديثُ بهذا الحديثُ بذاك »[68].

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أنّ ثمّة مناسبة خفيّة بين الجملتين فلا يعاب على أبي تمّام ذلك ، حيث يقول سعد الزّهراني : «ولا شكّ أنّ هناك مناسبة سوّغت لأبي تمّام هذا العطف، وهي مناسبة عميقة ، لا يدركها من يقف على البيت بعيدا عن سياقه، فالقصيدة التي ورد فيها البيت السّابق مليئة بذكريات مؤلمة كالظّلم والفراق والبكاء ، وكلّ هذه الإحباطات بما تثيره في نفس الشّاعر من المرارة، فكان أبو الحسين هو ذلك الملاذ بما جبل عليه من كرم ومن نصرة للمظلوم ، وكان كرمه انتزاعا لحرارة النَّوى»[69].

جاء في ديوان الحماسة البصرية قال مروان بن أبي حفصة :

أَنْتَ الّذِي تَرْجُو رَبِيعَةُ سَيْبَهُ ** وَتُعِـدُّهُ لنِـوَائِبِ الْحَـدَثَانِ[70].

عطف الشّاعر جملة "تعـدّه لنـوائب الحـدثان" على جملة "ترجو ربيعة سيبه" لأنّهما يشتركان في الحكم الإعرابي ، فكلاهما صلَةٌ للموصولِ "الّذي" .

الوصل للتّوسط بين الكمالين كمال الانقطاع وكمال الاتّصال. وهو ضربان:.

إذا اتّفقت الجملتان خبرا أو إنشاءً لفظًا ومعنى[71] ،مثل قوله تعالى: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [سورة الانفطار: 14]، فوصل بين الجملتين لاتّفاقهما في الخبرية، وقوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا} [سورة الأعراف: 31]. فوصل بين الجملتين لاتّفاقهما إنشاءً .

قال طرفة بن العبد :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَاكُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لمْ تُـزَوِّدِ[72]

اتفقت الجملتان[سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ] وجملة [يَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ] في الخبرية فوجب الوصل بينهما بالواو.

فَلَا تَقْبَلَنْ ضَيْمًا مَخَافَةَ مِيتَةٍ*وَمُوتَنْ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ** [73]

وَصَلَ الشَّاعِرُ بين الجملتين لاتّفاقهما في الإنْشَائِيَةِ فجملة "لا تقبلن" جملة إنشائية على صيغة النّهي ، وجملة " مُوتَنْ" إنشائية بصيغة الأمر ، فلذلك وجب الفصل بينهما.

وقد ورد في ديوان الحماسة اتّفاق الجملتين إنشاء ومع ذلك لم يوصل بينهما وذلك في قول عاتكة بن نُفَيْلٍ:

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ ... لَا تَمَلِّي عَلَى الأَمِيرِ النَّجِيبِ[74]

نلاحظ أنّ الشّاعر قد فصل بين الجملتين المتّفقتين في الإنشاء (جُودِي بِعَبْرَةٍ) أمر ، (لَا تَمَلِّي عَلَى الأَمِيرِ) نهي ، ومع ذلك لم يصل بينهما ،وهذا ما يخالف جمهور البلاغيين الذين أوجبوا الوصل في هذا الموضع.

أن يتّفقا كذلك معنًى لا لفظًا، كقوله تعالى:{**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالوَالدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي القُرْبَى وَالْيَتَامى وَالمَسَاكِينِ وَقُولُوا للنَّاسِ حُسْنًا**}[البقرة: 83] عطف قوله " وقولوا " على "لا تعبدون " لأنّ لفظه خبر، وفي المعنى " لا تعبدوا".[75] قال السّكّاكي: « إذ لا يخفى أنّ قوله " لا تعبدون " مضمّن معنى لا تعبدوا »[76].

وهكذا قد أوّل البلاغيّون كلّ جملتين اتّفقتا خبرا وإنشاءً ولم يوصل بينها، من ذلك قول صاحب التّبيان في البيان: « تضمين الطّلب معنى الخبر قال تعالى : { **فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ ..... إِلَى قَوْلِهِ وَأَلْقِ عَصَاكَ** } عطف "ألق" بعد أن ضمّنه معنى الخبر بدليل مجيئه في صورة أخرى ، وأن ألق عصاك »[77].

ويفصّل في هذه المسألة السّكّاكي مستندا إلى مسائل النّحو: « فإنّ الكلام مشتملٌ على تضمين الطّلب معنى الخبر، وذلك أنّ قوله: "وألق عصاك" معطوف على قوله "أَنْ بُورِكَ". المعنَى فلمَّا جاءها قيل "بورك" وقيلَ "ألق عصاك" لما عرفت في علم النَّحو أنّ "أن" هذه لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول »[78].

والذي استقرّ عليه رأي الطّاهر بن عاشور في هذه المسألة أنَّ الاتّصال والانقطاع أمر معنوي والعبرة في ذلك المعنى دون نظر في اللّفظ، وفي ذلك يقول : « وَالَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ رَأْيِي الْآنَ أَنَّ الْاخْتِلَافَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ بِالْخَبَرِيَّةِ وَالْإِنْشَائِيَّةِ اخْتِلَافٌ لَفْظِيٌّ لَا يُؤَثِّرُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ اتِّصَالًا وَلَا انْقِطَاعًا؛ لِأَنَّ الِاتِّصَالَ وَالِانْقِطَاعَ أَمْرَانِ مَعْنَوِيَّانِ وَتَابِعَانِ لِلْأَغْرَاضِ فَالْعِبْرَةُ بِالْمُنَاسَبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ دُونَ الصِّيغَةِ اللَّفْظِيَّةِ».

ومثله في الحماسة البصرية قول وجيهة بنت أوس الضبّية:

وَقُلْتُ لَهَا : أَدِّي إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي ... وَلَا تُخْلِطِيهَا طَالَ سَعْدُكِ بِالتُّرْبِ [79]

لدينا جملة "لا تخلطها "إنشائية ، والجملة الثّانية: جملة خبرية اللّفظ إنشائية المعنى، ففصل بينهما الشّاعر بينهما لاتّفاقهما في الإنشاء معنًى ولفظا.

قال مكرز بن حفص الكناني :

لا يبعــدّنّ ربيعــة بن مكدّم * وسقى الغوادي قبره بذنوب** [80]

لدينا جملة " لا يبعـدّنّ ربيعـة بن مكدّم" إنشائية بصيغة النّهي ، وصلت بجملة أخرى إنشائية من حيث المعنى: "سقى الغوادي قبره بذنوب" ، فهي خبرية من حيث اللفظ تضمّنت الدّعاء وهو من أساليب الإنشاء أيْ فلتسقِ الغوادي قبره بذنوب، فالوصل إذن واجب لاتّفاقهما خبرا وإنشاء معنًى لا لفظًا.

أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء، ويعدل عن العطف لأنّه يوهم خلاف المقصود ، كقولك: "لا وشفاه الله"، جوابا لمن سألك: هل شفي محمَّدٌ من مرضه؟ قال القزويني: « إمّا لدفع إيهام خلاف المقصود ، كقول البلغاء : لا وأيّدك الله ». [81]

قوله : " لا وشفاه الله " مشتملة على جملتين " لا " خبر في معنى قوله "لم يشف بعد" ، يخبرنا بعدم شفائه، و"شفاه الله " جملة إنشائية دعاءً ، وقد ذكرنا من قبلُ أنّ الجملتين إذا اتفقتا خبراً و إنشاءً يفصل بينهما ، لكن في هذه الحالة يجب الوصل ، لئلّا يتوهّم السّامع أنّ النّفي متعلّق بالدّعاء فدعا الله أنْ لا يشفيه ، وهذا خلاف المقصود .

وذهب السّبكي في عروس الأفراح إلى أنّ هذه الواو زائدة لدفع الإيهام فقط، شأنها شأن الحرف الزّائد للتّأكيد ، إذ يقول : « فالظّاهر أنّها زائدة وليست عاطفة، بل زيدت لدفع توهّم النّفي لما بعدها فهي في الحقيقة دخلت زائدة لتأكيد عودها لما قبلها ، وذلك شأن الزّائد يؤتى به للتّأكيد والتّأكيد أكثر ما يأتي لدفع إيهام غير المراد »[82].

وقد ذهب بعض البلاغيّين إلى أنّه يمكن الاستغناء عن الواو بسكتة لطيفة تدفع الوهم ، قال عبد المتعال الصعيدي: « ومن الممكن دفع التّوهّم بالسّكوت بعد "لا" ، ولكنّه لا يغني في هذا غناءها، ولا يكون لها حسنها»[83]

و ورد في القرآن الكريم كثير من المواضع التي اختلفت فيها الحمل خبرا وإنشاءً وأوهم الفصل فيها خلاف المقصود ومع ذلك لم يفصل كقوله تعالى: «**وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** » [يونس: **65**]

ففي هذه الآية اختلفت الجملتان خبرا وإنشاءً، وأوهم الفصل أنّ قوله "إنّ العزّة لله جميعا" داخل في قول الكفّار الذي أحزن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومع ذلك استغني عن الوصل بسكتة لطيفة. قال السّخاوي: « إذ في وصله ما يوهم أنّهم قالوا: (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) ، وأنّ قولهم ذلك قد أحزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وليس كل أحد يعلم المراد، فيقع اللّبس على من لا علم له لا سيّما غير العرب، فيوقف على قوله عزّ وجل: (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) ويبتدئ (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) »[84].

و هكذا مال بعض القرّاء إلى الوقف أو السّكتة اللّطيفة في كلّ فصل يوهم خلاف المقصود، كقوله تعالى:**{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ}[يس:** 52]حيث اشترط حفص الوقف في مرقدنا ؛ لئلّا يتوهّم أنّ جملة ما وعدنا من مقول الكفار، ولم تستعمل لدفع الوهم الواو، قال صاحب اللّباب في علوم الكتاب: « وفعل حفصٌ في مواضع من القرآن مثل فعله هنا من سَكْتَةٍ لَطِيفَةٍ نَافِيَةٍ لوهم مخلٍّ. فمنها: أنَّه كان يقف على «مَرْقدِنا» ، ويبتدئ: {هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمن} . قال: لئلاً يتوهَّم أنَّ «هذا» صفة لـ«مَرْقدِنا» فالوقف يبيّن أنَّ كلام الكفّار انقضى، ثم ابْتُدِئَ بِكلامِ غيرهم»[85].

وممّا يؤكّد جواز الاستغناء عن الواو في هاته الحالة بسكتةٍ لطيفةٍ ما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ، فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى »[86]. فوردت عبارة "لا يرحمك الله" دون واو الوصل مّما يضعف مذهب البلاغيين في وجوب الوصل في هذا الموضع، قال سراج الدّين ابن الملقّن في شرح هذا الحديث :«قولها: (لا تفعل يرحمك الله) جاء في رواية: (لا، يرحمك الله) وينبغي أن يقف على (لا) دقيقة حتى يتبين للسّامع أنّ ما بعده كلام مستأنف؛ لأنّه إذا وصل ما بعد (لا) توهَّمَ السّامع أنّه دعاء عليه »[87].

الخاتمة :

وفي خاتمة المطاف نحيل إلى بعض النّتائج التي تفتّقت عن هذا البحث ، دونك أهمّها :

يعدّ الفصل والوصل من أدقّ أساليب البلاغة العربية ومن أشدّها غموضا فقد حوى أسرارا خفيّة في العطف، لا يتقنها إلّا من أجاد البلاغة العربية وأحاط بها من جميع أقطارها .

للنّحو ارتباط وثيق بالبلاغة في تناول هذا الموضوع إذ كثير من مواضع الفصل والوصل مرجعها إلى النّحو ككمال الاتّصال الذي يشمل البيان والتّأكيد والبدل ، فهذه

اعتبارات نحوية بحتة ومثله أيضا شبه كمال الاتّصال الذي يكون جوابا عن سؤال اقتضته الجملة الأولى ، وقد سمّاه بعض البيانيين بالاستئناف على شاكلة الاستئناف النّحوي الذي ذكره النّحاة كابن هشام الأنصاري في مغني اللّبيب.

جواز الوصل بين الجملتين المختلفتين خبرا وإنشاءً؛ لورود ذلك في القرآن الكريم بكثرة وفي السنّة النّبوية، ولا اعتبار لما ذهب إليه البيانيون لتكلّف في التّأويل ، ثمّ إنّ بعض النّحويّين أنفسهم أجاز الوصل في هذا الموضع كسيبويه حيث رأى الوصل بين الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر، مثل أن تقول: " هذا زيد ومن عمروٌ ".

هوامش البحث

[1] أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الصناعتين ،تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،(لبنان : المكتبة العنصرية ، الطبعة الأولى ، 1998ه) ص 483.

2 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، (مصر : مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ، 1992م) ، ج1 ، ص222.

3 محمد بن عبد الرحمن القزويني الشّافعي ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، (لبنان: دار الجيل ، ط3 ، د ت) ج3 ، ص 97.

4 ينظر: لسان العرب، مادة [فصل]

5 محمود بن عمرو الزّمخشري ، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل ،(لبنان: دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة) ج4 ، ص 80.

6 ينظر: مختار الصحاح، مادة [وصل]

7 شهاب الدّين النّويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى ، 2001) ج7 ، ص70.

8 عبد الرحمان الأخضري ، الجوهر المكنون في صدف الثّلاثة الفنون، تح: محمّد بن عبد العزبز نصيف، (السّعودية/ المدينة المنوّرة: مركز البصائر للبحث العلمي ، الطبعة الأولى ، د ت) ص 32.

9 السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة (لبنان: المكتبة العصرية ، الطبعة لأولى، د ت) ص179.

10 أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، (لبنان : دار الكتب العلمية، الطبعة 2، 1987 م) ص 249 .

[11] السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ، ص183.

[12] أبو يعقوب السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص 251

[13] صلاح الدّين أبو سعيد خليل بن عبد الله الدّمشقي العلائي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، تح: حسن موسى الشاعر، عمان :دار البشير ، الطبعة 1 ، ـ 1990م) ص128.

[14] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، محمود محمد شاكر أبو فهر،(مصر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ، 1992م) ج1 ، ص 243.

[15] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (الجزائر، وهران: دار الأبحاث الطبعة الأولى ، 2007) ، ج3، ص 73.

[16] شرف الدّين الطّيبي ، التّبيان في البيان ، تح: عبد السّتّار حسين مبروك عزوط، رسالة دكتوراه بإشراف كامل إمام الخولي ، كليّة اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، مصر ، 1977م ، ص 65.

[17] بهاء الدّين السّبكي، عروس الأفراح في شرح التّلخيص ، تح: عبد الحميد الهنداوي ، (لبنان/ بيروت: المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، 2003) ج1، ص 501 .

[18] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، تح: عادل سليمان جمال، (مصر القاهرة: مكتبة الخناجي، الطبعة الأولى ، 1999م) ، ج1، ص 29.

[19] محمد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، (مصر: المكتبة الأزهرية للتّراث ،) ج2، ص 118.

[20] عبده عبد العزيز قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية (القاهرة مصر: دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، 1992م) ص 254.

[21] فضيل حسن عبّاس، البلاغة العربية أفنانها وفنونها ،(الأردن: دار الفرقان للنّشر والتّوزيع، الطبعة الثالثة ، 1997) ص 408 .

[22] أبو يعقوب السكّاكي ، مفتاح العلوم، ص 253.

[23] فضيل حسن عبّاس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها ، ص409.

[24] أبو يعقوب السكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص 256.

[25] عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية ، ص 253

[26] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ،ج2، ص 499 .

[27] جلال الدين محمد بن عبد الرّحمان الخطيب القزويني ، التّلخيص في علوم البلاغة ، (لبنان: دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى، دت) ص184.

[28] عبد الرحمان حسن حبنّكة ، البلاغة العربية ، 585.

[29] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج3، ص 113.

[30] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (القاهرة : المكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر ، 2005م) ج2 ، ص 292.

[31] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ، ج 1، ص50.

[32] عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، ج2 ، ص66.

[33] البلاغة العالية ، عبد المتعال الصعيدي ، ص 106.

[34] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، البلاغة العربية ،(دار القلم، دمشق،سوريا/ الدار الشامية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1996 م) ج1، ص 589.

[35] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج3، ص 73.

[36] بدر الدّين بن مالك " ابن النّاظر" ، المصباح في المعاني والبيان ، تح : حسني عبد الجليل يوسف، (القاهرة ، مصر: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، د ت) ص64.

[37] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ، ج1، ص58.
الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ،ج3، ص 73.[38]
أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ،ج2، ص 513.[39]
[40] التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، (تونس: الدّار التّونسية للنّشر ، الطبعة الأولى، 1984 م) ص29، ص210.
عبد المتعال الصعيدي ، البلاغة العالية ، ص 106.[41]
بهاء الدّين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ص 496.[42]
[43] شهاب الدّين النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج7 ص 71.
أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة البيان المعاني البديع ، ص169. [44]
السيّد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ،ص 184.[45]
أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ،ج1، ص 77.[46]
الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج3 ، ص 119 .[47]
أبو يعقوب السّكّاكي ، مفتاح العلوم ،ص [48]252
أبو يعقوب السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص 252 .[49]
[50] محمد صالح الشنطي، فن التّحرير العربي، (السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع - ، الطبعة الخامسة ، 2001 م) ص 99 .
[51] جمال الدّين ابن هشام الأنصاري ، مغني اللّبيب عن كتب الاعاريب ، تح: مازن مبارك / محمّد عليّ حمد الله ،(بيروت ـلبنان : دار الفكر، الطبعة الأولى، 2008) ص 364.
[52] صلاح الدين الزعبلاوي، دراسات في النحو، (بيروت ـــ لبنان : ، الطبعة الأولى ، د ت) ص 547.
[53] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، ص 41.
[54] أبو يعقوب السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص 261.
[55] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، ج3 ، ص 1019.
[56] السيّد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص 185 .
أبو يعقوب السّكّاكي ، مفتاح العلوم ، ص 252. [57]
الخطيب القزويني، ، التلخيص في وجوه البلاغة ، ص185.[58]
الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 157.[59]
أبو يعقوب السّكّاكي ، مفتاح العلوم ،ص 261 . [60]
الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني. ص157.[61]
[62] أبو يعقوب السكّاكي، مفتاح العلوم ،ص 251.
[63] ينظر :الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ص129..
[64] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص243.
[65] البلاغة العالية ، ص 106.
[66] علي الجارم/ مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، (بيروت - لبنان : دار المعارف، ، ط1، دت) ص 231 .
[67] أبو يعقوب السكّاكي، مفتاح العلوم ، 251.
[68] عبد القاهرالجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 252.
[69] صالح سعيد عبد الزّهراني ،الغموض والبلاغة العربية ، رسالة ماجستير ، بإشراف الدّكتور منصور محمّد عليّ عبد الرّحمان ، كليّة اللغة العربية ، جامعة أمّ القرى ، السعوديّة ، السنة الدراسية : 1988/ 1989 .ص 184.
[70] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ، ج2، ص499.
الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص [71]161
أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ، ج2، ص886. [72]

[73] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ، ج1، ص243.
[74] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية ، ج2، ص608 .
[75] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص161
السّكاكي ، تلخيص المفتاح ،ص [76]258
التّبيان في البيان ، ص68.[77]
السّكاكي ،تلخيص المفتاح ، ص 259.[78]
أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، ج2، ص 607.[79]
[80] أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، ج2، ص 680.
81 الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة ، ص161
82 بهاء الدين السبكي ، عروس الأفراح ، ص 516
83 عبد المتعال الصعيدي ، البلاغة العالية ، ص 107.
84 علم الدين السّخاوي ، جمال القرّاء وكمال الإقراء ، تح: د. مروان العطيّة / د. محسن خرابة،(دمشق – بيروت: دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى، 1997 م) ص671.
85 أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، اللّباب في علوم الكتاب ، تح: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت / لبنان : دار الكتب العلمية - ط 1 ، 1998م).
صحيح مسلم :172086
87 ابن الملّقن سراج الدين بن أحمد الشّافعي المصري، التّوضيح لشرح الجامع الصّحيح ، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، (دار النوادر، دمشق – سوريا ، ط1 ، 2008) ج19 ، ص525.

إِشْكَالِيَّةُ الاسْتِدْرَاكِ عَلَى الخَلِيلِ " بَحْر المُتَدَارَك "

The Problematic of rattraping EL KHALILE'S " MOUTADAREK" meter

بلال ولجة*

تاريخ تقديم البحث **2017/11/14** تاريخ القبول **2018/2/8**

ملخص

تَرَبَّعَ بَحْرُ المُتَدَارَك عَلَى عَرْشِ المُعْضَلَات العَرُوضِيَّة لِكَثْرَةِ الخِلَافِ الوَارِد حَوْلَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مِنْ حَيْثُ نِسْبَتُهُ وَاسْمُهُ وَوَزْنُهُ؛ وَقَدْ أَشَرْنَا فِي هَذَا المَقَالِ إِلَى بَعْضِ الخِلَافِ الحَاصِلِ فِي اسْمِهِ وَوَزْنِه، ثُمَّ سَلَّطْنَا الضَّوْءَ حَوْلَ قَضِيَّةِ النِّسْبَةِ مُنَاقِشِينَ مَسْأَلَةَ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ بَحْرَ المُتَدَارَك عَلَى شَيْخِهِ وَاضِعِ عِلْمِ العَرُوضِ الخَلِيلِ بْنِ احْمَدَ الفَرَاهِيدِي مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ آرَاءِ العَرُوضِيِّينَ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ، وَتَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُمْ انْقَسَمُوا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ؛ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ قَضِيَّةَ الاسْتِدْرَاكِ البَتَّةَ مُقِرًّا أَنَّ بُحُورَ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ عِنْدَ الخَلِيلِ خَمْسَةَ عَشَرَ بَحْرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الأَخْفَشَ الأَوْسَطَ زَادَ بَحْرًا شِعْرِيًّا اسْتَدْرَكَهُ عَلَى الخَلِيلِ سَمَّاهُ المُتَدَارَك، وَمِنْهُمْ مَنْ فَنَّدَ هَذَا الزَّعْمَ المَشْهُورَ مُثْبِتًا أَنَّ الخَلِيلَ قَدْ عَلِمَ بِهَذَا البَحْرِ مُورِدًا حُجَجًا عَضَدَ بِهَا رَأْيَهُ؛ ثُمَّ خَتَمْنَا هَذَا المَقَالَ بِنَتَائِجَ عَدَدْنَاهَا أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ، مِنْهَا أَنَّ الخَلِيلَ قَدْ عَلِمَ بِبَحْرِ المُتَدَارَك لَكِنَّهُ أَهْمَلَهُ لِعَدَمِ جَرَيَانِهِ عَلَى الأُصُولِ العَرُوضِيَّةِ وَنُدْرَتِهِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِي.

الكلمات الدالة: بحر، المتدارك، الأخفش، الخليل

Abstract

EL MOUTADAREK meter is one of the main in the metric problems, in this article I try to high light the issue of the proposition, discussing the question of the need to overcome the meter according to its stanza and his maker (name of one who named it) shading also what EL AKHFASH said and did about EL MOUTADAREK meter according to what did he has from his master EL FARAHIDI through the following of what other masters of EL ARODH said (pioneers or followers) it seemed that they were divided in to three classes: Some said that what we have in EL ARODH is just 15 meter (what EL KHALIL named), Some said that EL AKHFASH ALAWSAT added one meter called EL MOUTADAREK, Some said that EL KHALIL knew this meter and made a lot of arguments for this opinion .At the end of this article we got some information to in force the idea is that AL KHALIL knew about AL MOUTADAREK meter but he ignored it because it's so rare in the Arabic poetry.

Keyboard: metere lmoutadarek, elakhfash, elkhalil.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2، الجزائر .

مقدمة:

مِنَ القَضَايا التي أثارتْ جدلاً و أَسالتْ حِبْرًا كثيرا في الدراسةِ العروضية والنقديةِ قَضِيَّةُ بَحْرِ المُتَدَارَكِ مِنْ حَيْثُ نِسْبَتُهُ واسْمُهُ والتَّغْيِرَاتُ المقْبُولَةُ الطارِئَةُ على وَزْنِهِ، وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِيهَا وَحُجَّةٌ هُوَ مُتَّبِعُهَا.

وَلَعَلَّنَا في هَذا المَقَالِ نُسْهِمُ في توْضِيْحِ قَضِيَّةِ نِسْبَةِ هَذا البَحْرِ مِنْ خِلاَلِ نَقْلِ الخِلافِ الحاصلِ بينَ العروضيّينَ والنُّقَّادِ وبيانِ أَدِلَّةِ كُلِّ واحِدٍ وَمُنَاقَشَتِهَا، وَقَبْلَ أَنْ نَشْرَعَ في هَذا نَوَدُّ أَنْ نَذْكُرَ بإيجازٍ الخِلافَ الحاصِلَ في اسْمِه وَوَزْنِه.

أَوَّلًا: الخِلَافُ الحَاصِلُ فِي اسْمِ بَحْرِ المُتَدَارَكِ:

1- ذِكْرُ أَسْمَائِهِ:

مِنَ الإِشْكَالَاتِ التي تُورَدُ عَلَى هَذَا البَحْرِ وَتُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ البُحُورِ اختلافُ العروضيينَ في اسمه، فتَعَدَّدَت بذلك أَسْمَاؤه، قال الفَيُومِيُّ شَارِحُ عَرُوضِ ابْنِ الحَاجِبِ: "اخْتُلِفَ فِي تَسْمِيَتِهِ على اثْنَيْ عَشَرَ اسْمًا، فَقِيلَ المُتَدَارَكُ والمُخْتَرِعُ وَالخَبَبُ وَرَكْضُ الخَيْلُ وَالشَّقِيقُ وَالغَرِيبُ وَالمُحْدَثُ وَالمُتَظَافِرُ والمُتَدَانِي والمُتَّسِقُ وَصَوْتُ النَاقُوسِ وقَطْرُ المِيزَابِ"[1].وَأَكْثَرُهَا اسْتِعْمَالاً ثَلَاثَة: المُتَدَارَكُ وَالخَبَبُ وَالمُحْدَثُ، ولعلّ سبب كَثْرَة أَسْمَائِهِ: "أن الخَليلَ لَمْ يُسَمِهِ كَما سَمَّى سَائِرَ الأَبْحُرِ، لِأَنَّهُ مُهْمَلٌ عِنْدَهُ فَسَمَّاهُ كُلُّ قَوْمٍ بِما وَقَعَ لَهُمْ "[2]، ولِكُلِ اسْمٍ وَجْهٌ جَعَلَهُ صَاحِبُهُ تُكْأَةً "يَعْضُدُ بِه رَأْيَهُ.

2- تَعْلِيلُ أَسْمَائِهِ:

مِنْ قَوْلِ إِنَّ الأَخْفَشَ قَد اسْتَدْرَكَهُ على الخَلِيلِ سُمِيَّ المُتَدَارَكَ، " وَيُسَمَى أَيْضًا المُحْدَثَ وَالمُخْتَرَعَ لإِحْدَاثِ وَضْعِهِ واخْتِرَاعِهِ، وبِالمُتَّسِقِ أَيْ المُنْتَظَمِ لِأَنَّ كُلًّا مِن أَجْزَائِهِ خَمْسَةُ أَحْرُفٍ وَبِالشَّقِيقِ لأَنَّهُ أَخُو المُتَقَارِبِ؛ إِذْ أَصْلُ كُلٍ مِنْهُمَا وَتِدٌ مَجْمُوعٌ وسَبَبٌ خَفِيفٌ، وبِالخَبَب... إذا خُبِنَ فَقَطْ تَشْبِيهًا لَهُ بِالخَبَبِ الذّي هُوَ نَوْعٌ مِنَ السَيْرِ في السُرْعَةِ، ويُسَمَّى أَيْضًا بِرَكْضِ الخَيْلِ لِأَنَهُ يُحَاكِي صَوْتَ وَقْعِ حَافِرِ الفَرَسِ على الأَرْضِ، وَمَضْرِبِ النَاقُوسِ لِأَنَّ الصَّوْتَ الحَاصِلَ بِهِ يُشْبِهُهُ إِذا خُبِنَ"[3].

ونَسَبَ نُورُ الدّينِ السَّالِمي العمَّانِي تَسْمِيَةَ الخَبَبِ إِلى الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ وَعَلَّلَ ذُيُوعَهَا باسْتِعْمَاله –غَالِبًا- مَخْبُونًا فَقَالَ: " وَلَعَلَّ وَجْهَ الخُصُوصِيَّةِ في تَسْمِيَتِهِ الخَبَبَ لِحَالَةِ الخَبْنِ أَنَّهُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ غَالِبًا إِلاَّ مَخْبُونًا فَسَمَاهُ الأَخْفَشُ بِذَلِكَ نَظَرًا إِلى حَالَتِهِ الغَالِبَة"[4].

" وَيَجُوزُ كَسْرُ الرَاءِ مِنَ المُتَدَراك، وَوَجْهُهُ أَنَّ هذا البَحْرَ تَدَراك المُتَقَارِبَ حَيْثُ خَرَجَ مِنْ تَقْدِيمِ سَبَبِهِ عَلى وَتِدِهِ"[5].

ثانيًا: الخِلَافُ الحَاصِلُ فِي وَزْنِ المُتَدَارَك:

1- بِنْيَةُ وَزْنِه:

المَشْهُورُ في كُتُبِ العَرُوضِ وَالنَّقْدِ المُتَقَدّمَةِ والمُتَأَخِرَةِ أنَّ بَحْرَ المُتَدَرَاك مِنَ البُحُورِ الصَافِيَّةِ تَتَكَرَرُ فِيه تَفْعِيلَةُ (فَاعِلُنْ) المُكَوَّنَةُ مِنْ سَبَبٍ خَفيفٍ فَوَتِدٍ مَجْمُوع ثَمَانِي[6] مَرَاتٍ أَي:

فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

وتَعَدَدَتْ مَفَاتِيحُهُ تَبَعًا لِتَعَدُدِ أَسْمَائِهِ فَقيل:

حَرَكَاتُ المُحدثِ تَنْتَقِــلُ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

وَقِيلَ:

أَخْفَشٌ مُدْرِكٌ مَطْمَعًا نَائلُ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُ

وَقِيلَ:

خَبَبًا ذَهَبَتْ تَمْشِي الإِبِلُ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

يُسْتَعْمَلُ المتدراكُ تَأَما أَيْ مُثَمَّنًا فِي الشِعْرِ القَدِيمِ، وأَجَازَ المُحْدَثُونَ اسْتِعْمَالَهُ مَجْزُوءًا أَيْ مُسَدَسًا[7].

2- جَوَازَاتُهُ :

حَدَّدَ الجَوْهَرِي التَّغَيُرَاتِ التي قَدْ تَطْرَأُ عَلَى تَفْعِيلَةِ (فَاعِلُنْ) المُكَوَّنَةِ لِبَحْرِ المتدارك فَقَالَ: "زِحَافُهُ أَرْبَعَةٌ: خُبْنٌ، قَطْعٌ، إِذَالَةٌ، تَرْفِيلٌ"[8] ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ هَذا الإِجْمَالِ التَفْصِيلَ والتَمْثِيلَ، لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ هَذِهِ التَغَيُرَاتِ كُلَّهَا عِلَلٌ مَا عَدَا الخَبْنَ فَهُوَ زِحَافٌ، وَلَعَلَّ سَبَبَ تَسْمِيَةِ الجَوْهَرِي إِيَاهَا زِحَافًا -وهي في اصْطِلَاحِ العَرُوضِيّينَ عِلَلٌ- عَدَمُ اقْتِصَارِهَا عَلَى العَرُوضِ وَالضَرْبِ، بَلْ أَجَازَ دُخُولَ هَذِهِ العِلَلِ عَلَى الحَشْوِ أَيضا، قَالَ في عِلَّةِ القَطْعِ مَثَلًا: " ويَجُوزُ لِكُلِ جُزْءٍ مِنْهُ

القَطْعُ، فَيَبْقَى (فَاعِلْ) فَيُنْقَلُ إلى (فَعْلُنْ)"[9] فَهَذِهِ العِلَلُ تَجْرِي مَجْرَى الزُّحَافِ ولَهَا نَظَائِرُ وَيُمْكِنُ بَيَانُ هَذه التَّغَيُّرَاتِ على النَحو الأَتِي:

والجَدِيرُ بِالذّكْرِ هُنَا أَنَّ بَعْضَ العَرُوضِيّينَ سَمَّى مَا جَاءَ (فَاعِلُنْ) بالمتدراك وحَكَمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ شَاذٌ مَهْجُورٌ، وَسَمَّى ما جاء على (فَعِلُنْ) بِالخَبَبِ، وَعَدَّهُ هُوَ الشَّائِعَ اليَوْمَ، وَسَمَّى ما جَاءَ مَخْبُونًا مُضْمَرًا (بِدَقّ النَّاقُوسِ) و (قَطْرِ المِيزَابِ)[10]، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ زَعَمَ أَنَّ أغلبَ شَوَاهِدِ المتدراكِ مَصْنُوعَةٌ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: " وأَوَلُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدْعِيَ الانْتِبَاهَ أَنَّ أَمْثِلَةَ هذا البَحْرِ وشَوَاهِدَهُ تَكَادُ تَكُونُ مُتَحَدِدَةً فِي كُلِّ كُتُبِ العَرُوضِ، وهي عبارةٌ عن أَبْيَاتٍ مُنْعَزِلَةٍ غَيْرِ مَنْسُوبَةٍ لِأَصْحَابِهَا تَبْدُو عَلَيْهَا الصَنْعَةُ والتَّكَلُفُ، فَإِذَا نَحْنُ بَحَثْنَا فِي كُتُبِ الأَدَبِ وَدَوَاوِينِ الشُعَرَاءِ عَنْ أَمْثِلَة أُخْرَى لا نَكَادُ نَظْفَرُ بِشَيْءٍ"[11]

وَإِذَا تَصَفَحْنَا كِتَابَ مِنْهَاجُ **البُلَغَاءِ وسِرَاجُ الأُدَبَاء** فَإِنَّنَا نَجِدُ صَاحِبَهُ قَدْ جَعَلَ لَلْخَبَبِ وَزْنًا مُخْتَلِفًا، شَطْرُهُ: مُتَفَاعِلَتُنْ مُتَفَاعِلَتُنْ[12]، وَهذه التَفعِيلَةُ تَتَكَوَنُ مِنْ سَبَبَ ثَقِيلٍ وَوَتِدَيْنِ مَفْرُوقٌ فَمَجْمُوعٌ، وَسَيَأْتِي مَعَنَا مُنَاَقَشُةُ رَأْيِ "حازِمٍ".

وَيَبْدُو أَنَّ مِنَ العَرُوضِيِّنَ مَنْ تَوَسَّعَ فِي جَوَازَاتِ هذا البَحْرِ فَأَجَازَ (القَبْضَ) فِي تَفْعِيلَةِ (فَاعِلُنْ) فَتَصِيرُ (فَاعِلُ)، ومَعْلُومٌ أَنَّ (القَبْضَ) زِحَافٌ لَا يَلْحَقُ سِوَى ثَوَانِي الأَسْبَابِ، فَبَقِيَ بِذَلِكَ الجِدَالُ مُحْتَدمًا بَيْنَ العَرُوضِيِّين حَوْلَ جَوَازَاتِ هَذَا البَحْرِ، وَلَعَلَّ الذِّي أَلْجَأَ العَرُوضِيِّينَ لِهَذَا الخِلَافِ هُوَ الاسْتِعْمَالُ وَالوَاقِعُ الشِعْرِيُّ الذِي يُخَالِفُ أَحْيَانًا المِعْيَارَ النَّظَرِيَّ.

ثَّالثا: إِشْكَالِيَّةُ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ عَلَى الخَلِيلِ بَحْرَ المُتَدَارَكِ:

مِنْ أَكْبَرِ المُشْكِلَاتِ تَعْقِيدًا فِي الدِّرَاسَةِ العَرُوضِيَّةِ مُشْكِلَةُ نِسْبَةِ بَحْرِ المُتَدَارَكِ التِي شَغَلَتِ العَرُوضِيِّينَ قَدِيمًا وحَدِيثًا، فَرُغْمَ إِجْمَاعِهِمْ أَنَّ وَاضِعَ عِلْمِ العَرُوضِ هُوَ الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَأَسَفُونَ عَلَى ضَيَاعِ كِتَابِهِ فِي عِلْمِ العَرُوضِ الذِّي لَمْ يَصِلْنَا كَمَا كَتَبَهُ وَأَمْلَاهُ، وَلَكِن الذِّي وَصَلَنَا هُوَ كُتُبُ العَرُوضِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ بَعْدَ أَنِ اسْتَقَرَّ لَهُمْ قَرَارُهُ فَصَاغُوهُ على غَيْرِ

صِيَاغَةِ الخَلِيلِ "[13] وَلَعَلَّ هذا هو السَبَبُ الرَّئِيسُ الذِّي وَسَّعَ دَائِرَةَ الخِلَافِ وَأَوْقَعَ العَرُوضِيِّينَ فِي الجَدَلِ.

والسُؤَالُ الذِّي يَعِنُّ لَنَا أَنْ نَطْرَحَهُ هاهنا هُوَ: هَلِ اسْتَدْرَكَ الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ عَلَى الخَلِيلِ بَحْرَ المُتَدَارَكِ؟.

انْقَسَمَ العَرُوضِيُّونَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ ثَلَاثَةَ مَذَاهِبَ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ المَسْأَلَةَ البَتَّةَ فَكَانَ مَوْقِفُهُ مُحَايِدًا، ومِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَذْكُرْ بَحْرَ المُتَدَارَكِ بَلْ تَدَارَكَهُ عَلَيْهِ تِلْمِيذُهُ الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ سَعِيدُ بْنُ مُسْعَدَةَ (ت215 هـ)، ومِنْهُمْ مَنْ فَنَّدَ هَذَا الزَعْمَ وَعَدَّهُ خَطَأً، وَلِكُلٍ حُجَجٌ جَعَلَهَا تُكَأَةً يَعْضُدُ بِهَا مَذْهَبَهُ، وَسنَعْرِضُ هَذِهِ الآرَاءَ وَنُنَاقِشُهَا عَسَى أَنْ تَظْهَرَ لَنَا الحَقِيقَةُ.

1- العَرُوضِيُّونَ المُحَايِدُونَ فِي قَضِيَّةِ نِسْبَةِ المُتَدَارَك:

مِنَ العَرُوضِيِّينَ الذِّينَ لَمْ يَتَطَرَّقُوا إِلَى قَضِيَّةِ نِسْبَةِ بَحْرِ المُتَدَارَكِ الجَوْهَرِيُّ صَاحِبُ (عَرُوضِ الوَرَقَةِ) حَيْثُ يَقُولُ: "وَكَانَ الخَلِيلُ –رَحِمَهُ اللهُ- يَعُدُّ العَرُوضَ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا، وَلَا يُعَدُّ المُتَدَارَكُ مِنْهَا"[14] فَالجَوْهَرِيُّ أَقَرَّ بِأَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَذْكُرِ المُتَدَارَكَ وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ ضَرَبَ صَفْحًا عَنْ ذِكْرِ وَاضِعِهِ لِذَلِكَ نَجِدُهُ يُغْفِلُ نِسْبَةَ البَحْرِ حَتَّى فِي بَابِ المُتَدَارَكِ الذِّي أَطْنَبَ فِيهِ الحَدِيثَ وَقَالَ عَنْهُ: "وَذَا مُحْدَثٌ، وَالخَلِيلُ لَمْ يَعُدَّ المُتَدَارِكَ فِي البُحُورِ"[15]، وَذَهَبَ الزَّمَخْشَرِيُّ مَذْهَبَ الجَوْهَرِيِّ فَلَمْ يَتَطَرَّق إِلَى مَسْأَلَةِ النِّسْبَةِ، بَلْ جَعَلَ "الرَكْضَ" عُنْوَانًا لِهَذَا البَحْرِ وَقَالَ: "يُسَمَى المُحْدثَ أَيْضًا"[16] وَلَسْتُ أَدْرِي لِمَ لَمْ يُشِرْ هَذَانِ العَرُوضِيَّانِ إِلَى الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ أَوْ إِلى غَيْرِهِ؟، وَإِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِي كِتَابِ (العُمْدَةِ) لابْنِ رَشِيقَ وَجَدْنَاهُ أَيْضًا غَيْرَ مُصَرِحٍ بِنِسْبَةِ هَذَا البَحْرِ مُعْتَرِفًا أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَذْكُرْهُ[17].

والغَرِيبُ أَنَّ "ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ" رَفَضَ بَحْرَ المُتَدَارَكِ زَاعِمًا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي أَشْعَارِ العَرَبِ وَكُلُ مَا لَمْ تَقُلْهُ العَرَبُ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، يَقُولُ:[18]

وَبَعْدَهَا خَامِسَةُ الدَّوَائِرِ	لَلْمُتَقَارِبِ الذِّي فِي الآخِـــــرِ
يَنْفَكُّ مِنْهَا شَطْرُهُ وَشَطْرٌ	لَمْ يَأْتِ فِي الأَشْعَارِ مِنْهُ الذِّكْرُ
فَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَقُلْ عَلَيْـهِ	فَإِنَّنَا لَمْ نَلْتَفِـــــتْ إِلَـــــيْهِ

وَقَدْ عَلَّقَ الأُسْتَاذُ الدُكْتُورُ نَاصِرُ لُوحِيشِي عَلَى حُكْمِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ بِأَنَّهُ "مُطْلَقٌ يَتَسِمُ بِالعُمُومِ فَهَلْ يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ فِي أَشْعَارِ العَرَبِ بَيْتٌ مِنَ المُتَدَارِكِ أَوِ المُحْدَثِ؟ أَمْ هَلْ يُرِيدُ قَصَائِدَ طِوَالًا وَشُطُورًا عَلَى المُتَدَارِكِ؟ إِنَّ نَظْرَةً سَرِيعَةً فِي كُتُبِ العَرُوضِ وَفِي كُتُبِ التَرَاجِمِ

وَ الأَعْلَامِ تُثبِتُ أَنَ هُنَاكَ أَبْيَاتًا عَلَى المُتَدَارَكِ -وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا عَلَى الصِنَاعَةِ العَرُوضِيَّةِ وَلَا رَيْبَ-"[19].

وَمِنَ الأَبْيَاتِ التِّي اسْتَشْهَدَ بِهَا بَعْضُ العَرُوضِيِّينَ كَالجَوْهَرِيِّ[20] وَابْنِ رَشِيقٍ[21] بَيْتٌ لِلشَاعِرِ الجَاهِلِي عَمْرُو الجني[22] عَلَى المُتَدَارَكِ يَقُولُ فِيهِ:

أَشَجَاكَ تَشَتُتُ شعْبِ الحي ي فَأَنْتَ لَهُ أَرِقٌ وَصَبٌ

فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَاعِلْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

وَمِمَنْ شَغَلَ الوَرَى بِأَرَائِهِ العَرُوضِيَّةِ الفَرِيدَةِ حَازِمٌ القَرْطَاجَنِيُّ الذِّي عَدَّ الأَوْزَانَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: خُمَاسِيَّةٍ، وَسُبَاعِيَّةٍ، وَتُسَاعِيَّةٍ، وَعِنْدَهُ الخَبَبُ مِنَ الصِنْفِ الأَخِيرِ، وَشَطْرُهُ: مُتَفَاعِلَتُنْ مُتَفَاعِلَتُنْ وَهَذِهِ التَفْعِيلَةُ مُكَوَنَةٌ مِنْ سَبَبٍ ثَقِيلٍ وَوَتَدَيْنِ مَفْرُوقٌ فَمَجْمُوعٌ[23].

وَقَدْ نَاقَشَ الدُكْتُورُ نَاصِرْ لُوحِيشِي رَأْيَ حَازِمٍ فِي بَحْرِ الخَبَبِ مُسْتَدْرِكًا عَلَيْهِ خَطأً عَدَّهُ سَهْوًا وَهَفْوَةً، وَهُوَ أَنَّ تَفْعِيلَةَ "مُتَفَاعِلَتُنْ" ثُمَانِيَّةٌ وَلَيْسَتْ تُسَاعِيَّةٌ وَبَيَّنَ أَنَّ القِسْمَةَ التِّي اهْتَدَى بِهَا حَازِمٌ إِلَى وَضْعِ عَرُوضِ الخَبَبِ قَدْ أَخَلَّتْ بِنِظَامِ العَرُوضِ المُتَّفَقِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُ، كَنِظَامِ الأَوْتَادِ وَجَرَيَانِ الزِحَافَاتِ وَالعِلَلِ عَلَى التَفْعِيلَاتِ، وَالحَاصِلُ أَنَّ الوَجْهَ الذِّي أَحْدَثَهُ حَازِمٌ فِي الخَبَبِ أَوْقَعَ فِي لَبْسٍ شَدِيدٍ[24]، ثُمَّ خَتَمَ الأُسْتَاذُ نَاصِرُ لُوحِيشِي مُنَاقَشَتَهُ لِرَأْيِ حَازِمٍ بِقَوْلِهِ: "وَمِمَّا يَجْدُرُ الإِيمَاءُ إِلَيْهِ أَنَّ حَازِمًا لَمْ يُشِرْ إِلَى الأَخْفَشِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ مَمَّنْ يُظَنُّ أَنَّهُ مُتَدَارِكُ المُتَدَارَكِ"[25]، وَنَجِدُ الإِسْنَوِيَّ أَيْضًا لَمْ يُشِرْ إِلَى مُسْتَدْرِكِ المُتَدَارَكِ، حَيْثُ قَالَ: " هَذَا هُوَ البَحْرُ الذِّي لَمْ يَذْكُرْهُ الخَلِيلُ وَتَدَارَكَهُ غَيْرُهُ"[26].

هَؤُلَاءِ العَرُوضِيِّونَ الكِبَارُ: الجَوْهَرِيُّ، الزَمَخْشَرِيُّ، ابْنُ رَشِيقُ القَيْرَوَانِيُّ، ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَازِمُ القَرْطَاجِيُّ، الإِسْنَوِيُّ، كُلُّهُمْ لَمْ يَخُوضُوا فِي قضية نِسْبَةِ بَحْرِ المُتَدَارَكِ.

2- العَرُوضِيُّونَ المُقِرُّونَ بِقَضِيَّةِ الاسْتِدْرَاكِ:

لَوْ تَصَفَّحْنَا كُتُبَ العَرُوضِ القَدِيمَةَ وَالحَدِيثَةَ لَوَجَدْنَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا تُقِرُ بِتَدَارُكِ الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ وَزْنَ المُتَدَارَكِ، بَلْ هَذَا هُوَ الشَائِعُ، لَكِنْ هَلْ هُوَ الصَوَابُ؟ وَانْ كَانَ كَذَلِكَ فَلِمَ لَمْ يَذْكُرِ الخَلِيلُ هَذَا البَحْرَ ؟.

مَرَّ مَعَنَا أَنَّ الخَلَيلَ هُوَ الذِّي وَضَعَ عِلْمَ العَرُوضِ بِإِجْمَاعِ العَرُوضِيِّينَ مِنْ خِلَالِ كِتَابٍ لَمْ يَصِلْنَا كَمَا كَتَبَهُ وَأَمْلَاهُ، بَلِ الذِّي وَصَلَنَا هُوَ كُتُبُ العَرُوضِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ نَضَجَ هَذَا

العِلْمُ عَلَى يَدِ الخَلِيلِ، إِذْ لَوْ وُجِدَ كِتَابُهُ فِي عِلْمِ العَرُوضِ لَعُدْنَا إِلَيْهِ وَحَسَمْنَا مُشْكِلَةَ المُتَدَارَكِ.

لَعَلَّ أَقْدَمَ كِتَابٍ فِي عِلْمِ العَرُوضِ وَصَلَنَا هُوَ (كِتَابُ العَرُوضِ)" لِلْأَخْفَشِ"، وَالغَرِيبُ أَنَّ الأَخْفَشَ نَفْسَهُ الذِّي نُسِبَ إِلَيْهِ هَذَا البَحْرُ لَمْ يَنْسِبْ إِلَى نَفْسِهِ تَدَارُكَ هَذَا الوَزْنِ، وَكَذَلِكَ تَلَامِيذُهُ[27].

يُعَدُّ كِتَابُ "الإِقْنَاعُ فِي العَرُوضِ" للصَاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ (ت385هـ) مِنْ أَقْدَمِ كُتُبِ العَرُوضِ التِّي وَرَدَ فِيهَا التَصْرِيحُ بِنِسْبَةِ المُتَدَارَكِ إِلَى الأَخْفَشِ، إِذْ وَرَدَ فِيهِ: "والشِّعْرُ كُلُّهُ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ عَرُوضًا وَثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ ضَرْبًا، وَخَمْسَةَ عَشَرَ بَحْرًا"[28].

وَقَدْ عَلَّقَ مُحَقِّقُ الكِتَابِ الشَيْخُ مُحَمَّدُ حَسَنُ آل يَاسِينَ فِي الهَامِشِ فَقَالَ :"جَاءَ فِي هَامِشِ الأَصْلِ بَعْدَ هَذِهِ الكَلِمَةِ[أي مباشرة بعد قول الصاحب بن عباد: خمسة عشر بحرا] مَا نَصُّهُ: "عَلَى رَأْيِ الخَلِيلِ وَاضِعِ هذا العِلْمِ وَسِتَّةَ عَشَرَ بَحْرًا عَلَى رَأْيِ الأَخْفَشِ النَّحْوِيّ..."[29]، والحَاصِلُ أَنَّ إِحْدَى نُسَخِ كِتَابِ "الإِقْنَاعِ فِي العَرُوضِ" وَرَدَ فِيهَا التَصْرِيحُ بِأَنَّ عَدَدَ البُحُورِ عِنْدَ الأَخْفَشِ سِتَّةَ عَشَرَ بَحْرًا، وَلَعَلَّ البَحْرَ الذِّي زَادَهُ هُوَ "المُتَدَارَكُ"، لَكِنْ لِمَ لَمْ يَرِدْ هذا التَّصْرِيحُ فِي كُلِّ نُسَخِ "الإِقْنَاعِ"؟ والذِّي وَرَدَ هُوَ أَنَّ عَدَدَ البُحُورِ التِّي أَنْشَأَهَا الخَلِيلُ خَمْسَةَ عَشَرَا بَحْرًا.

وَنَجِدُ الفَيُّومِيَّ المَقَّرِيَّ (ت 770 هـ) شَارِحَ عَرُوضِ ابْنِ الحَاجِبِ مُصَرِحًا بِأَنَّ الأَخْفَشَ هُوَ الذِّي اسْتَخْرَجَ المُتَدَارَكَ، قَالَ فِي بَابِ المُتَدَارَكِ " هَذَا البَحْرُ اسْتَخْرَجَهُ الأَخْفَشُ مِنْ بَحْرِ المُتَقَارِبِ"[30]وَرُغْمَ هذا التَّصْرِيحِ الوَاضِحِ إلا أَنَّهُ شَدَّ انْتِبَاهِي اسْتِعْمَالُ الفَيُّومِي عِبَارَةَ " استَخْرَجَهُ" بَدَلَ "اسْتَدْرَكَهُ"،وَلَعَلَّ الفَيُّومِيَّ لَا يَرَى أَنَّ الخَلِيلَ قَدْ فَاتَهُ العِلْمُ بِهَذَا البَحْرِ لِذَلِكَ قَالَ : "اخْتَلَفَ فِيهِ عَنِ الخَلِيلِ، فَقَالَ الأَكْثَرُ : نَصَّ عَلَى طَرْحِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ شِعْرٌ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ"[31] وَيَقْصِدُ بِالمُصَنِّفِ "ابْنَ الحَاجِب" (ت 646هـ) .

وَ كَانَ الدَمَامِنِيُّ (ت 827هـ) صَرِيحًا فِي نِسْبَةِ المُتَدَارَكِ إِلَى الأَخْفَشِ حَيْثُ تَحَدَّثَ عَنِ البُحُورِ فَقَالَ : " وَكَوْنُهَا خَمْسَةَ عَشَرَ هُوَ مَذْهَبُ الخَلِيلِ، وَزَادَ الأَخْفَشُ بَحْرًا أَخَرَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ وَهُوَ بَحْرُ المُتَدَارَكِ... وَالخَلِيلُ يَرَى أَنَّهُ مِنَ المُهْمَلَاتِ"[32] فَالدَّمَامِنِيُّ لا يرى أنَّ الخَلِيلَ كَانَ جَاهِلًا بِوُجُودِ هذا البَحْرِ المُنْفَكِّ عَنِ المُتَقَارِبِ.

وقَدْ ذَهَبَ الدَّمَنْهورِيُّ مَذْهَبَ الدَّمَامِنِيّ حِينَ صَرَّحَ بِنِسْبَةِ المُتَدَارَكِ إِلَى الأَخْفَشِ فِي حَدِيثِهِ عَنِ البُحُورِ: " وَهِيَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَلَى رَأْيِ الخَلِيلِ وَسِتَّةَ عَشَرَ عَلى رَأْيِ الأَخْفَشِ"[33] .

وَقَدْ عَدَدْنَا -وَنَحْنُ نَدْرُسُ فِي الجَامِعَةِ- قَضِيَةَ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ بَحْرَ المُتَدَارَكِ مِنَ المُسَلَّمَاتِ فِي عِلْمِ العَرُوضِ لِكَثْرَةِ تَدَاوُلِهَا فِي كُتُبِ العَرُوضِ الحَدِيثَةِ خَاصَةً التي يَكُونُ هَدَفُها تَسْهِيلِيًا تَعْلِيمِيًا، ولاَ بَأْسَ أَنْ نُلمِحَ إلى بَعْضِهَا عَلَى سَبِيلِ التَمْثِيلِ.

يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ اللهِ دَرْوِيش: " المُتَدَارَكُ، وَيُنْطَقُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الأَخْفَشَ تَدَارَكَهُ عَلَى الخَلِيلِ"[34] لَكِنْ ثَمَّةَ ثُلَّةٌ مِنَ المُشْتَغِلِينَ بِالدِّرَاسَةِ العَرُوضِيَّةِ اسْتَوْقَفَتْهُمْ قَضِيَّةَ اسْتِدْرَاكِ المُتَدَارَكِ، فَوَقَفُوا مُتَأَمِلِينَ غَيْرَ رَاضِيينَ بِمُجَرَّدِ النَّقْلِ وَالتَّقْلِيدِ، وَخَلصُوا مُتَّفِقِينَ إِلَى أَنَّ اسْتِدْرَاكَ الأَخْفَشِ المُتَدَارَكَ خَطأٌ دَرَجَ عَلَيْهِ بَعْضُ المُتَقَدِمِينَ وَكَثِيْرٌ مِنَ المُتَأَخِرِينَ، وَلِكُلٍّ مُسَوِّغَاتُهُ وَتَعْلِيلاتُهُ.

3- الرَّافِضُونَ قَضِيَّةَ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ عَلَى الخَلِيلِ بَحْرَ المُتَدَارَكِ:

مِنَ الذِينَ أَبْطَلُوا قَضِيَةَ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ الأَوْسَطِ بَحْرَ المُتَدَارَك شَارِحُ تُحْفَةِ الخَلِيْلِ عَبْدُ الحَمِيدِ الرَاضِي، والحُجَّةُ التي تَوَكَّأَ عَلَيْهَا هِيَ طَرِيقَةُ الفَكِّ، فَالدَّائِرَةُ العَرُوضِيَةُ -في نَظَرِه- لَا مَعْنَى لَهَا إِذَا ضَمَّتْ وَزْنًا وَاحِدًا؛ "لأن الدَّائِرَةَ العَرُوضِيَةَ مَبْنِيَّةٌ أَنْ يُسْتَخْرَجَ عِنْدَ كُلِّ وَتِدٍ أَوْ سَبَبٍ فِيهَا بَحْرٌ مِنْ بُحُورِهَا وَقَدْ يَحْمِلُنَا هَذَا عَلَى إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي مَوْضُوعِ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ عَلَى الخَلِيلِ بَحْرَ المُتَدَارَكِ فِي دَائِرَةِ المُتَّفَقِ، فَهَذِهِ الدَّائِرَةُ تَضُمُّ المُتَقَارِبَ، وَوَزْنُهُ:
فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ....

فَإِذَا أَجْرَيْنَا قَاعِدَةَ "الفَكِّ" فَأَهْمَلْنَا الوَتِدَ "فَعُوْ" مِنْ أَوَّلِهِ حَصَلْنَا عَلَى المُتَدَارَكِ:
فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ...

وَإِجْرَاءُ الفَكِّ فِي الدَّائِرَةْ مِنْ صَمِيمِ بِنَائِهَا بَلْ لا مَعْنَى لِلدَّائِرَةِ غَيْرُهُ، وَهَذَا وَحْدَهُ يَفْرِضُ وُجُودَ المُتَدَارَكِ فَرْضًا، فَلَا مَعْنَى لِلْقَوْلِ إِنَّ الْخَلِيلَ قَدْ أَغْفَلَهُ وَإِنَّ الأَخْفَشَ اسْتَدْرَكَهُ عَلَيْهِ، وَلَو افْتَرَضْنَا أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَجِدْ لِهَذَا البَحْرِ شَاهِدًا فِي الشِّعْرِ العَرَبِي فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَذْكُرَهُ فِي عِدَادِ البُحُورِ المُهْمَلَةِ كَمَا ذَكَرَ المُمْتَدَ فِي الدَّائِرَةِ المُخْتَلِفَةِ وَالمُتَوَفِرَ فِي المُؤْتَلِفَةِ وَالمُطَّرِدَ فِي المُشْتَبِهَةِ... وَبِهَذَا يَبِيْنُ زَيْفُ تِلْكَ الأُسْطُورَةِ القَائِلَةِ بِإِغْفَالِ الخَلِيلِ هَذَا الوَزْنَ وَ إِنَّ الأَخْفَشَ قَد اسْتَدْرَكَهُ عَلَيْهِ"[35]

وَالحُجَّةُ نَفْسُهَا (طَرِيقَةُ الفَكِّ) جَعَلَهَا مَهْدي المَخْزُومِي مُسَوِّغًا يُدَافِعُ بِه عَنْ الخَلِيلِ بِقُوَّةٍ حِينَ رَأَى أَنَّ المتَدَارَكَ نُسِبَ إِلَى غَيْرِه مُسْتَغْرِبًا كَيْفَ خَفِيَ هَذَا عَنِ الدَّارِسِينَ يَقُولُ: "إِذَا

افْتَرَضْنَا أَنْ يَكُونَ (الخَبَبُ) مِمَّا لَا يَصِحُّ عِنْدَ الخَلِيلِ حَقًّا... فَإِنَّ عَدَمَ وُقُوفِهِ عَلَيْهِ بِطَرِيْقَةِ الفَكِّ مِمَّا لَا يَجُوزُ مِثْلُهُ عَلَى الدَّارِسِينَ، وَإِذَا كَانَ الخَلِيْلُ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِمَّا لَا شَكَّ فِيْهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَضَعَ لَهُ لَقَبًا كَمَا وَضَعَ أَلْقَابًا لِلْبُحُورِ المُهْمَلَةِ الأُخْرَى: كَالمُسْتَطِيْلِ وَالمُمْتَدِّ وَالمُتَوَفِّرِ وَغَيْرِهَا، وَأَكْبَرُ الظَّنِّ أَنَّهُ سَمَّاهُ بِالخَبَبِ"[36].

إِنَّ طَرِيْقَةَ الفَكِّ التي تَوَكَّأَ عَلَيْهَا المَخْزُومِيُّ وَعَبْدُ الحَمِيدِ الراضِي في دَحْضِ فِكْرَةِ اسْتِدْرَاكِ الأَخْفَشِ المُتَدَارَكَ _في نَظَرِي_ لَقَوِيَّةٌ جِدًّا؛ إِذْ إِنَّ نَظَرِيَّةَ الخَلِيلِ في العَرُوضِ وَاللّغَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى فِكْرَةِ المُسْتَعْمَلِ وَالمُهْمَلِ انْطِلَاقًا مِنَ التَّقْلِيباتِ في حَصْرِ مُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ (مُعْجَم العَيْن) وَالفَكِّ في حَصْرِ بُحُورِ الشِّعْرِ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الخَلِيْلُ في كُلِّ الدَّوَائِرِ العَرُوضِيَّةِ، فَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنَّهُ جَهِلَ بَحْرَ الخَبَبِ (المتدارك) الذي يَتَوَلَّدُ مُبَاشَرَةً بَعْدَ المُتَقَارِبِ حَتَى يَكْتَشِفَهُ غَيْرُهُ مِنْ بَعْدِهِ؟.
وَلَعَلَّ هذا السَّبَبَ الذي جَعَلَ عَبْدَ الرِّضا عَلِيًّا يَتَّبِعُ المَخْزُومِيَّ في إِثْبَاتِ أَنَّ الخَلِيلَ اهْتَدَى إِلى مَعْرِفَةِ جَمِيعِ البُحُورِ "فَهِيَ سِتَّةَ عَشَرَ بَحْرًا، وَمَنْ يَتَّبِعُ طَرِيقَةَ (الفَكِّ) التي اصْطَنَعَهَا الخَلِيلُ يُوقِنُ أَنَّ الخَلِيلَ ذَكَرَهَا كُلَّهَا، لِأَنَّهَا تَسْتَقِيمُ جَمِيعُهَا بِالفَكِّ وَإِنْ لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهَا"[37]، ثُمَّ يَذْكُرُ بَعْدَهَا أَنَّ اسْتِدْرَاكَ الأَخْفَشِ المُتَدَارَكَ وَهْمٌ وَقَعَ فِيهِ العَرُوضِيُّونَ مُبَيِّنًا أَنَّ في الفَكِّ رَدٌّ يَدْحَضُ هذا الزَعْمَ[38].

إِنَّ طَرِيقَةَ الفَكِّ حُجَّةٌ يَطْمَئِنُ لَهَا القَلْبُ وَدَلِيلٌ مَنْطِقِيٌّ في أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَجْهَلِ المُتَدَارَكَ لَكِنْ مَا ادَّعَاهُ المَخْزُومِيُّ وَعَبْدُ الحَمِيدِ الرَاضِي مِنْ أَنَّ الخَلِيلَ سَمَّى البُحُورَ المُهْمَلَةَ فِيهِ نَظَرٌ إِذْ إِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلى دَلِيلٍ يَعْضُدُهُ مِنْ مَصَادِرِ العَرُوضِ وَإِلَّا كَانَ مُجَرَدَ ادِّعَاءٍ وَزَعْمٍ يَفْتَقِدُ إِلى الدِّقَةِ العِلْمِيَّةِ، لِذَلِكَ رَفَضَهُ الدُكْتُورُ نَاصِرُ لُوحِيشِي فَقَالَ: "وَلَكِنَّ الرَّاجِحَ عِنْدَنَا أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يُسَمِّ البُحُورَ المُهْمَلَةَ وَلَمْ يَضَعْ لَهَا أَلْقَابًا، بَلْ لَمْ تَرِدْ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ في مَظَانِّ العَرُوضِ وَمَصَادِرِهِ _فِيمَا نَعْلَمُ_ لَا في المُوَشَّحِ وَلَا في العُمْدَةِ ... وأَغْلَبُ الظَّنِ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ فِي عَصْرٍ بَعِيدٍ عَنْ عَصْرِ الخَلِيلِ(العَصْرُ العَبَّاسِيُّ) حِينَ حَاوَلَ بَعْضُ النَّظَّامِينَ وَالشُعَرَاءُ النَّظْمَ عَلَى تِلْكَ البُحُورِ المُهْمَلَةِ، وَنَحْسَبُ أَنَّ الخَلِيلَ كَانَ يَجْتَزِئُ بِقَوْلِهِ هَذَا بَحْرٌ مُهْمَلٌ"[39].
وَيَرَى مُحَمَّدُ عَبْدُ الدَايِمِ أَنَّ الأَخْفَشَ لَمْ يَسْتَدْرِكْ عَلَى الخَلِيلِ بَحْرَ المُتَدَارَكِ مُقَدِّمًا أَدِلَّةً بَدَتْ لَهُ عَقْلِيَّةً:
- "لَا يُعْقَلُ أَنْ تُخْرِجَ دَوَائِرُ الخَلِيلِ كُلَّ هذَا الكَمِّ مِنَ البُحُورِ مُسْتَعْمَلَةً ومُهْمَلَةً، ثُمَ يَعْجَزُ عَنْ إِخْرَاجِ المُتَدَارَكِ، بَلْ إِنَّ إِخْرَاجَ المُتَدَارَكِ أَسْهَلُ مِنْ إِخْرَاجِ غَيْرِهِ مِنَ البُحُورِ، حَيْثُ لاَ لَبْسَ فِيهَا وَلَا غُمُوضَ... فَلَوْ بَدَأْنَا بِالوَتَدِ المَجْمُوعِ أَخْرَجْنَا المُتَقَارِبَ، وَلَوْ بَدَأْنَا بِالسَّبَبِ الخَفِيفِ بَعْدَهُ أَخْرَجْنَا المُتَدَارَكَ.

فَأَيُّ مُلِمٍّ بِانْفِكَاكِ البُحُورِ مِنَ الدَّوَائِرِ يُمْكِنُهُ إِخْرَاجُ المُتَدَارَكِ، فَهَلْ يَعْجز الخَلِيلُ عَنْ إِخْرَاجِهِ وَيُخْرِجُهُ الأَخْفَشُ؟ ..لَا أَظُنُّ..

- لاَ يُعْقَلُ أَنْ يُخْرِجَ الأَخْفَشُ المُتَدَارَكَ ولَا يَنْسِبُ هَذَا الشَّرَفَ إِلَى نَفْسِهِ، فَهَذَا كِتَابُهُ العَرُوضُ خَالٍ تمَامًا عَنِ التَّلْمِيحِ مُجَرَّدِ التَّلمِيحِ، مِمَّا يُفْهَمُ مِنْهُ اسْتِدْرَاكُهُ لَهُ...

- لَا يُعْقَلُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الأَخْفَشُ المُتَدَارِكَ وَلَا يَتَحَدَّثُ تَلَامِيذُهُ بِهَذَا الاِسْتِدْرَاكِ...

- لاَ يُعْقَلُ أَنْ يَعْلَمَ ابْنُ جِنِّيّ، وَحَمَّادٌ الجَوْهَرِيُّ وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، وَالدَّمَنْهورِيُّ، وَصَاحِبُ تُحْفَةِ الخَلِيلِ، وَالتَبْرِيزِيُّ أَنَّ الأَخْفَشَ اسْتَدْرَكَ المُتَدَارَكَ ثُمَّ يَعْتِمُونَ القَضِيَّةَ، وَيَتَجَاهَلُونَ الأَمْرَ على الرُغْمِ مِنْ نِسْبَةِ كَثِيرٍ مِنَ الآرَاءِ إلى الأَخفَشِ في موَاَضِعَ شَتَّى مِنْ مُؤَلِفَاتِهِم العَرُوضِيَّةَ"[40]، ثُمَّ ثَّنَى أَحْمَدُ عَبْدُ الدَايِمِ[41] بِإِيرَادِ حُجَجٍ نَقْلِيَّةٍ تُبَرِّرُ الحُجَجَ العَقْلِيَّةَ _فِي نَظَرِهِ- ذَاكِرًا أَبْيَاتًا مَنسُوبَةً إِلَى الخَلِيلِ عَلَى بَحْرِ المُتَدَارَكِ وَرَأَى أَنَّهَا حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ الخَلِيلَ كَانَ عَالِمًا بِهَذَا البَحْرِ وَحَاوَلَ أَنْ يُثْبِتَ صِحَّةَ نِسْبَةِ هَذِهِ الأَبْيَاتِ إِلَى الخَلِيلِ، ثُمَّ نَقَلَ عِبَارَةً عَدَّهَا فَاصِلَةً وَاضِحَةً لابْنِ القَطَّاعِ (تَ515هـ) قال فِيهَا: "وَلَمْ يُجِزْهُ الخَلِيلُ وَدَفَعَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً"[42] وَعَلَّقَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ القَطَّاعِ بِقَوْلِهِ: "لَمْ يُجِزْهِ الخَلِيلُ، وَالإِجَازَةُ وَعَدَمُ الإِجَازَةِ لَا تَكُونُ مِنْهُ إِلَّا فِي أَمْرٍ كَثُرَ الجَدَلُ فِيهِ، وَقَضَى الخَلِيلُ فِيهِ بِعَدَمِ إِجَازَتِهِ وَ"دَفَعَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً" رَفَضَهُ كُلَّهُ، وَالرَّفْضُ لَا يَكُونُ لِشَيْءٍ مَجْهُولٍ، بَلْ لِشَيْءٍ مَعْلُومٍ مَعْرُوفٍ وَالأَوْقَعُ عِنْدِي: أَنَّ الخَلِيلَ اسْتَهْجَنَ النَّظْمَ عَلَى هَذَا البِنَاءِ... بَلْ هوَ بَحْرٌ سُوقِيٌّ"[43].

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الحُجَجَ المُقَدَمَةَ مِنْ قِبَلِ مُحَمَّد عَبْدِ الدَّايِمِ مُقْنِعَةٌ لَكِنَّ فِي كَلَامِهِ بَعْضَ التَّنَاقُضِ كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ الدُكْتُورُ نَاصِر لُوحِيشِي، إِذْ يَقُولُ: "وَيُسْتَبِينُ لَنَا _وَنَحْنُ نَنظُرُ فِي هَذِهِ المُسَوِّغَاتِ وَالأَدِلَّةِ وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَقِيقَةِ بَعْضِهَا إلا أَنَّ فِيهَا بَعْضًا مِنَ الانْتِقَاضِ، وَبَعْضًا مِنَ التَّعَسُّفِ، إِذْ كَيْفَ يَسْتَهْجِنُ الخَلِيلُ النَّظْمَ على هَذَا الوَزْنِ ثمّ يَنْظِمُ هُوَ عَلَيْهِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا البَحْرُ سُوقِيًّا لَا يُحْوِج إلى مَوْهِبَةٍ وَالخَلِيلُ يَنْظِمُ عَلَيْهِ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الشِّعْرِ الحَدِيثِ وَالمُعَاصِرِ عَلَى هَذَا الوَزنِ"[44].

وَأَمَّا "مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ وريث" فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَخْفَ عَنْهُ أَمْرُ "فَاعِلُنْ" ولَمْ يَصْعُبْ علَيْهِ ونِسْبَةُ ذَلِكَ إِلى الأَخْفَشِ فِيهِ نَظَرٌ، وَاسْتَدَلَّ بِوُجُودِ هَذِهِ التَّفْعِيلَةِ فِي المَدِيدِ وَ البَسِيطِ، وَعَدَّ مَا نُسِبَ إلى الأَخْفَشِ إِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاكٌ مُتَوَلِّدٌ مِنْ دَاخِلِ النِّظَامِ العَرُوضِيّ الخَلِيلِي نَفْسِهِ فَالأَخْفَشُ لَمْ يُسَمِّ هَذَا النِّظَامَ وَلَمْ يُعَدِّلْهُ وَلَمْ يَنْقُضْ أُصُولَهُ[45].

ومَهْمَا يَكُنْ فَإِنَّ بَعْضَ الدَّارِسِينَ أَجْرَى إِحْصَاءً عَلَى دَوَاوِينِ مُعْجَمِ البَابِطِينَ وَخَلُصَ إِلَى أَنَّ المُتَدَارَكَ يَتَبَوَّأُ المَرْتَبَةَ الثَانِيَةَ بَعْدَ الكَامِلِ في الشِّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ[46].

الخَاتِمَةُ:

مِمَّا سَبَقَ ذِكْرُهُ حَوْلَ قَضِيَّةِ الاسْتِدْرَاكِ يَظْهَرُ لَنَا مَا يَأْتِي:

1_ إِنَّ طَرِيقَةَ الفَكِّ فِي تَوْلِيدِ البُحُورِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الخَلِيلَ لَمْ يَفُتْهُ العِلْمُ بِهَذَا البَحْرِ (المتدارك).

2_ عَدَّ الخَلِيلُ المُتَدَارَكَ مُهْمَلًا لِسَبَب رَئِيسَينِ هُما:

_ نُدْرَةُ هَذَا البَحْرِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيّ.

_ مُخَالَفَتُهُ لِأُصُولِ العَرُوضِ الخَلِيلِي (دُخُولُ عِلَّتَي القَطْعِ وَالتَشْعِيثِ عَلَى الحَشْوِ).

3_ لَمْ يَنْسِبِ الأَخْفَشُ إِلَى نَفْسِهِ اسْتِدْرَاكَ المُتَدَارَكِ، بَلْ نَسَبَهُ إِلَيْهِ غَيْرُهُ فِي زَمَنٍ مُتَأَخِرٍ بَعْدَمَا شَاعَ الغِنَاءُ وَذَاعَ اسْتِعْمَالُ هَذَا الوَزْنِ.

4_ استِدْرَاكُ الأَخْفَشِ المُتَدَارَكَ خَطَأٌ مَشْهُورٌ تَنَاقَلَه العرُوضِيُّونَ.

5_ اتِّفَاقُ أَغْلَبِ العَرُوضِيِّينَ الأَوَائِلِ عَلَى أَنَّ البُحُورَ الخَلِيلِيَّةَ خَمْسَةَ عَشَرَ بَحْرًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الخَلِيلَ أَهْمَلَ المُتَدَارَكَ، وَلَا يَعْني أَنَّهُ جَهِلَ بِهِ وَفَاتَهُ إِدْرَاكُهُ حَتَّى اسْتَدْرَكَهُ غَيْرُهُ.

6_ اسْتِعْمَالُ المُتَدَارَكِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ خَاصَةً الشِّعْرَ الحُرَّ شَائِعٌ وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِبَعْضِ أُصُولِ العَرُوضِ.

7_ لَعَلَّ الكَلِمَةَ الجَامِعَةَ الأَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ أَنْ نَقُولَ: يَنْفَكُ عَنِ المُتَقَارِبِ المُتَدَارَكُ، وَعَدَّهُ الخَلِيلُ مُهْمَلًا لِنُدْرَةِ شَوَاهِدِهِ وَمُخَالَفَتِهِ لِلْأُصُولِ، لَكِنَّهُ ذَاعَ فِي زَمَنٍ مُتَأَخِرٍ فَنَسَبَهُ بَعْضُ المَغْمُورِينَ إِلَى الأَخْفَشِ ذِي النَّبَاهَةِ وَالعِلْمِ وَالشُّهْرَةِ.

هوامش البحث

[1] أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، شرح عروض ابن الحاجب،تحقيق:محمود محمد العامودي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ط1، ص157.

[2] نور الدين السالمي العماني، المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عمان، ط2، 1993، ص152.

[3]نور الدين السالمي العماني، المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي، ص152.

[4] المرجع نفسه،ص152.

[5] المرجع نفسه، ص152.

[6] يُنظر: الزمخشري، القسطاس في علم العروض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2015، ص60.

[7] إسماعيل بن حماد الجوهري، عروض الورقة، ت: د. محمد سعدي جوكنلي، ارضروم، 1994،ص47.

[8] المرجع نفسه، ص47-48.

[9] المرجع نفسه، ص47.

[10] يُنظر : صفاء خلوصي، فن التقطيع الشعري والقافية، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، ط5، 1977، ص197.

[11] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952،ص101.

[12] يُنظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد بن الحبيب بن الخوجة،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص241-243

[13] ناصر لوحيشي، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، دار الأمير خالد، الجزائر (وزارة الثقافة)، 2013،ص143، ويُنظر أيضا: محمود محمد شاكر، نمط صعب ونمط مخيف، ط1، دار المدني مطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1416هـ-1996م، ص89.

[14] الجوهري، عروض الورقة، ص3.

[15] المرجع نفسه، ص47.

[16] الزمخشري، القسطاس في علم العروض، ص60.

[17] يُنظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج1، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2001، ص121.

[18] ابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري،ج5، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1983،ص441.

[19] ناصر لوحيشي، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، ص153-154.

[20] يُنظر: عروض الورقة، ص68.

[21] يُنظر: العمدة، ص123.

[22] يُنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980، ج5، ص80.

[23] يُنظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص241-243.

[24] يُنظر: ناصر لوحيشي، الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، ص156-157-158.

[25] المرجع نفسه، ص159.

[26] جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي الشافعي، نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب، ت: د. شعبان صلاح، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1410هـ-1989م، ص334.

[27] يُنظر: الأخفش، كتاب العروض، ت: د.أحمد عبد الدايم، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، 1989، ص10.

[28] الصاحب بن عباد، الإقناع في العروض وتخريج القوافي، ت: محمد حسن آل ياسين، منشورات المكتبة العلمية، شارع المتنبي، بغداد، ص4.

[29] المرجع نفسه، ص4.

[30] أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، شرح عروض ابن الحاجب، ت: د. محمود محمد العامودي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص157.

[31] المرجع نفسه، ص157.

[32] بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني، العيون الغامزة على خباياالرامزة، ت: الحساني حسن عبد الله، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1415هـ-1994م، ص22.

[33] محمد الدمنهوري، الحاشية الكبرى على متن الكافي في علمي العروض والقوافي، ط1، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1332هـ، ص26.

[34] عبد الله دويش، دراسات في العروض والقافية، ط3، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، 1407هـ-1987م، ص86 ، ويُنظر: محمد حماسية عبد اللطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر،= 1420 هـ-1999م، ص95 ، ويُنظر أيضا: نور الدين السالمي العماني، المنهل الصافي على فاتح العروض والقوافي، ص152، ويُنظر أيضا: عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987م، ص127.

[35] عبد الحميد الراضي، شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، ط2، مؤسسة الرسالة، بغداد، 1395هـ-1975م، ص17-18.

[36] مهدي المخزومي، الفراهيدي عبقري من البصرة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ص106.

[37] عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، ط1، دار الشروق، 1997م، ص16.

[38] المصدر نفسه، ص17.

[39] ناصر لوحيشي، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، ص165-166.

[40] أحمد محمد عبد الدايم عبد الله، قضايا وبحوث في النحو والصرف والعروض، ط1، 1423هـ-2002م، ص192.

[41] يُنظر، المرجع نفسه، ص192-193.

[42] ابن القطاع، كتاب البارع في علم العروض والقوافي، ت: د. أحمد محمد عبد الدايم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405هـ-1985م، ص208.

[43] أحمد محمد عبد الدايم، المرجع نفسه، ص194.

[44] ناصر لوحيشي، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، ص169-170.

[45] يُنظر: محمد أحمد وريث، في إيقاع الشعر العربي، ط1، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع، لبيا،1430هـ-2000م،ص187-188.

[46] يُنظر: ناصر لوحيشي، أوزان الشعر العربي بين المعيار النظري والواقع الشعري، ص 170.

تقنيّة التَّعرِيف الصَّوريّ في المعجم الوسيط "دراسة إحصائية وصفية تحليلية"

The Iconic Definition Technique in the Dictionary: "Elmoouadjam Elwassite". A statistic, Descriptive and analytical study.

ابراهيم بوشاشية *

تاريخ تقديم البحث 2017/12/21 **تاريخ القبول 2018/3/12**

ملخص

يسعى هذا البحث إلى إبراز أهمية الصور والرسومات البيانية في مجال الصّناعة المعجمية الحديثة، ومدى فاعليتها في تعزيز وتقويّة **أساس التَّعرِيف** في عرض المعنى في المعاجم من خلال تقديم دراسة إحصائية وصفية تحليلية لـ: «**المعجم الوسيط**» **لمَجْمع اللغة العربيّة** بالقاهرة، وذلك بالوقوف على ماهية التّعريف - من منطلقات ووجهات نظر مختلفة-، وأهميته وبيان أنواعه، ليتمّ الانتقال بعد ذلك إلى تبيان مفهوم الصّورة وخصائصها.

كما يقوم هذا العمل بتتبع ورصد جملة الكلمات (المداخل المعجمية)، التي خصّها فريق مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالتّعريف بهذه التّقنية – تقنية التّعريف الصّوري-لعرض معاني ومدلولات مداخل معجمه ومكاشفتها في سياق التّحليل والتّعليل من منظور الصّناعة المعجمية الحديثة بغية توضيح مواطن الجودة، ومواطن القصور فيه وبهدف التّحسين والارتقاء بالمعجم.

الكلماتِ الدالة: التَعريف، المعجم، الصناعة المعجمية، المدخل، المصطلحية، الصورة، التّقنية، التَّعرِيف الصّوري، المعجم الوسيط.

Abstract

The objective of this study is to show the importance of the use of images and drawings in modern lexicography and their effectiveness in reinforcing definitions. This is done through a descriptive and analytical study of the dictionary "Elmoouadjam Elwassite" which belongs to The Arabic Language Assembly in Cairo. The concept of definition would be tackled from various points of view shedding the light on its importance and its types. Then, the study refers to the concept of image.

The aim of this work is also to cite all the words (dictionaric entries) that were created by the Arabic Language Assembly in Cairo and to explain how this technique (the iconic definition technique) functions in this dictionary through analysis and demonstration in order to shed the light on its advantages and its drawbacks and to develop it.

Keyboard: definition, dictionary, lexicography, entry, terminology, image, technique, iconic definition, « Elmouadjam Elwassite».

*قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات ،جامعة لونيسي علي البليدة 2.

مقدمة

يعتبر المعجم خزّان المعرفة بشكلٍ عامٍ، فهو يحفظ للأمّة رصيدها العلميّ والثقافيّ، كما تستثمر ألفاظه في التّواصل فيما بين الأفراد والجماعات، ويلجأ إليه الباحثون والدّارسون عادة لمعرفة معاني ومدلولات هذه الألفاظ. فيزوّدهم المعجم بهذا المطلوب -وهي المعاني والمدلولات- ولكن يعرضها في بنية لسانيّة تعريفاتيّة تعتمد غالبًا على مفردات لغويّة فقط، تشكّل نصًا محضًا يصطلح عليه بمصطلح **التَّعريف**. ويتولّى هذا الأخير –**التَّعريف**- مهمّة عرض المعاني في المعجم. لكن التَّعريف بهذا الوصف قد تقصر مهمّته في أدائها على أحسن وجه، الأمر الذّي أدّى بالباحثين إلى استحداث تقنيات جديدة في مجال الصّناعة المعجميّة لم تكن من قبل معهودة في المعاجم التراثيّة القديمة إلّا نادرًا. من هذه التقنيات؛ تقنيّة استثمار الصّور والرُّسومات كآليات مساعدة إلى جانب التَّعريف اللّفظيّ على تقريب معاني ومدلولات المداخل المعجمية حتَّى يتسنّى للقارئ إفادة تصوّر الشَّيء المعرّف (المدخل) في ذهنه.

وإنّ مكانة المعجم العربي في الدرس اللّساني والمعجميّ أو القاموسي الحديث تتمثّل في كون اعتباره صورة حيادية للوحدات اللّسانية، وللمصطلحات العلميّة والفنّية لمختلف الميادين والمجالات المعرفيّة ولألفاظ اللغة برّمتها. إذْ يمكن تمثيل المعجم بذاكرة الإنسان المدوّنة؛ إذ يعطي أجوبة مقابل أسئلة مطروحة تتمثّل فيما يصطلح عليه بالمداخل المعجميّة أو القاموسيّة. ونعني بكلمة الأجوبة هنا تلك البنية اللّسانية التي يصيغها صانع المعجم بجانب المدخل المراد معرفة معانيه ودلالاته، والتي عادة ما يفصل بينها وبين المدخل بـ(:)؛ أي هي تركيبة من الوحدات اللغويّة حاملة لمفاهيم ومضامين المداخل المعجميّة والتي يصطلح عليها بمصطلح **التَّعريف**.

يتناول هذا البحث الصّور والرُّسومات **كتقنية** حديثة ومعاصرة أثبتت نجاعتها النظريات اللّسانية الحديثة كمعايير أساسيّة في مجال الصّناعة المعجمية-**تقنية التَّعريف الصُّوريّ**- والتي يُبنى عليها المعجم العربيّ الحديث أو المعاصر عامّة والمعجم الوسيط على وجه الخصوص.

ولإبراز أهميّة تقنية التَّعريف الصُّوريّ في مجال الصّناعة المعجميّة الحديثة أو المعاصرة استقرأنا عيّنة استخدمها مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة في معجمه المعجم الوسيط. وجدير بنا في هذا المقام أن نجيب عن جملة من الأسئلة التي قد تتبادر إلى ذهن القارئ، يتمثل أبرزها في: **ماهية التَّعريف الصُّوريّ؟ وكيفية استثمار الصُور والرُّسومات في مجال التأليف المعجميّ العربيّ الحديث في ظلّ تطوّر الدّراسات المعجميّة الحديثة وتشعّب تقنيّاتها؟ وما**

هي الكيفيّة التي وُظّفت بها هذه التقنيّة في المعجم الوسيط؟ وما مدى إسهاماتها في تعزيز وتقويّة التَّعرِيف في المعجم؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه ضمن هذا الطّرح:

أهميّة التَّعرِيف:

يُمثّل **التَّعرِيف** في المعاجم عمومًا أساسًا هامًا من أسسِ الصّناعة المعجميّة إلى جانب الجمع والترتيب، ومن دونه لا يمكن للمعجم أن يقدّم مهمّته الأساسيّة والمتمثّلة في عرض معاني ومدلولات المداخل المعجميّة. "فإذا كان الترتيب يمثّل الصّورة الشّكليّة، فإنّ التَّعرِيف هو لُبُّ المعجم والغاية من وجوده؛ لأنّه يقوم بدورٍ أساسيٍّ في الصّناعة المعجميّة؛ إذْ به تُحدَّد دلالة الكلمة، وبه يربط المعجميُّ بين المفهوم واللّفظ. وأهمّ وظيفة يُؤدّيها هي تعيين دلالة اللّفظ عامًا كان أو مختصًا"[1]. وقد اختزل المعجميّ **ستكر**(Steger) وظائف المعجم في خمسٍ، حيث يقول: "إنّ وظائف المعجم الحديث هي، من حيث الأساس خمس: إعطاء كلّ كلمة هجاءها الصّحيح، ومقاطعها، وتلفّظها، واشتقاقها، وتعاريفها"[2]، وهذا ما يسعى **المعجم الوسيط** وغيره من المعاجم الأخرى إلى تحقيقه، ويبقى التفاوت بينها موجودًا في نسبة تحقيق هذه الوظائف. ولكن تبقى"**الوظيفة المركزيّة للمعاجم قائمة على شرح معنى الكلمات**."[3]

يرى **الجيلالي حلّام:** أنّ الغاية أو المقصد من صناعة المعجم تكمن أساسًا في التَّعرِيف؛ إذْ إنّ"أهميّة المعجم بوصفه مدوّنة حضارية وأداةً تعليميةً تبرز في عنصرين اثنين هما: الرَّصيد المفرداتي المعبّر عنه بالمداخل، والتَّعارِيف الشَّارحة لها؛ فإنَّ أكثر ما تظهر هذه الأهميّة في بناء التَّعرِيف حتَّى لكأنَّ المعجم هو التَّعرِيف"[4]. ويتبيّن لنا من خلال هذا القول أنّ "المعجم بلا تعريفات أو شروح لا يزيد عن كونه هيكلًا فارغًا"[5]. فلا يمكن للمعجم تأدية وظيفته المتمثّلة في تقديم وعرض معاني ومدلولات مفردات اللغة إلاّ بواسطة التعريف. فما هو التَّعرِيف يا تُرى؟

مفهوم التَّعرِيف:

---

[1] محمد خالد الفجر: **أسس المعجم العربيّ التراثيّ**، كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2017م، ص 153.

[2] علي القاسمي: **علم اللغة وصناعة المعجم**، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط03، 2004م، ص 74.

[3] See: B.T Sue Atkims And Michael Rudell:**The Oxford Guide To Practical lexicolograhy**, university P 405.

4 الجيلالي حلّام: **تقنيات التّعريف بالمعاجم العربيّة المعاصرة**، -دراسة- من منشورات اتّحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا 1999م، ص 05.

[5] هربيرت بشت، وجنيفر دراسكاو: **مقدّمة في المصطلحيّة**، ترجمة (محمّد محمد) حلمي خليل، الكويت، مجلس النّشر العلمي في جامعة الكويت، 2000م، ص 192.

يطلق مصطلح **التَّعرِيف** في الاصطلاح اللّغوي -غالبًا- على سلسة الألفاظ اللغويّة التي تلي المدخل مباشرةً، قصد عرض معاني ومدلولات هذا المدخل. وكثيرًا ما يُبدأ في صياغته -أي التعرف- بعرض معلومات تتعلّق بتخريج كلمة المدخل وطريقة نطقها، ثمّ المعلومات المتعلّقة بالصّرف أو النّحو، ثمّ المعنى اللغوي، فالمعنى الاصطلاحيّ. وعادة ما يُعزّز التَّعرِيف بشواهد وأمثلة سياقيّة، وأخرى صوريّة ورسومات تشكيليّة وفوتوغرافيّة. فوظيفة المعجم اللغويّ لا تنحصر فقط في إعطاء التَّعارِيف وتقديم المدلولات، بل إنّ مستعمل اللغة "يحتاج إلى بعض المسائل الأخرى المتعلّقة بكلّ كلمة، والتي من المفترض أن يكون المعجم كفيلًا بتلبيتها وإظهارها"[1]. فمن أجل تكوين وإفادة الصّورة الذّهنيّة للشَّيء المعرّف في ذهن القارئ يحصل بذلك الإدراك.

يرى **علي القاسمي:** أنّ "التَّعرِيف في صناعة المعجم، هو قول يوضّح أو يشرح اللفظ المعرّف بحيث يفهمه مستعمل المعجم. ولهذا يسمّى التَّعرِيف في كتب المنطق العربيّة القديمة بـ«القول الشارح». فالقصد منه تحصيل صورة الشَّيء في الذّهن وتوضيحها ويميّز ذلك الشَّيء عن غيره من الأشياء"[2]. يشير **القاسمي** إلى أنّ حصول مدلول المعرّف مرتبط ببيان وتفصيل لعناصر مكوّناته حتَّى يتميّز عن غيره.

ويُعرّفه **الجيلالي حلّام** فيقول: "هو مصدر يدلّ فعله المضاعف عرّف تعريفًا: الشَّيء: أعلمه إيّاه أو جعله يُدْرِكُ كُنْهَهُ"[3]؛ أيّ باطنه. وفي هذا إشارة إلى أنّ "هناك نوعين من التَّعرِيف: تعريف بالإشارة إلى الشَّيء ذاته، والوقوف عليه بإحدى الحواسّ. وتعريفٌ بالاستدلال عليه بواسطة الكلمات؛ أيّ اللغة الواصفة (Métalangage)" [4]. فكما أنّ اللغة أداة تصف غيرها فهي قادرة على أن تصف نفسها في حدّ ذاتها بتوظيفها لمفرداتها.

أمّا التَّعرِيف في نظرِ **محمّد راشد الحمزاوي** فهو "نوع من التعليق على اللفظ، أو العبارة، وهو كذلك شرح نص(اللفظ أو العبارة)"[5]. نلاحظ من خلال هذا التَّعرِيف مدى العموميّة في ضبط مفهوم التَّعرِيف بدون التقيّد بإطار علميّ معيّن. **فالحمزاوي** لم يحدّد لنا نوع التعليق هنا، بل جعله عامًّا. غير أنّه أشار في تعريفه هذا إلى أنّ هناك أنواعًا من المداخل

---

[1] أجموعي تارش، لبوخ بوجملين: **المعجم التّعليميّ: مفهومه، خطوات صناعته، المعلومات المقدّمة فيه**، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مجلّة الأثر، العدد 23، 2015م، ص 162.

[2] علي القاسمي: **علم المصطلح، أسسه النّظريّة، وتطبيقاته العمليّة**، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2008م، ص 739.

[3] الجيلالي حلّام: **تقنيات التّعريف بالمعاجم العربيّة المعاصرة**، ص: 37.

[4] ينظر: الجيلالي حلّام: **المرجع نفسه**، ص: 37.

[5] محمد راشد الحمزاوي: **من قضايا المعجم العربيّ قديمًا وحديثًا**، دار المغرب الإسلامي،ط1، 1986م، ص 165.

المعجميّة (لفظ، عبارة، نص). وهذا يعني أنّ المداخل المعجميّة منها البسيطة ومنها المركّبة ومنها المعقّدة.

ويُسمي **الحمزاوي** التَّعريف بـ«**النصّ المحض**»،كما يعتبره "أهمّ عناصر المعجم لأنّه متّصل بالبحث عن دلالة المدخل ومعناه، ويتكوّن من تعريفات تعتبر أساس النصّ المعجميّ المكتمل الذي يستوجب عمومًا ثمانية أنواع من التَّعريف غايتها تقديم أكبر ما يمكن من المعلومات عن المدخل المعني بالأمر"[1]. فبيّن بذلك أنّ **التَّعريف** نصّ خاصّ ليس كباقي النّصوص وإنّ تنوّع –نصّ التَّعريف-. إنّه ذلك النصّ الذي يتناول البحث عن معاني المدخل ودلالته. كما حدّد **الحمزاوي** غايته المتمثّلة أساسًا في تقديم قدر ما يمكن من المعلومات حول المدخل المعرّف.

تكاد تجمع هذه التَّعريفات على أنّ **التَّعريف** كعمل إجرائي، قِوامه مفردات اللغة، وتدعم عادةً بشواهد صوريّة، يسعى من خلالها المعجميّ إلى تقديم وعرض معاني ومدلولات اللفظ المعرّف ليتسنّى للقارئ الوقوف عليها وفهمها في أبسط صورة. ولكن تَبْقَى نجاعة التَّعريف دومًا مرهُونة بِمدى قُدرة وكفاءة المعجميّ في توظيفه للثّروة اللغويّة لتشكيل بنيته التَّعريفاتيّة -بنية التَّعريف- المتمثّلة في الوحدات اللغويّة وغير اللغويّة بما فيها الصُّور والرُّسومات، ومرهون أيضًا بحذاقة المعجميّ في نسجِ أجود أساليب صياغة هذه البنية التَّعريفاتيّة.

أنواع التَّعريف:

للتّعريف أنواع عديدة أوصلها بعض المختصّين إلى (25) نمطًا؛ إذْ "كلّ طريقة تؤدّي إلى توضيح معنى اللفظ في ذهن السّامع تكون مقبولة"[2] وتعدّ تعريفًا؛منها التَّعريف اللغويّ، التَّعريف المنطقيّ، التَّعريف المصطلحيّ، والتَّعريف بالصّور والرُّسومات الذي هو غايتنا هُنَا.

---

[1]محمد راشد الحمزاوي: **المعجميّة "-مقاربة نظرية ومطابقة-مصطلحات ومفاهيمها"**، مركز النشر الجامعي، دط، 2004م، ص 380.

[2]مهدي فضل الله: **مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليديّ)**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977م، ص 75.

التَّعرِيف الصُّوريّ: ويُسمّى "**التَّعرِيف الأيقونيّ** ومضمُونه تمثيل معنى الكلمة بواسطة صور وتخطيطات ورسوم تُجاوِر المدخل المعجميّ، فتساعد على استيعاب مفهومه جزءًا أو كلًا"[1]. غير أنّه لا يُمكن استغناؤه عن التَّعرِيف اللفظيّ، بل يعتبر مساعدًا ومكمّلًا له. وهذا يعني أنّ التَّعرِيف اللفظي يحتاج في بعض الحالات إلى الاستعانة بالصُّور والرُّسومات، لأنّ ذلك يُسهم في "تحصيل معلومات موضوعيّة بالمشاهد الحاضرة عرضًا وشرحًا وتطبيقًا واقعيًا، يكسب المتعلّمين معرفة حسّية لما لم يسبق أن شاهدوه أو اكتسبوه، وتأكيد حقائق تمّ تعلّمها نظريًّا"[2].

كما يُسمّى هذا النّوع من التَّعرِيف "**بالتَّعرِيف الإشاريّ** (Ostensive definition) وهو أكثر استخدامًا في معاجم الأطفال محاكاة لما هو موجود في الواقع، حيث يكسب الطّفل عادة الكلمات من خلال الشَّيء الخارجيّ، وربط الكلمة بما تشير إليه"[3].

مفهوم الصّورة:

تُعدّ الصّورة من أحدث الطّرق الخاصّة بالتّعبير والتّواصل، فهي علامات غير لغويّة يستثمرها المعجميّ في إضفاء المزيد من البيان والتوضيح خاصّة مع المداخل الدّالّة على المحسوسات من الأشياء في بناء التَّعرِيفات المعجميّة.

ولا شكّ أنّ فنّ التّصوير في مفهُومهِ العام فضاء شَاسِعٌ ومُتشعب للغاية، وإنّ نتاجَه خِصبٌ ومتنوعٌ تبعًا لتنوّعِ مجالاته، ولكن يَنبغي أن نُميّز هُنا بين نوعين من هذا النِتَاج، فهُناك ما أسَاسه قوة الخيال والشعور والعاطفة، مثل ما هو الحال في الأدب كالصّور البيانية الإيحائية، وهذا غير معتبر في بحثنا هذا، وهُناك ما أسَاسه أنامل اليد والأجهزة التّصويرية، كالكاميرا وغيرها.

ومصطلح الصّورة البيانية (Figure of speech) على حد تعبير "بيسمان حديمود" هو: "مصطلح مشترك لجميع أصناف الكلمات والعبارات غير العادية والمبهرة، والاختلافات التي

---

[1] الشير التهَالي: **تعريف المصطلحات في الفكر اللّسانيّ العربيّ"أسسه المعرفية وقواعده المنهجية"**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 70.

[2] ابنُ حَوِيلي الأخضر ميدْني: **المعجميّة العربيّة في ضوء مناهج البحث اللّسانيّ والنظريات التربويّة الحديثة**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010، ص: 234.

[3] أحمد مختار عمر: **صناعة المعجم الحديث**، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، علم الكتب، ط1، 1998م، ص 148.

بإمكانها أنْ تصيبَ كلّ وحدات النّظام اللّساني من خطوطٍ ووحداتٍ صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وتداولية. والتي تحدث بطريق التّكرار أو التّوسيع أو الاختصار أو الإحلال والإبدال "[1].

وأمّا مُخطّط الصّورة (Image schema) فهو كما يرى "دافيد كريستال": "نوع من بنية ذهنية أساسية في الدّلاليات الإدراكية. المخططات من قبيل المسار والمحتوى، تُذكر مثلًا لتكوِن بنيات قبل لسانية مؤسسة عن خبرات جسدية والتي تساعد على تشكيل القوالب اللسانية. إنها تستعمل لوصف دلاليات كلّ من: الفضاءِ و الزّمنِ وملامح التّعابير"[2].

والشّواهد الصّورية في مجال الدّراسات المعجميّة بشكل أدقّ يمكن أن نكتفي هُنا بما أورده **علي القاسمي** في كتابه «**علم اللغة وصناعة المعجم**» من تعريف عن «**فليمنغ** *Fleming*» الذي يعتبرها بأنّها: "تشكيلات الخطّ، والنقطة، والمساحة، أو أيّ تشكيل لهذه العناصر الثّلاثة يمثّل الحوادث، أو الذّوات، (أشخاصًا، وأماكن وأشياءً)"[3]، ووسّع **القاسمي** هذا التَّعرِيف بقوله: "يجب أن يتوسّع هذا التَّعرِيف ليشمل بعض الحالات المشتبه في نسبتها مثل أعمدة الأرقام، والأشكال الهندسية، والمعادلات الكيمائية، والخطوط والرسوم البيانية. كما يجب أن يتوسّع حدود الشّاهد الصُّوريّ في المعجم، ليشمل التوضيحات اللفظية التي ترافقه"[4]. وقد بيَّن ذلك في المعادلة التالية: "الشاهد الصُّوري= الرسم+ التوضيح اللفظيّ"[5].

أهميّة استخدام الصّورة في المعجم

لا شكّ أنّ الصّورة في الوقت الرّاهن أصبحت وسيطًا يَفرِض نفسه على منظومة التأليف المعجميّ أكثر من أي وقت مضى، وذلك لما تتميّز به من أهمّية بالغة لا يمكن أن تلبّيها اللغة اللّفظية. وتتجلّى أهميّة استثمار الصّورة في المعجم في كونها:

أولا:أداة فعّالة تساعد على تفسير معاني ومدلولات الألفاظ، كما تُسهم في تقريب مفاهيم، ومضامين الكلمات خصوصًا عند الصّغار؛ إذْ "بواسطتها تشترك أكثر من حاسّة واحدة في

---

[1] Hadumod Bussmann: **Routledge dictionary of language and linguistics**, 2006, p 410.

[2] A Dictionary of Linguistics and Phonetics 6th Edition. David Crystal © 2008, P 237.

[3] علي القاسمي:**علم اللغة وصناعة المعجم**، ص 151.

[4] علي القاسمي: **المرجع نفسه**، ص 151.

[5] علي القاسمي: **المرجع نفسه**، ص 151.

إدراك المعنى وتثبيته. ممّا يسمح لمستعمل المعجم بتشكيل تصوّر دقيق عن اللفظ انطلاقًا من النموذج المصوَّر"[1].

ثانيًا: إنّها "خير مُعين لمستعمل المعجم و مساعدته على فهم المقابل اللفظي والدّلالات التي تشير إليها"[2].

ثالثًا: ثم إنّها "تثير ولع القارئ وحبّ الاستطلاع لديه، وقد تبعث السّرور في نفسه أو تدفع عنه الملل. وبالتّالي تزيد من إقباله على المعجم وعلى تعلّم اللغة"[3].

رابعًا: كونها تعتبر ركنًا هامًا من أركان الفنّ المعجميّ، فالصّورة الجيّدة تغني عن مائة كلمة شرح"[4].

خامسًا: وأنّها "وسيلة تواصلية ضرورية كثيرًا ما تعوّض نقص التَّعاريف وقصورها. وفي كثيرٍ من الحالاتِ تصبح الصّورة هي الوحيدة القادرة على عرض الشّكل الأصليّ بأمانة تامّة"[5].

خصائص الصُّور والرُّسومات في المعجم:

إنّ قيمة التَّعريف الصُّوريّ الجيّد مرهونة بمدى اختيار المعجميّ للصّورة الملائمة له اعتمادًا على معايير تمكنّها من إضفاء المعنى وإثراء قيمة المعجم. ومن أهمّ هذه المعايير نذكر"[6]:

الإيجاز: ونعني به الاقتصار على العناصر الجوهرية التي تعين الفهم، واجتناب المعلومات التي تصرف انتباه المشاهد عن السّمات الأساسية المراد إيصالها.

الدقّة: ونعني بها التّعبير الموافق للواقع؛ أيّ أن تكون صورة الشَّيء المراد إيصالها كما هو متعارف عليه في الواقع. وإنّ سقف الدقّة مرهون بعلاقة الرّسم أو الصّورة بالموضوع. فالتّصوير الفوتوغرافي والألوان الطبيعيّة تضفي مزيدًا من دقّة الرّسم، في حين قد يكون الرّسم العاديّ أو المخطوط أكثر دقّة في بعض المداخل.

---

[1] محمد حاج هني: **الصّورة في المعاجم اللغويّة -أبعاد توظيفها وصعوبات استخدامها-**، المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، إعداد وتنسيق: منتصر أمين عبد الرّحيم وحافظ إسماعيل علويّ، كنوز المعرفة، ط1 الجزء الثّالث، 2016م، ص 81.

[2] محمد حاج هني: **المرجع نفسه**، ص80.

[3] أحمد محمّد المعتوق: **الحصيلة اللغويّة؛ أهميّتها -مصادرها- ووسائل تنميتها**، عالم المعرفة، الكويت، 1996م، ص 22.

[4] أحمد شفيق الخطيب: **القواميس فنّ وعلم**، مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق، م 78،ج:3، جمادي الأول 1424هـ، تموز (يوليو)، 2003م، ص 564.

[5] الجيلالي حلّام: **تقنيات التّعريف بالمعاجم العربيّة المعاصرة**، ص 236.

[6] ينظر: علي القاسمي: **علم اللغة وصناعة المعجم**، ص 155-158.

سهولة التّفسير:

ويتطلّب توفّر العناصر التالية:

أ- **وَثَاقَة الصّلة بالموضوع**، حيث تكون الصّورة انعكاسًا حقيقيًا للموضوع.

ب- **البساطة**، ونعني بها سهولة تفسير الرّسالة التي تؤدّيها الصّورة.

ج- **الضّبط**، وذلك باستخدام الوسائل الفعّالة المستخدمة في شدّ انتباه قارئ المعجم كالأسهم والأرقام والألوان والعناوين والمعلومات الثانويّة للصّورة.

د- **الكمال**، وهو ضرورة ربط الرّسم بمدخله كي لا يُعتقد أنّه منتمي إلى مدخل آخر.

هـ- **الوضوح**، وهو سهولة تمييز ملامح الشّاهد الصُّوريّ وفق معايير جودة الصّورة.

الدّراسة الإحصائيّة الوصفيّة التّحليليّة لمعجم الوسيط:

إنّ تتبّع تقنيّة التَّعريف الصُّوريّ في معجم ضخم وموسوعيّ إلى حدٍ ما كـ:"**المعجم الوسيط**" أمرٌ صعبٌ وعسيرٌ على الباحث، لاسيما إذا تنوّعت وتعدّدت أشكال هذه التقنيّة. لذا فإنّنا لجأنا إلى حصر البحث في نماذج مختارة من المعجم، على اعتبار أنّ منهجيّة التَّعريف الصُّوري منهجيّة واحدة في المعجم كلّه. واختيارنا **لهذه النماذج** دون غيرها من الشّواهد الصّورية الأخرى، لأنّنا نرى بأنّ أكثرها احتواءً لأكبر عدد ممكن من السّمات والعناصر التي تمنحها القدرة على زيادة إضفاء وتقريب المعاني لمن يطلبها، وما يقال عليها من نقدٍ وتحليلٍ يقال على غيرها من النماذج الأخرى.

كما أنّ اختيارنا **للطّبعة الرّابعة** (لمَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة (2004م)، باعتبارها آخر طبعاته، لما يميّزها عن سابقاتها من استعمال اللون للمداخل، وكذا توظيف الصُّور والرُّسومات البيانيّة وغير ذلك، بحيث يُمكننا القول إنّ الطّبعة مُسايرة لأنظمة الطّباعة في عصر الحوسبة. وهذا ما سيتيح وييسّر لنا المساعدة على الوقوف على هذه التقنيّة واستقرائِها بغية الوصف والتّحليل والتّعليل. وقد جرت العادة أنّه إذا تعدّدت إصدارات الكتاب يشتغل على الإصدار الأخير، لأنّه أكثرها إثراءً وتحقيقًا وتمحيصًا وتدقيقًا، ولما فيه من إعادة النّظر والتوجيه.

إنّ المعجم الوسيط نتاج جهود جماعية من علماء مختصّين تحت رعاية هيئة علميّة رفيعة المستوى(مَجْمَع اللغة العربيّة)، وقد رجت هيئة صناعة هذا المعجم أن "يقدّم إلى القارئ

المثقّف ما يحتاج من مولّدات لغويّة، في أسلوبٍ واضحٍ، قريب المأخذ؛ سهل التّناول"[1]. ولعلّ ذلك يعود لاعتمادها معايير عالية الجودة في مجال الصّناعة المعجميّة الحديثة لاسيما تقنيّة الصُّور والرُّسومات. يقول **أبو لاجي عبد الرزّاق**: "فلعلّ هذا المعجم خير ممثّل متاح إلى اليوم للمعجم اللغويّ العربيّ العامّ؛ فهو باستهدافه لفئة المثقّفين خرج عن إطار المعجم المدرسيّ سواء لأبناء اللغة أو للنّاطقين بغيرها، وباقتصاره على المواد اللغويّة سَلِمَ من حمل خصوصيّات المعجم الموسوعيّ الكبير"[2]، والذي قد يشمل العديد من المجلّدات لضخامة حجمه، والذي كثيرًا ما ينفر منه مستعمل المعجم. فقد "كان ذلك عبئًا أثقل كاهل المعجم العربيّ"[3].

كما يُعدّ **المعجم الوسيط** "أوّل حلقة في التأليف المعجميّ الجماعيّ عند العرب"[4]، كونه يحمل "الاستجابة العمليّة لدعوات التجديد، منهجيًا وموضوعيًا، في التصنيف المعجميّ، الذي يجب أن يتناسب والمعطيات العصريّة في تأليف المعاجم"[5]. وذلك في ظلّ تطوّر وتشعّب تقنيات التأليف على غرار تقنيّة التَّعريف الصُّوريّ.

ويُعدّ هذا المعجم أنموذجًا جديدًا في مسار الدّراسات المعجميّة العربيّة الحديثة، مشكّلًا بذلك محطّة هامّة بالنسبة لما توصّلت إليه الأبحاث اللّسانية الحديثة. فهو باكورة المعاجم اللغويّة العربيّة الحديثة، حيث يمتزج فيه التمسّك والاقتداء بالموروث التّراثي والمحافظة عليه من جهة، ويحاول في الوقت نفسه مواكبة التحوّلات والتطوّرات اللسانية والتّقنيّة الحديثة من جهة أخرى. لذا فإنّ الدّارس أو الباحث وهو يتعامل مع هذا المعجم في متنه، يَلْحَظ بوضوح هذا التحوّل الحاصل. الأمر الذي يساعد في المزيد من التتبّع والإحصاء، بل ويبعث في نفسية الباحث الأمل أكثر للإقبال على خوض غمار الدّراسة والتعمّق في أغواره.

---

[1] مَجْمَع اللغة العربيّة: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، ط04، (2004م-1425هـ)، مقدّمة الطّبعة الأولى، ص: 26.

[2] علي أبو لاجي عبد الرزاق **إشكاليّة التّعريف في المعاجم العربيّة الحديثة**، مذكّرة ماجيستر، جامعة الملك سعود، عمادة الدّراسات العليا، كلّية الآداب، قسم اللغة العربيّة وآدابها، إشراف، عبد الله العويشق، المملكة العربيّة السعوديّة، (1432/1431هـ)، ص 125.

[3] فضيلة دقناتي: **التّعريفات والشّروح في المعاجم العربيّة "لسان العرب والمعجم الوسيط -عيّنة-"**، إشراف: أحمد جلايلي، مذكّرة ماجيستر في اللغة العربيّة، كلّية الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012م، ص: 152.

[4] عبد الكريم مجاهد مرداوي: **مناهج التّأليف المعجمي عند العرب معاجم المعاني والمفردات**، دار الثّقافة، عمّان، الأردن، ط1، 2010م، ص 474.

[5] عبد الكريم مجاهد مرداوي: **المرجع نفسه**، ص 474.

ويعتبر «المعجم الوسيط» لمَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة؛ -عيّنة الدّراسة- المشروع الرّائد الذي تفرّد به في خصوصياته فيما يتعلّق باستخدام الشّواهد الصّورية.

لقد أدرك فريق "**مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة**" ما للصُّور والرُّسومات من الأهمّية البالغة فيما قد تعْجز أو تقصُر عنه الوحدات اللّسانية في تعريف المداخل بالقدر الذي يفيد تصوّر الشَّيء المعرّف في ذهن مستعمل المعجم. ولذلك نجده يلجأ إلى استخدام هذا النوع من التَّعريف بكثرة؛ إذْ "لم يعد استخدام الصّورة في المعجم وقفًا على التجميل وتشويق القارئ، بل أصبح وسيلة تواصليّة ضروريّة، كثيرًا ما تعوّض نقص التَّعاريف وقصورها"[1]، مشيرًا بذلك لأهمّية الصّورة في بناء التَّعريف.

ولمّا كانت الصّورة في كثيرٍ من المواطن -مواطن عرض المعنى- هي الآلية الوحيدة القادرة على إبلاغ فحوى الرّسالة بامتياز"[2]. ولذلك أولاها **فريق مَجْمَع اللغة العربيّة** اهتمامًا كبيرًا من خلال كثرة استعمالها كما هو مُبين في الجدول الآتي:

جدول رقم 01 بيانيّ إحصائيّ لواقع استثمار الصُّور والرُّسومات في الوسيط

المعجم	عدد الصّور والرُّسومات في معجم الوسيط			
	الطّبعة01 (1960م)	الطّبعة02 (1972م)	الطّبعة03 (1985م)	الطّبعة 04 (2004م)
عدد الصّور	600	235	848	848
عدد المداخل	20000	4660	46600	30000
عدد الصّفحات	1100	1126	1126	مقدّمة32،الأبواب1067 =1099
نسبة التّغطية	% 3	% 0.28	1.82%	% 2.83

يتّضح من خلال هذا الجدول أنّ المَجْمَع قد عوّل على هذه التّقنية في الطّبعة الأولى، ثمّ تراجع عنها قليلًا في الطّبعة الثانية،(بحسب الطّبعة التي بحوزتنا الصّادرة عن الإدارة العامّة للمُعجمات وإحياء التّراث، قام بإخراجها كلّ من إبراهيم مصطفى،أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر ومحمّد علي النجّار، بالقاهرة، جزءين في مجلّدٍ واحدٍ). وقد يكون سبب ذلك

[1] جيلالي حلام: **تقنيات التّعريف بالمعاجم العربيّة المعاصرة**، ص 236.
[2] ينظر: جيلالي حلام: **المرجع نفسه**، ص 236.

التراجع نتيجة التكلفة في المصادر المالية، وبخاصّة في الصّور الملوّنة، ثم أعاد استثمارها من جديد وبنسب عالية في الطّبعة الثّالثة والرّابعة كما هو مبيّن في الجدول رقم (02).

هذا وقد ذكر **أحمد مختار عمر** في كتابه «**البحث اللغوي عند العرب**» أنّ المعجم الوسيط "يشتمل على نحو ثلاثين ألف مادّة ومليون كلمة"[1]. يمثل ذلك مجموع المداخل الرّئيسية والفرعيّة. ويرمز للرئيسية باللّون الأزرق، والفرعية باللّون الأحمر، مصنّفةً في (28) بابًا بداية من (الهمزة) إلى (الياء)، مرتّبةً في ثلاثة أعمدةٍ، موزّعة على(1067) صفحة. وقد احتوى المعجم في طبعته الرّابعة على **ثمانِمائة وثمانٍ وأربعين (848)** صورةً. كما يوضحه الجدول(02) التالي:

جدول رقم (02) يبيّن توزيع "الصُّور والرُّسومات" حسب حروف الهجاء في الوسيط

حروف الهجاء	عدد الصّور المحتواة	رقم الصّفحة في المعجم	حروف الهجاء	عدد الصّور المحتواة	رقم الصّفحة في المعجم	حروف الهجاء	عدد الصّور المحتواة	رقم الصّفحة في المعجم
الهمزة	28	35-01	ز	26	410-387	ق	95	771-709
ب	39	80-35	س	51	469-410	ك	70	808-771
ت	11	92-80	ش	28	504-469	ل	24	850-809
ث	04	103-92	ص	18	531-504	م	38	894-851
ج	06	150-103	ض	10	548-532	ن	84	967-895
ح	27	213-150	ط	32	576-449	ه	23	-968 1005
خ	24	297-213	ظ	04	578-575	و	32	-1005 1061
د	26	307-297	ع	49	642-579	ي	06	-1062 1067
ذ	07	318-307	غ	13	669-642	////	/////	
ر	40	386-319	ف	33	709-670	////	/////	
		المجموع الكلّي للصّور والرُّسومات في المعجم الوسيط=					**848**	

يعكس هذا الجدول:

[1] أحمد مختار عمر: **البحث اللغويّ عند العرب**، عالم الكتب العلميّة، القاهرة، مصر، ط6، 1988م، ص 323.

أولًا: المساحة التي تحتلّها هذه التقنيّة في تغطية مداخل المعجم، حيث بلغ عدد المداخل التي دعّمت تعريفاتها بالصُّور والرُّسومات **الثمانِمائة والثماني والأربعين** (848) مدخلًا من مجموع مداخل المعجم المقدّرة بـ (30.000). ما نسبته (2.82%). وبهذا القدر تكون هذه التّقنيّة -التي يمكن القول بأنّها تقنيّة جديدة مستحدثة في مجال الصّناعة المعجميّة- قد نالت حظّها ضمن منظومة التَّعارِيف التي استخدمها مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة لعرض معاني ومدلولات مداخل معجمه.

وربّما يعود سبب انتشار هذه التّقنيّة لما يميّزها من قدرة تمثيليّة لذات الشَّيء المعرّف في ذهن القارئ اعتمادًا على مدركاته القبلية كما هو في الواقع. فتتقابل بذلك الصّورتان: التشكيلة والذّهنية، فيحصل الإدراك. غير أنّ هذا الإدراك ليس دائمًا مؤكّدًا. فمَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة في هذه الحالة استند على:

أ/-: الرّصيد المعرفيّ الذّهنيّ الذي يمتلكه مستعمل المعجم من صور ذهنيّة مقابل صور المعجم. فقد تكون الصّورة التي عرضها عليه المعجم لأجل حصول أو تقريب معنى ما، ليس لها مقابل في ذهنه، كونه لم يتعرّض لها أو لم يشاهدها من قبل، ممّا يجعله عاجزًا عن تفسير وإدراك هذه الصّورة.

ب/-:الصّورة الحقيقية للمعرّف: ثمّة فرق بين الرُّسومات والأشكال التّقريبيّة التي كثيرًا ما تفتقد لبعض السّمات الأساسيّة، ممّا يؤدّي إلى الغموض والالتباس في إدراك الصّورة الحقيقية النّقيّة للمعرّف من جميع الشّوائب التي تميّزه عمّا يماثله أو يشاكله في بعض الصّفات المشتركة. وهذا ما وقع فيه مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة في كثير من الحالات لبعض المداخل المدعّمة بهذه التّقنيّة.

ج/-:إنّ تقنيّة التَّعرِيف الصُّوريّ تقنيّة مساعدة على استيعاب مدلول المدخل، فلا يمكنها الاستغناء عن التَّعرِيف اللّفظيّ.

ثانيا: يعكس هذا الجدول أيضًا اهتمام المَجْمَع وحرصه على تتبّع كل ما هو مستحدثٍ علميًّا كان أو تقنيًّا من أجل مواكبة التطوّر الحضاريّ والتّكنولوجيّ خصوصًا ما تعلّق بالمصطلحات العلميّة والفنّية، التي أورد لها صورًا اعتقادًا منه أنّها جديدة لدى مستعمل المعجم.

ولكن بالرّغم من هذا الاستثمار لهذه التّقنيّة؛ تبقى هذه النسبة (2.82%) ضئيلة جدًا إذا ما قُورِنت برصيده المفرداتي.

ثالثا: يعكس هذا الجدول أيضًا منهجيّة وضع صُورٍ لما يحتاج توضيحها إلى تصوير، مراعاةً لطبيعة المداخل، حيث نجد أعلى نسبة توظيف للصّور في باب (القاف) بـ95 صورة، وأدناها

بـ04 صورٍ في كلٍ من بابي (التّاء والضّاد)، ويعود هذا التفاوت في استخدام هذه التّقنيّة للمنهجيّة التي قام عليها المعجم، حيث انتهج مبدأ تصوير كل مدخل يحتاج توضيحه إلى تصوير.

كما توقِفنا قضيّة تتبّع الصّور في المعجم إلى سُبل استخدامها، فتارة نجدها محاذية للتّعريف مثلما هو الحال مع مداخل كلّ من [الإبريق، الثوم، الإجاص، و الأختوبوط، الباذنجال وغيرها]؛ وتارة جاء وضع الصّورة في وسط التَّعرِيف اللفظيّ كما في مداخل كل من [الثعبان، التمساح، الإبزيم، التُّرس، الجراد، والجمل]؛ وتارة أخرى عقب كلّ تعرِيف كما في مداخل كل من [البقر، التفّاح، الثُّريا، والحرباء].

ومن خلال تتبّعنا للصّور التي أثبتها المعجم أيضًا، وجدنا أنّ منها ما جاءت داعمة ومعزّزة لتعريف كلمة المدخل؛ فهي خاصّة بالمدخل المراد تعريفه. ومنها ما جاءت داعمة ومعزّزة لبنية التَّعرِيف اللّسانية؛ أيّ داعمة لكلمةٍ أو أكثرٍ من الكلماتِ التي يتشكّل منها التَّعرِيف في حدّ ذاته.

وممّا لاحظناه أيضًا ما يلي:

-أنّ عدم اعتماد منهجيّة لمقاييس أحجام وأشكال الرُّسومات والصّور، أفقدها الدقّة والإيضاح. وانعكس ذلك على مستعمل المعجم في رؤية تفاصيلها. ويبدُو ذلك واضحًا من خلال النّماذج المدروسة والمحصاة من الطّبعة الرّابعة التي ضمّنها (848) صورة، والتي يعتقد أنّ صاحب المعجم قد التزم فيها أبعاد الصّورة بحسب ما يوازي مقدار حجم بنيّة التَّعرِيف اللفظيّة للمعرّف. وقد جاءت أغلب هذه الصّور بحجم صغير لا يتجاوز [1سم-4سم]. هذا الحجم غير قادر على إظهار تفاصيل الشَّيء المصوّر، ولولا وضع الصّورة المحاذي للّتعريف لتوهَّم مستعمل المعجم صورة غير صورة الشَّيء.

-أنّ أغلب هذه الصّور التي أثبتها الوسيط عبارة عن تخطيطات ورسوم تقريبية، وليست صورًا شمسية.كما أنّها غير ملوّنة بالألوان الطبيعية؛ بل اكتفى باللّونين الأسود والأبيض فقط. وقد أوردها في أرضيّة ملوّنة أيضًا باللون الأسود والأبيض، ولم يستعمل الألوان الطّبيعيّة الأخرى ما عدا اللون الأزرق والأحمر، وأنّ هذا اللون خاصّ بكتابة المداخل، وليس للصور. ومن الطبيعي أنّ هذا الاقتصار على اللونين حدَّ من وضوح صورة الشَّيء المعرّف، وربّما يعود سببه تكلفة استعمال الصُوّر الملوّنة المادّية.

-أنّ توظيف المعجم صورًا لبعض الكلمات البسيطة التي لا تحتاج إلى تقديم صورة لتجسيدها، لكون مستخدم المعجم يدرِكها لبساطتها دون الحاجة لإرفاق صورتها، ومن ذلك مثلا: صورة

البقرة، التفّاحة، صورة الأب، أو صورة اليد لتوضيح أصبع الإبهام، وصورة الأذن، والدّرّاجة والبرتقال...الخ، والتي بإمكانه الاستغناء عنها. عكس ذلك أغفل المعجم العديد من الكلمات التي هي في حاجة ماسّة إلى تقديم صور تُقرّب الوصف وتجلي الغموض عنها. ومن هذه الكلمات نذكر: الخليّة، المحرّك...الخ. ولاشكّ أنّ هذه المداخل تبدو في الحقيقة عسيرة الفهم على مستعمل المعجم، وأنّ استيعابها ضئيل جدًا ونسبي؛ وإن اتّسمت تعريفاتها بالموسوعيّة فهي تبقي في حاجة ماسّة إلى رسومات تمثيليّة، أو صور فوتوغرافية لتساعد على تقريب معانيها في ذهن مستعمل المعجم حتَّى يُحصِّل إدراكها.

-أنّ عدم الرّبط بين التَّعريفات والصّور الموضّحة لها، ربطًا واضحًا، في بعض المواطن. وهذا من شأنه أن يُوقِعَ مستعمل المعجم في الالتباس ويُفَوِّت فرصة الانتفاع بهذه الصّور. وهذا الذي حدث مع المدخلين: [**أَبْطَخَ/البِطِّيخ**]؛ فالأوّل فِعْل، والثّاني: اسم لنبات عشبيّ، كما في قوله: "**أَبْطَخَ** كَثُر عنده البِطِّيخ"[1]، وقوله: "**البِطِّيخ** نبات عشبيّ حوليّ منسطح يزرع ثماره في المناطق المعتدلة والدّافئة، وهو من الفصيلة القرعيّة، وثمرته كبيرة وكروية أو مستطيلة، ومنه أصناف كثيرة. وبلغة أهل الحجاز: الطِّبِّيخ"[2]. أورد المعجم صورة (**البِطِّيخ**)، بجانب التَّعريف المخصّص للمدخل(**أَبْطَخَ**) بعيدةً عن التَّعريف المخصّص لمدخل (**البِطِّيخ**) علمًا أنّ هناك مدخلًا آخر فاصلًا بينهما. فهذا الوجود لصورة بعيدة عن موقعها من شأنه أن يوقع الباحث في إشكال"[3]، خصوصًا إذا كان مستعمل المعجم ذا مستوى محدود المعرفة، فلا يميّز بين التَّعريفين أيهُما يحتاج إلى أن يُعزّز بالصّورة. فهو عندما يصادفه التَّعريف الأول الذي وُضِعَ لِتّعريف مدخل(**أَبْطَخَ**) التي تعني قام بفعل الطّبخ، يتبادر إلى ذهنه بأنّ هناك خطأ وقع فيه صاحب المعجم. ولا يتبادر إلى ذهنه بأنّ هناك تعريفًا آخر للصّورة فيبحث عنه.

-إهمال السّمات الأساسية في الكثير من الصّور؛ فصورة:طائر "**البط**" الواردة في المعجم تختلف في بعض السمات عن صورته الملتقطة من بعض المجلّات العلميّة. (ويكمن الفرق الناقص في الصّورة الأولى في إظهار وتوضيح مميّزات الشكل الخاص بالرجلين اللتين على شكل منفرج مملوء الأظلاف، والتي تستعمل في التجديف في الماء. فالسّمات الناقصة في الصّورة هي على شكل الرجلين المتصفحين (على شكل صفيحة).

---

[1] مَجْمَع اللغة العربيّة: **المعجم الوسيط**، مقدّمة الطبعة الأولى، ص 19.

[2] مَجْمَع اللغة العربيّة: **المصدر نفسه**، مقدّمة الطبعة الأولى، ص 19.

[3] ينظر:صبحي حموي: **المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة**، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط3، 2008م، ص: 153-154.

الصّورة الموردة في المعجم	الصّورة الملتقطة من المجلات العلميّة

كما يمكن لهذه الصّورة أنّ تحدث ثلاثة التباسات في ذهن مستعمل المعجم:

أولا: تقارب شكل الصّورة من شكل طائر "**التم**"من ناحية صفيحة الرّجلين، والمنقار،وصورة الرّأس والأذنين والعين.

ثانيًا:تقارب شكل الصّور من شكل طائر"**البَجَعَ**" في بعض أشكاله، إلا في المنقار في حجم طوله وعرضه.

ثالثًا: تقارب شكل الصّورة من شكل طائر "**الإوز**" في البطن والرّجلين، وصورة الرّأس والأذنين والعين.

الصّور التي يمكن أن تحدث التباسًا في مفهوم طائر "**البطّ** " الصّور مأخوذة من http://www.mekshat.com)			
التمّ	البجع	الإوز	

واعتبار المعجم معاصرًا بامتياز؛ وأنّ هذه الطّبعة الرّابعة صدرت في (2004) مع ذلك لم يستخدم المعجم الصّورة بالتّقنيات التصويرية الحديثة لطائر "**البطّ**". فالصّورة الواردة في التدليل على شكل طائر **البطّ** لا تستجيب لجميع المعطيات التَّعريفاتيّة التي يحتاجها مستعمل المعجم في ضبط صورة الطّائر ومعرفته بشكل دقيق. ولو استخدمت الصّورة بتقنياتها الحديثة لكانت أنجع في إبلاغ الشكل الدّقيق لهذا الطائر.

-إهمال السّمات الأساسية أيضًا في صورة:طائر "**البومة**" الواردة في المعجم تختلف في بعض السّمات عن صورته الملتقطة من بعض المجلّات العلميّة (السّمات في شكل السّاقين الطّويلين والذّيل القصير والعينين البارزتين...إلخ). فالمؤلّف لم يوظّف الجانب التطوّري التقني للتّصوير الذي يضبط تعاريف المداخل، ويمكّن من معرفة طائر "**البومة**" بجميع مواصفاته. فصاحب

المعجم وقف على تكرير صُور المعاجم القديمة التي استخدمت الأشكال التقريبية في كثير من الاستدلالات التَّعريفية، وهو ما يشكل التباسًا في التصوّر مع طائر أخر، وهو "**الصّقر**" أو طائر "**الببغاء**"،ومنه يقع الالتباس في إطلاق الاسم على الطّائر نفسه. والفرق في الصّورتين يتمثّل في:

الصّورة الموردة في المعجم	الصّورة الملتقطة من المجلّات العلميّة مأخوذة من مجلة من الموقع الإلكتروني *http://www.shakwmakw.com*

أولا: الصّورة الأولى (الواردة في المعجم) شكل الرّأس يظهر بعيدًا نوعًا ما عن البطن، والساقين قصيرين نوعًا ما مع اقتراب الحجم في التصوّر الذّهني بحجم **الصّقر**، الذي يتوضّح ويتبيّن أكثر مع شكل العينين البارزتين، فعدم الضّبط في نقل الصّورة يؤدّي إلى عدم ضبط تصوّر المفهوم عند مستخدم المعجم.

ثانيا: الصّورة الثانية: (الملتقطة من مواقع المجلّات العلميّة) تظهر طائر "**البومة**" بكل أبعاده الشّكلية الحقيقية دون أدنى التباس، ما يعطي التصوّر التام له في ذهن المُسْتَخْدِم.

الصّور التي يمكن أن تحدث التباسًا في مفهوم طائر "البومة" الصّور مأخوذة من (http://www.mekshat.com)	
الصّقر	الببغاء

-إهمال السّمات الأساسية أيضًا في صورة: حيوان "**الشَّبْهَمُ**"، ويمكن التمثيل لذلك من خلال الصّورتين الآتيتين:

الصّورة الموردة في المعجم ص:498	الصّورة الملتقطة من المجلّات العلميّة مأخوذة من مجلّة من الموقع الإلكتروني http://www.zahran.org		

فالصّورة الواردة في المعجم والتي تظهر جسمه مغطىً بالأشواك تجعله يشبه في مظهره حيوان **القنفذ**. فتشكل بذلك التباسًا لمستعمل المعجم في إدراك صورة "**الشَّيْهَمُ**" الحقيقة. فالصّورة الواردة في التدليل على شكل حيوان"**الشَّيْهَمُ**" لا تستجيب لمواصفات فنّ التّصوير العصري الذي يساعد على ضبط مفهوم صورة "**الشَّيْهَمُ**" ومعرفته بشكل دقيق، على غرار الصّورة الملتقطة من المجلّات العلميّة التي تظهر جميع مواصفاته وأبرزها: الأرجل الأربعة، نصف جسمه المغطّى بالأشواك الطّويلة بلونٍ أسود يميل إلى البياض مع القليل من البيج، وبمتوسّط طوله 19سم وطول ذيله 2.5 سم، أمّا الوجه فهو طويل على غرار القنفذ، أذناه الطويلتان تساعدانه على تبريد حرارة جسمه وتزيد من حساسيتهما للأصوات البعيدة. فالصّورة بهذه المواصفات تجعلنا ندرك التصوّر التامّ لهذا الحيوان "**الشَّيْهَمُ**" دون أي التباس مع ما يشاكله أو يماثله من الحيوانات الأخرى كالقنفذ، والضربان وغيرهما.

فالمَجْمَع أعاد استثمار الصّور القديمة التياكتفت باللون الأبيض والأسود في الاستدلال، ممّا أفقدها القدرة على الإيضاح وتبليغ إفادة التصوّر.

-إهمال السمات الأساسية أيضًا في صورة: "**البارجة**" الواردة في المعجم تختلف في بعض السمات عن صورته الملتقطة من بعض المجلات العلميّة. فالمَجْمَع هُنا اكتفى بإعادة تكرار صورة **البارجة** المنجزة باستخدام الأشكال والرّسوم التقريبية، ولم يستخدم فنّ التّصوير العصريّ، الذي يمكّننا من معرفة "**البارجة**" بجميع مواصفاتها، وهو ما يشكّل التباسًا في التصوّر مع سفن حربيّة أخرى، فضلًا عن سفن نقل البضائع، والركّاب ونحو ذلك. والفرق في الصّورتين يكمن في:

الصّورة الموردة في المعجم	الصّورة الملتقطة من المجلّات العلميّة مأخوذة من مجلّة من الموقع الإلكتروني http://www.shakwmakw.com

أولًا:الصّورة الأولى (الواردة في المعجم) لم تظهر بعض الجزيئات التي تتشكّل منها هذه **البارجة** حتَّى يتمكّن مستخدم المعجم من معرفة الشّكل العامّ لهذه الآلة الحربية. مع اقتراب الحجم في التصوّر الذّهنيّ بحجم السّفن الأخرى، الذي يتوضّح ويتبيّن أكثر مع الشّكل العام للسّفينة عمومًا،وبخاصّة (**المُدَرَّعةُ**). فعدم الضّبط في نقل الصّورة يؤدّي إلى عدم ضبط تصوّر المفهوم عند مستخدم المعجم.

ثانيًا: الصّورة الثانية: (الملتقطة من مواقع المجلّات العلميّة) تظهر سفينة "**البارجة**" بكلّ أبعادها الشّكليّة الحقيقيّة دون أدنى التباس، وهو ما يعطي التصوّر التّام له في ذهن المُسْتَخْدِم.

ولو استخدمت الصّورة بتقنياتها الحديثة وذلك بالوقوف على الأجزاء التركيبيّة لهذه **البارجة**، وبيان مواصفاتها، وذكر مسمّياتها، وكذا بيان الأجهزة المزوّدة لها من مدافع، وصواريخ، ورادارات، وغيرها، لكانت أنجع في إبلاغ الشّكل الدّقيق لهذه **البارجة**.

- إهمال السّمات الأساسية أيضًا في صورة: "**السَّرْج**"، رَحْل الدَابَّةِ. ويكمن التّمثيل لذلك من خلال الصّورتين الآتيتين:

الصّورة الموردة في المعجم ص:498 باب الشين	الصّورة مأخوذة من مجلّة من الموقع الإلكتروني http://www.zahran.org

فالصّورة الواردة في المعجم والموظّفة للتّدليل على الشّكل العامّ **للسَّرْجِ** غير كافية على ضبط المفهوم، ليس فقط لاقتصارها على اللون الأبيض والأسود ولا لعدم استخدام الجانب

التّقنيّ المعاصر الكفيل بعرض تفاصيل الشَّيء المعرّف فحسب؛ بل في عدم عرضها فوق ظهر الفرس وهو يمتطيها،على غرار الصّورة الملتقطة من المجلّات العلميّة والتي تمكّننا من إدراك تصوّر المفهوم بمجرد رؤية الفرس لاقتران هذا الأخير بهذا اللّباس.

- إهمال السّمات الأساسية أيضًا في صورة: آلة "**المَطبعة**" ويُمكن التمثيل لذلك من خلال المقارنة بين الصُّورتين التاليتين:

الصّورة الموردة في المعجم	الصّورة (مطبعة أو ماكينات تصوير) مأخوذة من مجلة من الموقع الإلكتروني http://www.zahran.org
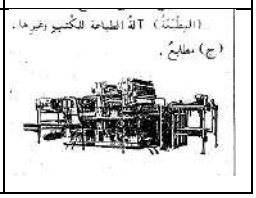	

فالصّورة الواردة في المعجم عبارة عن رسم قديم، ليس بإمكانه تقديم مدلول هذه الآلة، ولا بوسعه إفادة تصوّر مفهومها في الذّهن، لافتقاده معايير وأساليب فنّ التّصوير العصري، عكس الصّورة الثانية الملتقطة من المجلّات العلميّة، والتي تظهر آلة "**المَطبعة**" في أحدث صورها الحقيقيّة النّقيّة من كلّ الشّوائب، وهو ما يساعد مستعمل المعجم على إدراك التصوّر الذّهنيّ التّامّ له لهذه الآلة.

من خلال هذه النّماذج الصّورية المنتقاة، يتبيّن لنا أنّ المعجم الوسيط، بالرّغم من أنّه معجم حديثٌ عصريّ على صعيد التأليف والطّباعة؛ إذْ إنّ جميع طبعاته صدرت في السنوات القليلة الماضية، ومع ذلك لم يستخدم تقنيات التّصوير الحديثة، واكتفى باستعمال صور قديمة أقل ما يقال عنها إنّها رسُومات تقريبيّة غير قادرة على تبليغ تصوّر الشَّيء في ذهن مستخدم المعجم.

ويبدُو أنّ الصّور المثبتة في المعجم لا تقف على تحديد الشّكل الصّحيح والحقيقيّ للمعرّف المقصود، على عكس الصّور الثّانية الملتقطة من موقع المجلّات العلميّة الصّوريّة والتي جئنا بها للمقارنة، فتحدّد مباشرة الشّكل والنّوع والجنس إن كان مثلًا حيوانًا أو نباتًا، ومنه تحدّد المعرفة التامّة لهذا المقصود. كما يُمكنها أيضًا أن تقف على تفاصيل وجزئيات المعرّف. فغياب استعمال التّقنيّة المعاصرة للصّورة أحدث عجزًا بين التَّعريف للمدخل المعجميّ والضّبط بالتصوّر الصّحيح. فالصّور القديمة أحدثت تضليلًا في كثيرٍ من المواضع لعدم تجانسها مع التَّعريف وفي ظلّ عدم اعتمادها التقنيات المعاصرة في مجال التصوّر.

وقد سجّل **الجيلالي حلاّم** جملة مآخذ نذكر من بينها:"[1] لم يتّبع المعجم منهجيّة علميّة دقيقة في إثبات الصّور والرّسوم التوضيحية، سواء من حيث العدد أو من حيث النّوعيّة والأهمّية، باعتبارها وسيلة مساعدة في تعريف المداخل الصعّبة التحديد. كما جاءت أغلب الرّسوم في شكل تخطيطات تقريبيّة ورسوم يدويّة ممّا أدّى إلى الإخلال بالشَّيء المصوّر. وقد أثبت المعجم نسبة كبيرة من الرسوم الخاطئة وغير الدقيقة التي تعبر عن مسميات أخرى غير المقصودة في التَّعريف، ممّا أدّى إلى التداخل والتكرار، -في العديد من المواضع-. ولم يعتمد المعجم على الصّور المركّبة والمتسلسلة والملوّنة أصلًا. كما أهمل المعجم كثيرًا من الصّور الجديرة بالإثبات، كصور الخليّة، والمحرّك، والعين ونحوها، وأثبت بعض ما يمكن الاستغناء عنه كالشّوكة والموصل والمرضعة ونحوها. وقد جاءت نسبة الصّور والرّسوم التي أثبتها المعجم ضئيلة جدًا لا تتناسب مع رصيده المفرداتيّ.

خلاصة:

إنّ ممّا يشوب المعاجم العربيّة الحديثة عدم استفادتها من تكنولوجيا العصر، مثلما هو الحال في المعاجم الغربيّة من استخدام الصّور الحديثة بمختلف الألوان والتقنيّات الدّقيقة التي عرّفتها الصّورة الفوتوغرافية؛ إذْ إنّ تقنية استخدام الصّورة في تعريف مداخل المعجم ذات أهميّة بالغة من خلال إزالة الغموض والزيادة في الإيضاح. وهي وسيلة مساعدة في أيدي واضع المعجم إذا صادف صعوبةً أو عجزًا في وضع تعريف لفظيّ جامع مانع لأحد المداخل في تحديد مفهومه. كما أنها تقنيّة ضروريّة في صناعة أي معجم يرتقي أو يهدف إلى الحداثة والعصرنة، وبالأخصّ المعاجم الخاصّة الموجّهة إلى فئة معيّنة من المتمدرسين والمتعلّمين.

إنّ الصّورة في أداء وظيفتها في المعجم تبقى عاجزة أمام التَّعريف اللغوي، خاصّة في المداخل الحسّية ومداخل الماهية، وتلك المجرّدة التي لا يمكن للصّورة بأيّ حال من الأحوال أن تحيط بمعنى المداخل إحاطة وافية. كما أنّ هناك شروطًا في توظيف هذه التّقنيّة، على واضِع المعجم أن يتقيّد بها من أجل إدراك الغاية التي يهدف إليها المعجم كونها وسيلة مساعدة وليست هدفًا يسعى إليه المعجميّ.

وفي الأخير نستطيع القول إنّه بالرّغم من مظاهر الارتباك-السّلبيات-التي وقفنا عليها في هذا الشأن. وإنَّ استخدام "المَجْمَع" لهذا النّوع من التَّعريف وبهذا الحجم، ليدل دلالة واضحة على أنّه مُطَّلِعٌ على ما جادت به النظريّات اللّسانية الحديثة في أحدث تطوّراتها خصوصًا في

[1] جيلالي حلام: **تقنيات التعريف بالمعاجم العربيّة المعاصرة**، ص: 247-248.

مجال التّأليف المعجميّ المعاصر في ظلّ تطوّر المعجميّة المعاصرة وتشعّب العلوم والتّقنيّات المختلفة، وخصوصًا المجال الصُّوريّ والطّباعة. فالصّورة تبقى الوسيلة الوحيدة القادرة على عرض الشّكل الأصليّ بصدق في حالة عجز أو قصور العبارات في التّعبير عن التَّعريف.

وإنّ استثمار الصّورة في المعجم الوسيط بالرّغم من كلّ هذه النّقائص التي أشرنا إليها سابقًا قد أسهم كثيرًا في إضفاء طابع العصرنة للمعجم لينحو منحى القواميس الغربيّة المعاصرة، فضلًا عن قدرته على تزويد مستعمل المعجم بتجسيد وتمثيل معنى المعرّف بواسطة هذه التّقنيّة. وبذلك فقد تجاوز أساليب التّقليد التي عوّدتنا عليها المعاجم العربيّة القديمة.

ومن أبرز النتائج التي توصّلنا إليها بعد الغَوْص في ثنايا هذا المعجم –**الوسيط**- والانفتاح أيضًا على بعض المعاجم التي عاصرته، أنّ مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة قد اجتهد كثيرًا في استثمار هذه التّقنيّة وأجاد التحكّم في استعمالها إلى حدٍّ كبيرٍ ، وانعكس ذلك على قيمة المعجم ومكانته ورِفْعَةَ شأنِه وذُيُوعًا في السّاحتين العلميّة والثّقافيّة على الصّعيدين العربيّ والعالميّ.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية

- ابنُ حَوَيلي الأخضر ميدْني: المعجميّة العربيّة في ضوء مناهج البحث اللّسانيّ والنظريات التربويّة الحديثة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010.
- أجموعي تارش، لبوخ بوجملين: المعجم التّعليميّ: مفهومه، خطوات صناعته، المعلومات المقدّمة فيه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، مجلّة الأثر، العدد 23، 2015م.
- أحمد شفيق الخطيب: القواميس فنّ وعلم، مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق، م 78،ج:3، جمادي الأول 1424هـ، تموز (يوليو)، 2003م.
- أحمد محمّد المعتوق: الحصيلة اللغويّة؛ أهميّتها -مصادرها- ووسائل تنميتها، عالم المعرفة، الكويت، 1996م.
- أحمد مختار عمر: البحث اللغويّ عند العرب، عالم الكتب العلميّة، القاهرة، مصر، ط6، 1988م.
- أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، علم الكتب، ط1، 1998م.
- الجيلالي حلّام: تقنيات التّعريف بالمعاجم العربيّة المعاصرة، -دراسة- من منشورات اتّحاد كتاب العرب، دط، دمشق، سوريا 1999م.
- الشير التهَالي: تعريف المصطلحات في الفكر اللّسانيّ العربيّ"أسسه المعرفية وقواعده المنهجية"، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
- ضيلة دقناتي: التّعريفات والشّروح في المعاجم العربيّة "لسان العرب والمعجم الوسيط -عيّنة-"، إشراف: أحمد جلايلي، مذكّرة ماجيستر في اللغة العربيّة، كلّية الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012م.
- عبد الكريم مجاهد مرداوي: مناهج التّأليف المعجميّ عند العرب معاجم المعاني والمفردات، دار الثّقافة، عمّان، الأردن، ط1، 2010م.
- علي أبو لاجي عبد الرزاق إشكاليّة التّعريف في المعاجم العربيّة الحديثة، مذكّرة ماجيستر، جامعة الملك سعود، عمادة الدّراسات العليا، كلّية الآداب، قسم اللغة العربيّة وآدابها، إشراف، عبد الله العويشق، المملكة العربيّة السعوديّة، (1432/1431هـ).
- علي القاسمي: علم اللغة وصناعة المعجم، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط03، 2004م.
- علي القاسمي: علم المصطلح، أسسه النّظريّة، وتطبيقاته العمليّة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2008م.
- مَجْمَع اللغة العربيّة: المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، ط04، (2004م-1425هـ).
- محمد حاج هني: الصّورة في المعاجم اللغويّة –أبعاد توظيفها وصعوبات استخدامها-، المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، إعداد وتنسيق: منتصر أمين عبد الرّحيم وحافظ إسماعيل علويّ، كنوز المعرفة، ط1 الجزء الثّالث، 2016م.
- محمد خالد الفجر: أسس المعجم العربيّ التراثيّ، كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2017م.
- محمد راشد الحمزاوي: المعجميّة "-مقاربة نظرية ومطابقة-مصطلحات ومفاهيمها"، مركز النشر الجامعي، دط، 2004م.
- محمد راشد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربيّ قديمًا وحديثًا، دار المغرب الإسلاميّ،ط1، 1986م.
- المنجد في اللغة العربيّة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط3، 2008م.
- مهدي فضل الله: مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليديّ)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1977م.
- هربيرت بشت، وجنيفر دراسكاو: مقدّمة في المصطلحيّة، ترجمة (محمّد محمد) حلمي خليل، الكويت، مجلس النّشر العلميّ في جامعة الكويت، 2000م.

باللغة الأجنبية

- See: B.T Sue Atkims And Michael Rudell:The Oxford Guide To Practical lexicolograhy, university.
- Hadumod Bussmann: Routledge dictionary of language and linguistics, 2006,
- A Dictionary of Linguistics and Phonetics 6th Edition. David Crystal © 2008

وقـــفات مع بلاغـــــة النّـــبيّ - صـــلّى الله عـــليه وسلّـــم- دراسة بلاغيّة تحليليّة

Insights from the Prophet (PBUH)'s rhetoric Analytical rethorical study

عبدالرّحمن بلحنيش *

تاريخ تقديم البحث **2017/11/14** تاريخ القبول **2018/3/14**

ملخص

يتناول هذا المقال مسألة بلاغة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-، وإتقانه لضروب من القول جعلت الكثير من فصحاء العرب يكرونه ويعجبون من فصاحته، وهو دوما يقول :" أنا أفصح العرب.. "، نحاول في هذه المساحة من البحث إماطة اللّثام عن نصاعة كثير من الأقوال وما امتازت به من دقّة في التصوير، وسهولة في البيان، واختصار غير مخلّ بالمعنى المراد، كجوامع كلمه ، وانفراده بأقوال لم يسبقه إليها أحد، أضف إلى ذلك تشبيهاته وأمثاله الرائعة الّتي راح يبين بها مقاصده ومراميه، ناصحا وواعظا ومحذّرا ومرغّبا في آن.فكان سجعه وتجنيسه ومقابلاته تنساب انسيابا، دون تكلّف أو تصنّع كيف لا وهو النّاهي عن سجع الكهّان.

الكلمات الدالة: بلاغة -فصاحة -استعارة-تشبيه-كناية-سجع-جناس-أساليب-الإيجاز.

Abstract

This article sheds light on the Prophet's (PBUH) rhetorical skills and his mastery of the speech arts which led the Arab linguists to like his fluency and glorify him. He always says: " How comes that I make a mistake since I am the most fluent amongst Arabs". In the present paper, we try to emphasise many of the prophet's important says and their accuracy in depiction, clear portrayal and precision as well as concision while preserving the intended meaning. In addition to be the primary source of different expressions, his self-expressive maxims, aphorisms and analogies advised , preached and warned as well as gave the willies. Last but not least, the prophet's use of paronomasia and other meaning enhancers is said to be fluent and natural which reflects his predisposed proficiency as a native speaker of Arabic.

Keywords

Rhetoric- Fluency- Metaphor- Analogy- Connotation- assonance- Paronomasia- Styles- Concision

* قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات ،جامعة ابن خلدون، تيارت ،، الجزائر .

تمهيد

علم الحديث أشرف العلوم بعد القرآن وأفضلها وأعلاها منزلة، كيف لا؟ وهو ثاني الوحيين ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، النّجم الآية04 . به فهم الدّين وشرحت آيات القرآن الحكيم، بلسان عربيّ مبين. دعانا صاحبه بقوله: "عليكم بسنّتي...."[(1)]حفظا واتّباعا لهديه. به تقام شرائع الدّين، من فقه وأحكام. تسابق إليه المحَدِّثون، والفقهاء والعلماء تشريعا وتأصيلا إذ هو المصدر الثاني من حيث الاستدلال لهذا الدّين.هذا الحديث عنوان لبلاغة صاحبه وذلك لدوافع عديدة يقتضيها مقام النّبوّة والرسالة الدّعوية، ولدواع تقتضي تنويع الأساليب الخطابية ترويحا ودفعا للملل عن المريدين أوّلا والنّاس كافّة ثانيا. ولعلّ فنون بلاغة القول الّتي أتقنها –عليه الصّلاة والسّلام- هي الّتي فعلت فعلها وقوي أثرها في كثير من النفوس الصّافية فيمن أدركوا ذلك وهم أهل لسان وفصاحة وبيان، مّمن يعرف قيمة الكلمة وتأثيرها. لذلك كان (ص) يعرف نفوس العرب وما يطربون له من بيان فتراه ينوّع في مختلف الأفانين من القول حسب مقتضى الحال آسرا لنفوس مخاطبيه بدقّة في استعمال كلماته وجزالة ألفاظه وحسن تعبيراته ومتانة تراكيبه بروعة في تصوير المعاني لتكون حيّة في قلوب من يسمعها فإذا هي تنبض بالحياة في قلوبهم هاديّة لهم لهذا الدّين مبيّنة لدقائقه وحقائه، قد انسابت منه انسياب المياه العذبة الرّقراقة في سلاسة ويسر، فهي لديه مطواعة ليّنة هيّنة.

أسلوب الرسول –صلى الله عليه وسلم- البلاغي

يمتاز بوضوح العبارة وبصناعة اللغة، وُسِمَ بالسّهل الممتنع كيف لا وهو القائل: أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش.

كان أسلوبه سهلا متينا في آن، باستعماله ألفاظ ميسورة متداولة لا يستهجنها أحد بل يجدها كل من يسمعها عذبة يعجب لها فتأسره؛ ومن ذلك أيضا اعتماده جمل تركيبية سهلة وفق سنن العرب ونهجهم، ترتيب مألوف لا تعقيد ولا تنافر، ألفاظ لا يمجّها السامع بل يقبل عليها إقبال النّحل على الشّهد، فلا تكلف ولا تصنّع، تنبئ عن سليقة وموهبة رفيعة، وإنّما هذا نابع عن ملكة وقدرة في صوغ الصور البليغة والعبارات البديعة الأنيقة الرائعة، أليس هو القائل :"أوتيت جوامع الكلم ومثله معه-وفي رواية-واختصر لي الحديث اختصارا."[(2)]، فما أوتيه من جوامع الكلم جاء في عبارات موجزة مزخرفة رقيقة كقوله: (الدين النصيحة)، (التجار فجّار)، (من غشّنا فليس منّا)؛ تستوعبها الذاكرة في يسر بل وتجسّد الثواب والعقاب تجسيدا محسوسا من ذلك الاستعارات البليغة الواردة في عبارات بديعيّة (الصدقة تطفئ

الخطيئة) استعارة من جهتين، من جهة تشبيه الصدقة بالماء والخطيئة بالنار والقرينة المانعة (تطفئ).

كما اعتمد التقرير لماذا ؟ لأن محمدا –صلى الله عليه وسلم- بعث رسولا مبلغا رسالة ربه- هاديا إلى سواء الصراط محذّرا سبل غضب الله من ذلك حديث عمر أخبرني عن الإسلام، عن الإيمان، عن الإحسان، عن الساعة."(3)

كما نراه مربّيا معلّما معتمدا الحوار البنّاء، طلب واستفهام، حقيقيا كان أم إنكاريا؟ أتدرون من المفلس؟ أتدرون ما حقّ الجار؟ ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم، تقرير وتعجب.

فأحاديثه نماذج للعبارة المتينة والصياغة البديعة، والمعنى السديد والفكرة الصائبة، روعة في التركيب جمال في الصورة، سمو في البلاغة.

منهجه في بلاغته

لا يدع موطنا أو فرصة إلاّ واغتنمها فهو الدّاعي إلى سبيل ربّه، غايته: علاج نفوس ورتق فتوق، تثمين لمزايا في أصحابها، قوّة وقدوة كقوله: (اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين)، فهو يعني عمرو بن هشام (أبا جهل) وعمر بن الخطّاب، فودّ لو كانت قوّة هذين الرجلين للإسلام والمسلمين.

أساليب متنوعة: خطاب وعد ووعيد ترهيب وترغيب يروم إيصال فكرة، هدفه البلاغ، الإقناع والارتفاع بأصحابه عن حضيض الأرض فغدو سادة الأمم. فهو المعلّم والمربّي لا يدع فكرة أو وسيلة للإقناع إلا وانتهجها (كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل)، لذلك خلب لبّ أصحابه، فأحبّوه أمّا أعداؤه فوقفوا منه موقف الحائر فهابوه، فقد روى البيهقي في سننه عن عليّ بن أبي طالب في وصفه للنبيّ عليه الصّلاة والسّلام، قال: "..من خالطه معرفة أحبّه، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله صلّى اللّه عليه وسلّم."(4)

آراء الأولين والآخرين في بلاغة وفصاحة سيّد المرسلين (صلى الله عليه وسلم)

لقد أورد السيوطي في مزهره عنوانا وسمه بـ 'إيحاء اللغة إلى النبي ' قال أبو أحمد الغطريف في كشف الظنون في رواية مسنودة تصل إلى عمر بن خطاب أنه قال: يا رسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: (إن لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فحفّظنيها فحفظتها) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ص34. (5)

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق يونس بن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن أبيه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم دجيّ (غائم) كيف ترون

بواسقه؟ (السحابة البيضاء الصافية) قالوا: ما أحسنها وأشدّ تراكمها ! قال: كيف ترون قواعدها ؟ قالوا ما أحسنها وأشد تمكّنها! قال: كيف ترون جونها ؟ قالوا: ما أحسنه وأشدّ سواده! قال كيف ترون رحاها استدارت! قالوا نعم ما أحسنها وأشدّ استدارتها، قال كيف ترون برقها ؟ أخفيا أم وميضا أم يشق شقا ؟ قالوا: بل يشقّ شقا، فقال: الحياء -يقصد الخصب والمطر ويمدّ- فقال رجل: يا رسول الله ما أفصحك ما رأينا الذي هو أعرب (أفصح) منك ! قال: حق لي، إنما أنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي رافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:مثّلت لي أمّتي في الماء والطّين وعُلِّمْتُ الأسماء كلّها كما عُلِّمَ آدمُ الأسماءَ كلها. ([6]). فهذا من اصطفاء اللّه له، نظرا لما تمتّع به من جليل الصّفات أهّلته لأن يكون حاملا لآخر رسالة سماويّة، مبعوثا رحمة للعالمين، في أمّة أمّيّة تميّزت عن سائر الأمم، بما ملكت من بيان؛ وهذا علي بن أبي طالب يقول: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلاّ وقد سمعتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلم، سمعته يقول: مات حتف أنفه، وما سمعته من عربي قبله ([7]).

جاء في أوصافه لحاله ومنطقه وسائر أوصافه أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكرة ليس له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه (الإبانة وإخراج الحروف من مخارجها) ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير...([8])

ثم ما قاله هو عن نفسه: أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش ورُبِّيتُ في بني سعد بن بكر...([9])، ثم تحدّث عن فصاحته و ما امتاز به عن غيره بجوامع الكلم فيقول: أعطيت جوامع الكلم، ومثلها معها-وفي رواية- واختصر إلي الكلام اختصارا ([10]). ومعنى جوامع الكلم، واختصار الكلام: الإيجاز، والبلاغة الإيجاز كما يرى البلاغيون، فقد بزّ القائلين بخطب قصيرة، جامعة لفنون القول، وضروب الكلام، دون تكلّف أو تشدّق بل ببساطة في منتهى الفصاحة والبيان.

وتروي السيّدة عائشة عنه فتقول –رضي الله عنها- :" ما كان يسرد كسردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلامٍ بَيِّنٍ فصلٍ، يحفظه من جلس إليه". إشارة منها إلى جوامع كلمه، ثم تعضد هذا القول بقول آخر، فتقول: كان يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه، فهي ألفاظ قليلة ومعان عديدة جليلة.

كما ذكر أنّ عليا خاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما سمعه يكلم الوفود بلهجاتهم قائلا: "نحن بنو أب واحد فأنّى لك هذه الفصاحة، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره"، فقال: أدّبني ربي فأحسن تأديبي !

ويقول الجاحظ في البيان والتبيين، واصفا لكلامه- عليه الصّلاة والسّلام-: "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب والوحشي وغرب عن الهجين السوقيّ فلم ينطق عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة وشدّ بالتأييد ويسرّ بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام، هو مع استغنائه عن إعادته وقلّة حاجة السامع إلى معاودته، فلم تسقط له كلمة ولا زلّت له قدم، ولا بارت له حجّة ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يندّ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصّدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطّئ ولا يعجّل ولا يسهب ولا يعسر، ثمّ لا يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه –صلى الله عليه وسلم-"(11).

ما ذكرنا آنفا هو ما قاله عنه بعض الأولين، والآن نورد بعض ما قاله المعاصرون:

يقول الرافعي في باب اجتماع كلامه وقلّته صلى الله عليه وسلم: "ومن كمال تلك النفس العظيمة، وغلبة فكره - صلى الله عليه وسلم – على لسانه قلّ كلامه وخرج قصدا في ألفاظه، محيطا بمعانيه، تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها: فلا ترى من الكلام ألفاظا ولكن حركات نفسية في ألفاظ، ولهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها دون العرب، وكثرت جوامع كلمه...(12). ويقول عن فصاحته: " كان أفصح العرب على أنه لا يتكلّف القول ولا يقصر في تزيينه ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ عن المعنى الذي يريده ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه، ولا تستزله الفجاءة ولا يبده من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة" (13).

ونورد رأي البوطي الذي يصف فصاحته –صلى الله عليه وسلم- من خلال نص حديث أورده مكبرا هذه الفصاحة منبهرا بها، يقول: "روى الحاكم وابن مردويه أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- أرسل إلى معاذ يعزّيه في ابنه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى معاذ بن جبل: سلام عليك، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، أعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر، فإن أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا

من مواهب الله عزّ وجل الهيّنة وعواريه المستودعة، نتمتّع بها إلى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله الهيّنة وعواريه المستودعة أمتعك الله به غبطة وسرورا وقبضه منك بأجر كثير، فاصبر، ولا يدفع حزنا، وما هو نازل فَكَأَنْ قَدْ، والسَّلَامُ [14]، ثم يعقّب على مثل هذا القول: أي عن فصاحته – صلى الله عليه وسلم-: حديث الرسول ذروة ما انتهى إليه كلام العرب بلاغة وروعة وإشراقا يخلو من التكلف المسجوع والحوشي الثقيل وهما آفة الكلام العربي في عصره، بعد عن الاختصار مع الحاجة، وعن التطويل بغير حاجة؛ إذا شبّه أو مثّل التقط أقرب الأشباه و ألطفها دون تقعير ولا تعقيد فإذا نصح أو أرشد صاغ نصائحه حكما مرسلة في ألفاظ مضيئة كالنّجم يبدو عليها جلال النبوّة وأثر الإلهام وحلاوة الصدق، أرسل أحاديثه فيض الخاطر وعفو البديهة دون سابق تحذير ولا تفكير...([15]).حديثه بأساليب العرب حتى حار في فصاحته الصحابة الكبار أمثال أبي بكر وعمر وعلي.

ننقل عن الرّافعي رسالة بعث بها النبيّ عليه الصّلاة والسّلام إلى بعض الملوك لتدرك مقدار ما تبلغه فصاحته وبلاغته عليه الصّلاة والسّلام يقول:"إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب، وفيه: وفي التيعة شاة ولاضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس، لا مقورة الألياط ومن زنى مم بكر فاصعقوه مئة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيّب فضرّجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين ولا عمة في فرائض الله تعالى وكل سكر حرام، وائل بن حجر يرفل على الأقيال" (إعجاز القرآن البلاغة النبوية ص319).

الأقيال (الملوك)، العباهلة (المقرّون على ملكهم)، الأرواع (يروعون بالهيبة والجمال) والمشابيب (المشبوب الزاهر اللون) ، التيعة (أربعون شاة)، المقوّرة الألياط (المسترخية الجلود)، الضناك (السمينة الموثقة الخلق)، أنطوا (أعطوا)، الثبجة (الوسط)، والسيوب (العطية).

ويقول الرّافعي في وصف بلاغته وفصاحته:" يتكلم بكلام إنساني هو هذا الحديث الذي يجيء في كلمات قويّة رائعة، فيها في بلاغتها كالشباب الدائم."([16])

السيوب (المراد به الركاز)، الصقع (الضرب)، الاستيفاض (النفي والتغريب)، الأضاميم (الحجارة الصغيرة)، التوصيم (الفترة والتواني)،يترفل (يترأس).فقد كان عليه الصّلاة والسّلام فصيحا وبليغا إلى حدّ أن لا يتكلّف ولا يتصنّع بل يذمّ ذلك، فهو الأميّ الّذي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فقد أعجز البلغاء والفصحاء، وإن أنت أردت تتبّع كلامه، متسقّطا أو مصحّحا، فلن تجد موضعا للتّصحيح أو التّنقيح، ولا تملك بعدها إلاّ الإكبار والإعجاب، مهلّلا مكبّرا.

فنون بلاغة النبيّ صلى الله عليه وسلم

أولاّ: الإيجاز وجوامع كلمه –صلى الله عليه وسلم- :

بداية علينا أن نذكر أن الرسول –صلى الله عليه وسلم- قد عرف بجوامع الكلم وهو ما قاله بنفسه: (أوتيت جوامع الكلم ومثله معه). وقبل ذلك وبعده عليه أن نعلم أن الإيجاز والإطناب من البلاغة في الذروة، حتى ذكر بعضهم معرفا البلاغة بأنها الإيجاز. فما الإيجاز؟

أورد الجاحظ في بيانه أنّه ورد عن الفضل قال:" قلت لأعرابي ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل" ([17])، ومعنى التعريف أن يكون كلام الرجل موجزا مؤديا المعنى، أو مطنبا فيه من غير إكثار مخلّ، ويدعم هذا قول الرسول الكريم: "أبغضكم إلي الثرثارون المتفيقهون" ([18]) ، فالفصاحة المحمودة ما كانت بين إيجاز مخلّ وإطناب ممل، وعليه فعلماء البلاغة يقسمون الكلام إلى ثلاثة:

1- تعبير على قدر المعنى أي لفظ مساو للمعنى فهو عندهم المساواة وهو الأصل المقيس عليه.

2- وتعبير على حد المعنى مجاوز فهو الإطناب.

3- وتعبير ناقص على قدر المعنى فهو الإيجاز.

والبليغ في هذه الأنواع الثلاثة إنما يتحكم فيه المقام، لذلك قالوا لكل مقام مقال، فالكلام على حسب الضرورة والموضوع، فإذا استدعى المقام الإيجاز أوجز وإلاّ أطنب، فليس كلّ إطناب ممل ولا كل إيجاز مخلّ.

فالإيجاز: "هو جمع المعان المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح"([19]). والأهم من هذا استيفاء المعنى أي الإحاطة به وحذف فضول الكلام يقول الجاحظ عن الإيجاز: " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف..."([20]).أما الجرجاني فعرّف الإيجاز بقوله: " آداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة، أو هو التعبير عن المعان الكثيرة باللفظ القليل.."([21]). أي معان كثيرة مع ألفاظ قليلة، يتوخى الإبانة والإفصاح، فالألفاظ وتناسقها ومناسبتها لحال المخاطب، وعليه فمنظومة بلاغة النبيّ –صلى الله عليه وسلم- لا تخرج عن هذا، أي إيجاز بليغ، فالبلغاء إنما يحمدون بهذا المقياس، إصابة المعنى بلفظ قليل فهذه بنت الحطيئة تسأل أباها: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها في الأذن أملح وبالأفواه أعلق. ([22]). أي اللّفظ الوجيز الزّاخر

بالمعنى الكثير يستعذبه الناس، ويطربون له فيسهل عليهم حفظه، وتقبّله، ومن ثمّ تداوله، ونشره .

لهذا قد وجدنا جوامع كلمه –صلى الله عليه وسلم- لا تخرج عن هذا الإطار فهي موجزة قليلة الحروف عظيمة المعاني، خذ على ذلك أمثلة عديدة: (الدّين النصيحة)، (الدّين المعاملة)، وقوله: (لا يخافنّ العبد إلا ذنبه ولا يرجونّ إلاّ ربّه)، فالخوف من مسائل العقيدة، فلا تعظيم ولا تقديس إلاّ لله عز وجل فهو الأحقّ بالخوف والوجل، ومن مقابلته بذنوب عظيمة، لذا وجب عند سماع هذا القول التعجيل بالتوبة، وقوله: (لا يرجون إلا ربّه) فهنا إشارة إلى كرامة المؤمن وأنه يتوجّه بالسؤال إلى ربّه حفظا لماء وجهه أو أنّه إذا أذنب وكثرت ذنوبه فلا يقنط أو يفقد الأمل وهذا موافق لما ورد في القرآن الكريم الزّمر 53: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) و من الأمثلة الأخرى ما ورد في الإيجاز من جوامع كلمه قوله: (إنّ من البيان لسحرا)، وقوله: (الطمع فقر واليأس غنى) أي اليأس عمّا في أيدي الناس، وتلك قناعة وكرامة.وقوله:(رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى).

وقد فسّر المناوي قول النّبي – صلى الله عليه وسلم- في جوامع الكلم (أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصارا) بأنّها **ملكة** أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف لا تعقيد فيه ، يعثر الفكر في طلبه ولا التواء إيجاز الذهن في فهمه، فما من لفظة تسبق فهمها إلى الذهن إلّا ومعناها أسبق إليه حتى صار ما تكلم به كثير المعاني قليل الألفاظ ، وقوله (اختصارا) مصدر مؤكد لما قبله فهو الجامع لما تفرّق قبله في الرّسل من الكلام المخصوص بما لم يعطه أحد منه في المزايا والأفضال فمما اختص به عليهم الفصاحة والبلاغة.([23])

ومن جوامع كلمه –صلى الله عليه وسلم- قوله: " ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم " وهو موافق لقوله تعالى: { فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم}-التغابن 16-

وعن الفضول والتدخل في شؤون الآخرين قال: " من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه" حديث حسن([24])، روى هذا الحديث قرّة بن عبد الرحمان عن أبي سلمة عن أبي هريرة وصحّح طرفة ثم قال : في هذا الحديث، هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة.

وعن أبي ذرّ: " من حسن كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه" رواه ابن جبل.وفي العبادات قوله:" الحج عرفة " حيث اختصار الركن الخامس في عبارة موجزة، أي من لم يشهد عرفه زمانا ومكانا فقد ذهب حجّه.

ومن الإيجاز ما ورد في دعائه لأبي سلمة عند موته: " اللهم ارفع درجته في المهتدين وأخلفه في عقبه في الغابرين له ولنا يا رب العالمين ". عقب ابن الأثير أنّ هذا الدعاء جامع بين الإيجاز وبين مناسبة الحال التي وقع فيها .([25])

حديث (إنّما الأعمال بالنيات) تجده في كلّ أبواب الفقه. فبلاغته أنّه كلام مطبوع لا مصنوع.([26])

عن دعائه قال ابن الأثير: " فأوله مفتتح بالمهم الذي يفتقر إليه المدعو له في تلك الحال وهو رفع درجته في الآخرة، وثانيه مردف بالمهم الذي يؤثره المدعو له من صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا وثالثة مختتم بالجمع بين الداعي والمدعو له"([27])

أهمية الإيجاز (جوامع الكلم):

التبليغ أولا: أوردنا قول الحطيئة عندما ردّ على ابنته :" لم قصارك أكثر من طوالك ؟ " فلعل إجابته كانت شافية ندرك منها أهمية جوامع الكلم فهي أعلق بالأفواه أي سهل حفظها وإدراك معانيها، وفي الأذن أولج أي لا تعقيد في تركيبها، ولا غرابة في ألفاظها ، فصيحة لطيفة سهل استيعابها وحفظها.

" في الإيجاز أسلوب بلاغي – إن لم يكن هو البلاغة عينها- يقوم على جمع المعاني الغزيرة في الألفاظ القليلة، حذفا و اختصارا مع مراعاة الوضوح والتأثير في المتلقي، وخير ما يمثل الإيجاز، الأمثال والحكم، وما اصطلح عليه عامة الناس من محذوفات".([28])

يرى الرافعي في فصل: ' اجتماع كلامه وقلته' : " ومن كمال تلك النفس الكريمة وغلبة فكره - صلى الله عليه وسلم – على لسانه ، قلّ كلامه، وخرج قصدا في ألفاظه محيطا بمعانيه تحسب النفس قد اجتمعت في الجملة القصيرة، والكلمات المعدودة كلّ معانيها، فلا ترى من الكلام ألفاظا ولكن حركات نفسية في ألفاظ، وبهذا كثرت الكلمات التي انفرد بها دون العرب، وكثرت جوامع كلمه وخلص أسلوبه فلم يقصر في شيء ولم يبالغ في شيء".([29])

فقد امتلك أسلوبا كما يقول النقاد – سهلا ممتنعا – فصيحا بعيدا عن الغرابة والتنافر والتعقيد، ألفاظا وتراكيب، لذلك كانت العرب تطرب للكلام المختصر البليغ الذي يصيب المرمى بأقل اللّفظ يمجّون التطويل الممل السمج على النفس، وهو ما أكده الجاحظ عن إيجازه:" قلّ عدد حروفه، كثر عدد معانيه، جلّ عن الصّنعة، نزّه عن التكلف استعماله المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب والسوقي الهجين، والغريب الوحشي، وشّد بالتأييد ويسرّ بالتوفيق وغشاه بالقبول وألقى الله محبته عليه وجمع بين المهابة والحلاوة".([30])

ومن أهميته أنه يحفظ بسرعة، وهو ما أكّدته عائشة رضي اللّه عنها بوصفها له ، (لوعدّه العادّ لأحصاه).

لذلك وفي لمح من البصر يحفظ ويدرك المعنى سريعا، أنظر إلى قوله - صلى الله عليه وسلم- : (لا ضرر ولا ضرار) قول خاصّ بالمعاملات، في الأخلاق في العقود وفي غيرها ".فالجاحظ يرى مرّة أخرى أنّ الإيجاز: أداء حاجة المعنى سواء أكان الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة.([31]) أما ابن رشيق القيرواني فينقل عن النّحوي الرّماني أنّ الإيجاز. هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف([32]) .ومنه نرى أنّ أهمية جوامع الكلم تتمثّل في الإيجاز وفي فوائد أخرى منها:

- تقريب الفهم، إخفاء الأمر على السامع(أنا من ماء).
- تجنّب السآمة والضجر، ضيق المقام.
- تحصيل المعنى الكثير باللفظ القليل، لتسهيل حفظ هذه الجوامع ومن ثمّ تمثّلها خاصة وأن الأمة في مبدئها كانت أميّة، حديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ). جاء في كتاب الصناعتين (عليكم بالإيجاز فإنه إفهام والإطالة استبهام) ([33]). والإيجاز نوعان : إيجاز قصر، وإيجاز حذف. فالقصر كما عرفناه: احتواء اللفظ القليل بالمعنى الكثير، دون حذف.

أما إيجاز الحذف: ففيه تحذف أجزاء من الجملة ويسقط بفضول عن الكلام وأمثلته: قوله –صلى الله عليه وسلم- :" لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد" والمقصود لا صلاة أفضل وأكمل لجار المسجد إلا في المسجد، وقد علم من غير هذا الموضع جواز الصلاة بالبيت أو في مكان آخر.([34])

فقد ورد عن ابن الأثير أن إيجاز الحذف عجيب الأمر، شبيه بالسحر، لأن ترك الذكر أفصح من الذكر، وهو جائز مع بقاء ما يدل عليه وإلاّ لكان لغوا في البلاغة متى أظهر المحذوف، صار الكلام إلى شيء غثّ لا يناسب ما كان عليه من الطلاوة والحسن.([35]) وأمثلة الحذف قول الرسول(ص) لجابر عندما تزوج ثيّبا: "هلاّ بكرا تلاعبها وتلاعبك" أي هلاّ تزوجت بكرا (جارية) فحذف الفعل. ([36])

ومن فوائد الإيجاز التوكيد والمبالغة والتخصيص، وبلاغة الحديث في إظهار الجدّ والتنويع رهن بالنّبي –صلى الله عليه وسلم- المعلّم إذ هو بصير بشأن من يعلمهم فهو يدفع عنهم الملل ويقوي فيهم العزيمة للتعلم، كما يهدف إلى الإصلاح ([37]). فالعرب أهل فصاحة فهو ما يهم من نظر للكلمة وقيمتها.

سبقه إلى أقوال وعبارات لم يسبقه إليها أحد:

لقد أورد الجاحظ وغيره من الأدباء والنقّاد أنّه –صلى الله عليه وسلم- أورد أقولا لم يسبقه إليها أحد من ذلك:

1. في غزوة بدر (**هذا يوم له ما بعده**) شبيه بقوله تعالى: {فله ما سلف}. البقرة 275.

2. في غزوة حنين (**الآن حمي الوطيس**) والوطيس هو التنور، والمناسبة لهذا القول هو بعد انهزام جيش المسلمين أمام عموم القبائل المتحالفة في حنين، ورغم عدد المسلمين (12ألف)، وقالوا لن نغلب من قلّة، عندها نادى العباس بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل العقبة، يا للمهاجرين والأنصار، عندها ثبت الناس، وعادوا للقتال وانقلبت الكفّة، قال عليه السلام: (الآن حمي وطيس المعركة وظهر الحق وانكشف الباطل).

3. **مات حتف** أنفه عبارة تبيّن المصير الذي يلقاه الإنسان عندما يموت على فراشه وليس في المعركة، وقد اقترب منه قول خالد بن الوليد في فراش موته: (وها أنا أموت موت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

4. **المضعف أمير الركب**، من وصايا النبيّ –صلى الله عليه وسلم- للجيوش أو للقوافل المسافرة مراعاة أضعف من في الركب، يعضده قول آخر (**سيروا بسير أضعفكم** والأول أبلغ) ([38]).وقوله في النّساء:(رفقا بالقوارير)، قد ناب المفعول المطلق(رفقا) مناب الفعل المحذوف.

5. قوله للأنصار (**إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع**) واصفا لحالهم بخلوص نيّتهم وأعمالهم للإسلام بأن لا مطمع لهم في مغنم، بل حب الله ورسوله، قد تزيّنت العبارة، بلون من البديع، كالسّجع، بين الفزع والطّمع، وبالطباق بين تكثرون وتقلّون، وهي في نفس الوقت مقابلة .

6. (**قضية لا ينتطح فيها كبشان**) قول فصل في قضية متنازع عليها إذا كانت البيّنة واضحة، فلا يتطرّق إليها الشكّ.

7. (**أفضل الصدقة جُهْد المقلّ**). تصوير لحبّ الفقراء في المساهمة في التضامن الاجتماعي أسوة بإخوانهم الأغنياء، فلا تكليف عليهم

8. (**جماعة على أقذاء وهدنة على دخن**) من حديث الفتن (هدنة على دخن) وصف دقيق لحال النزاع والفتن، وانعدام الثّقة بينهم.

9. (**الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة**) رواه البخاري.إشارة إلى قلّة النوع المطلوب، فالمقصود الكيفية لا الكميّة، وهو ما يسعى إليه.

10. (**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم**) أي تتظافر جهود المؤمنين، والأمر يهمّ الجميع .

11. (**لا يلدغ المؤمن من الجحر مرّتين**). تحذير من الغفلة، ووجوب الاستفادة من الأخطاء

12. (**سعيد من وعظ بغيره**).دعوة للاستفادة من أخطاء الآخرين، فهذا من النّباهة والفطانة والكياسة، وإلاّ اتّهم الإنسان بالغفلة.

13. (**طلبك الشيء يعمي ويصم**).الحرص على طلب الشيء بلهفة وحرقة قد يدفع صاحبه إلى الخطأ وارتكاب الحماقات، فيتورّط.

14.(**اليد العليا خير من اليد السفلى**).قول فيه دعوة إلى البذل، وهذا الظّاهر، أمّا الباطن فهو دعوة للكسب لأنّه سبيل الكرامة.

15.(**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**).تحذير من الاغترار بالأماني وطول الأمل، لأنّ نهاية الأمر رحيل عن الدّنيا بالموت

16. (**لا ضرر ولا ضرار**). أحكام الإسلام جاءت لنفع المسلمين فردا ومجتمعا، لا ضرر فيها أي في تشريعها، ومنه شرّع الأصوليون قاعدة: درء المفسدة أولى من جلب المنفعة.

بشرية النبيّ –صلى الله عليه وسلم-

والمقصود من هذه الفقرة أنّ النّبيّ –صلى الله عليه وسلم- بلغ هذه الذروة من الفصاحة تأييدا من الله من جهة، وفي نفس الوقت توفيقا منه معدّا له ليكون المبلّغ عنه لأعظم كلام على الإطلاق وهو القرآن الكريم، فاجتماع الأخلاق فيه نتيجته اصطفاء اللّه له ليكون رسوله للعالمين في آخر رسالة للنّاس كافّة، وليس للعرب وحدهم .يقول الرافعي: "ولا يعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له –صلى الله عليه وسلم- إلا توفيقا من الله، وإذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة ([39]).

فهذا هو التّوفيق، والتوفيق من الله إعداد، لنبيّه عليه السّلام لكي يبلّغ عنه متحديا هؤلاء العرب وإعدادهم في نفس الوقت لاحتضان هذا الدين ثم تبليغه للعالمين، فلا أحد يعلم أسلوب القرآن إلاّ العرب فقد نزل بلسان عربيّ مبين؛ في نفس الوقت نجد أن النبي –صلى الله عليه وسلم- لم يخرج عن بشريته، فهو منهم وعاش بينهم وقد رعى الغنم وتاجر وسافر وخالط، إلاّ أنّه صنع لنفسه منهجا كاجتناب عبادة الأوثان، والبعد عن الفحش ومواطن اللّهو، ثمّ الخلوّ بنفسه في الجبال للتأمّل والتحنّث، رفضا للوضع الّذي آلوا إليه، وهو لا يدري أن سيكون نبيّ آخر الزّمان .يقول البوطي: "إنّ الحديث النّبوي الشّريف لا يمكن أن يرقى إلى

أسلوب القرآن الكريم، وذلك لتميّزه بالطبيعة البشرية.. –ويقول-: ومهما كان ذلك متجليا في أسلوبه وخطابه يظل مصطبغا بالطّبيعة البشرية وخاضعا لانعكاسات المشاعر الإنسانية ([40]). فليس لأحد الحقّ في الطّعن في سيّد الخلق ادّعاء أنّه ملك، أو أنّه خلق من طينة أخرى، فهو كسائر البشر، يأكل ويشرب ويتزوّج ويمشي في الأسواق، بدليل قوله تعالى في آية الفرقان 07 (وقالوا ما لهذا الرّسول يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا)، أي أنّ الفرق بينه وبينكم هو أنّ اللّه اصطفاه واختاره وأنزل عليه ملك، محمّلا إيّاه أمانة، ليكون للعالمين نذيرا وبشيرا، فلم العجب، هذا عن العرب قاطبة، أمّا عن المسلمين، وما أصابهم من ذهول يوم موته، كعمر بن الخطّاب، فكان تذكير أبي بكر له ولغيره ببشريّة الرّسول (ص)، وأنّه يتعرّض لما يتعرّض له سائر النّاس، فيصيبه ما يصيبهم، ثمّ تلا قوله تعالى: (وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئا وسيجزي اللّه الشّاكرين) آل عمران 144.

وللتّدليل أيضا على ذلك- على بشريّته - يقول البوطي :" إنه يلتبس عليك كلامه بكلام الصّحابة والتّابعين، وآية ذلك أنّك لا تأمن أن يلتبس عليك كلام الرّسول –صلى الله عليه وسلم- بشيء من كلام عمر بن الخطاب أو غيره من الصحابة مثلا، إذ القدر المشترك بين الكلامين هي ظهور الطّابع البشري فيهما من شأنه أن يتغلّب على فرق الدرجة البلاغية التي يمتاز بها حديثه، عليه الصّلاة والسّلام ([41]).

وقد التبس علينا كثير من الأقوال، حتى عددنا من الأحاديث قول عمر رضي اللّه عنه: (علّموا أولادكم السباحة والرّماية وركوب الخيل)، وقول حسن البصري تعريفا للإيمان: (ليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتّحلّي، ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل).

-البيان في بلاغة النّبي –صلى الله عليه وسلم-

كما هو معروف فإنّ البيان يضمّ التّشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، فهذه وغيرها قد تجلّت في كلام النّبيّ- صلى الله عليه وسلم-بقصد تبليغ ما كلّف به في ثوب جميل وعبارة واضحة المعاني وتراكيب صحيحة وفق السّنن العربيّ، وهو ما عناه ابن جنّي بانتحاء سمت العرب وطرق تصرّفها، يقول:"النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرّفه من إعراب وغيره.."[(42)]، إذا فقد سار النّبيّ (ص) في بلاغته على مقتضى كلام العرب، في من بيت شريف عرف بالبلاغة والفصاحة، فكيف يشذّ هو عنهم وقد أوتي من النّباهة والذّكاء، حتّى ارتقى في درجات الفصاحة والبيان معترفا هو بذلك" أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش" يقول البوطي: "إذا شبه أو مثّل التقط أقرب الأشباه وألطفها دون تقعير أو تعقيد... نصائحه في ألفاظ مضيئة

كالنجم يبدو عليها جلال النبوّة .."([43]). لأنّ الهدف التّبليغ، لذا كان يختار كلامه اختيارا، نائيا عن التكلّف والتشدّق، أو أن يعلو الكلام غاية في حدّ ذاته، فقد كان تمثيله وتشبيهاته من أجل تقريب المعاني،أو من أجل الإيضاح، أو التّهديد والوعيد والتحذير، أو الترغيب والتحبيب... فمن التّنفير قوله عليه الصّلاة والسّلام: (العائد في هديته أو صدقته كالعائد في قيئه) ([44])، فهذا تشبيه صورة بصورة، داعيا إلى التّهادي والتصدّق، بغرض تقوية أواصر المحبة (تهادوا تحابوا) وفي نفس الوقت يحذّر من العودة في الهدية وهو خلق مرفوض، فتتغيّر القلوب، وتحل العداوة بدل المحبّة؛ لذا قد شبّه العائد في الهدية كمن تجرّع قيئه، فأيّ صورة مقززة منفرة كهذه الصورة. فهو يمثّل ويشبّه بأحسن تمثيل وتشبيه، باختيار أفضلها حسب المقام ومقتضى الحال.

ومثال ثان يقول فيه: (في الشّجر شجرة كالرجل المسلم هي النخلة) ([45]). من المعلوم أن صورة التشبيه تكون أقوى في المشبه به من المشبه، لذلك نلجأ إلى تمثيل المشبه بالمشبه به كقول الشاعر النّابغة يمدح الملك النّعمان بن المنذر([46]) :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد من هن كوكب

فقد شبّه الملك النّعمان بالشّمس، وغيره الملوك بالكواكب، فصورة التّشبيه أقوى في المشبّه به، لكن تمثيل النّبي (ص) بالشّجرة عكس الصّورة، إذ صورة هذا التشبيه جعلت المشبه أقوى من المشبه به ، وهو ما سماه البلاغيون بالتشبيه المقلوب، وهذا لغرض الإعلاء من مكانة المؤمن والمسلم.

ومثال آخر: وللتحذير من الفرق الضالة، والدّاعيّة إلى التشرذم بين المسلمين، إذ ابتعدوا عن معالم الدّين الواضحة فضلوا وأضلوا، علموا رسومه، وما أدركوا حكمه ودلالاته، خرجوا عن تعاليم الدّين فأحدثوا فتنا عظيمة ومازالوا، قال عليه الصلاة والسلام: (يمرّقون في الدين كما يمرق السّهم من الرّميّة..)([47])، فمصيبة الدين والمسلمين لمّا خرج فيهم قوم حدثاء الأسنان يهدون بغير هدى النبيّ عليه الصّلاة والسلام وانظر كيف بيّن خروجهم عن الدّين بخروج السّهم من الرّميّة؛فهذا من الإنذار والتّحذير ومن عظم المصائب والفتن الّتي ستحدث.

ومن التشبيه بغرض النصح والإرشاد وذلك بإيقاظ النّائمين وتنبيه الغافلين والشّد على يد المتذبذبين، قوله عليه الصلاة والسلام: (إنّي أنا النذير العريان) ([48]) .فالتشبيه يبدّد الشك والريب عن نفوسهم وبالإقناع يثير تفكيرهم؛ ومن التشبيه نلمس نصحا وإرشادا ودعوة إلى اغتنام الفرص وعدم تركها هباء سهللا. يقول: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم

كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقِه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"(49) .فهذا الحديث لطوله يبيّن أصنافا في تقبل هدي النبيّ-عليه الصّلاة والسّلام- أو تركه، فالناس بأصنافهم كالأرض، والهدى كالغيث الذي نزل عليها.

ودعوته إلى التآخي ونبذ الفرقة والعصبية للعرق أو اللسان أو اللون، يقول مضمّنا هذا المعنى :" الناس سواسية كأسنان المشط" فهذا من التّشبيه المرسل المفصل، ومن التشبيه حديث السفينة "مثلكم كمثل قوم استهموا فأصاب بعضهم أدناها وبعضهم أعلاها، "فأراد من سكنوا أدناها خرق السّفينه لجلب الماء تجنّبا للتّضييق عمّن سكن أعلاها، فقال النبيّ(ص) فإن أخذوا-مَنْ سكن أعلاها-بأيديهم ومنعوهم نجوا ونجوا، أي الطّرفان، وإن تركوهم يخرقون السّفينة، هلكوا وهلكوا جميعا، فهذا تمثيل لمن زعم أنّ الحرية مطلقة، لا حدود لها، والمقصود أنّ حرّية الفرد مقيّدة تتوقّف عند حريّة الآخرين لا تجاوز فيها، وهذه دعوة حضاريّة، لم تبلغها الأمم لا قديما ولا حديثا، وبلغتهما أمّة الإسلام بهذه المثل العاليّة. ومن التشبيه الجميل قوله: (المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأتْرُجّة، طعمها حلو وريحها طيّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيّب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الحنظل،...).

أمّا عن الاستعارة وهي تشبيه حذف أحد طرفيه فكان بذلك أبلغ من التشبيه، لأنّها من بلاغتها تعدّد معانيها والقدرة على الإيحاء والإيماء والإشارة، التلميح بدل التصريح فاللّبيب بالإشارة يفهم.فإعطاء المعاني الكثيرة باليسير من اللفظ، كقول الحُطيئة لعمر بن الخطاب (50) رضي اللّه عنه، عندما سجنه لهجائه المقذع، فلم يجد بدّا من أن يتوسّل إليه بالشّعر نفسه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ، زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

فقوة الاستعارة في الملاءمة بين الطرفين المشبه والمشبه به وإلا كانت رديئة فميزتها أنها أكثر اختصارا، ومن بلاغتها التشخيص للتأثير على نفسية المتلقي وإثارة انفعاله المناسب عن طريق تمثيل المعاني المجردة في صور حسّية؛ وبإفاضة الحياة على الجماد وإكسابه حياة إنسانية، وانتقال الذهن من معنى إلى آخر، أو هي طاقة غير محدودة في التعبير عن العاطفة

والأحاسيس. ومن أمثلة استعاراته –صلى الله عليه وسلم- قوله: (خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها) .

فالطيران لذوي الأجنحة وأراد بهذا التشبيه الذي حذف فيه الطائر السّرعة في تلبية نداء الجهاد، والذّود عن حياض الإسلام والمسلمين.

وقوله: (ضمّوا ماشيتكم حتى تذهب فحمة العشاء) والفحم للسواد فشبه اللّيل واشتداد سواده بالفحم وقد حذف اللّيل وترك قرينة تشير إليه وهو الفحم.كما يستعار لفظ الفحم للون الشّعر، خاصّة مع النّساء فهو من الزّينة، يقول رؤبة بن الحجّاج[51] :

ومقلة وحاجبا مزجّجا وفاحما ومرسنا مسرّجا

(ربّ تقبل توبتي واغسل حوبتي وثبّت حجّتي.....) فالغسل للثياب أو البدن أما الذنوب فشيء معنوي لا يغسل، وإنما يكون بالتوبة.

(غلب عليكم داء الأمم الذين من قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، حالقة الدين، لا حالقة الشعر)[52].فالحلق للشّعر لا للدّين.

(إنّما لا نقبل زبد المشركين أي رفدهم)، فالاستعارة في لفظ الزّبد، ويراد به الرّفد .

(يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان، الحرص وطول الأمل)، فالشيب حسيّ، فكيف للخصلة ؟ وهي شيء معنوي، ولعلّها الملازمة.

فقد أشار الفراهيدي إلى إيجاز هذا الأسلوب بقوله: "إيجاز للاستدلال، فإن اللفظ إذا قلّ تراءى المعنى متجردا عن حجبه، فيزيده تنويرا وتأثيرا وكأنه أرهف حدّه وجرّب بعده، وهذا ما يجعل الاستعارة أحيانا أبلغ من التشبيه"[53].

المجاز المرسل: إذا كانت الاستعارة من المجاز اللغوي، فإن المجاز المرسل كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، لعلاقات كثيرة :كالسببية والمسببية والجزئية والكلية، والحالية والمحلية واعتبار ما كان أو ما يكون[54] .

ومن أمثلته –صلى الله عليه وسلم-: (لا تركب البحر إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا في سبيل الله تعالى) المجاز في قوله : لا تركب البحر، والمقصود لا تركب سفين البحر، فقد أطلق لفظ البحر وأراد السفين، فالعلاقة محلية، والتّعليل هو: (فإنّ تحت البحر نارا وتحت النّار بحرا).

حديث آخر: (من سرّه أن ينظر إلى شهيد على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه) والعلاقة اعتبار ما سيكون، مستقبلية. حديث: (من كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النّار).

الكناية: قد عرّفت بتعاريف عدّة منها: " ترك التّصريح بالشيء إلا بما يساويه في اللّزوم وينتقل منه إلى الملزوم"([55]) . أو (أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي).([56])، أو هي ذكر الرّديف وإرادة المردوف، كقول إبراهيم عليه السّلام لابنه اسماعيل عليه السّلام: غيّر عتبة بابك. وأراد بذلك تطليق زوجته، وهو المعنى البعيد، لا يفهمه إلاّ الأذكياء وذوو الفطانة، ولو أراد المعنى القريب وهو تغيير عتبة الباب لما كان هناك مانع من ذلك.

وهي تنقسم إلى ثلاث: كناية على صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة. ومثال ذلك من أحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم-:

1. (ويحك يا أنجشة –أنجش – رويدك، رفقا بالقوارير).فقد أراد الموصوف (النساء) إذ شبّههن بالقوارير لرهافتهن فيجب أن يلقين من العناية والاهتمام، وقد تكون استعارة من باب تشبيه النّساء بالقوارير، فحذف النّساء وترك القوارير، والقرينة رفقا.

2.(إياكم وخضراء الدّمن، المرأة الحسناء في المنبت السوء.) فلو توقّف عند قوله: خضراء الدّمن، وهي النبتات النّامية في المزابل، لكان لها معنيان: القريب الواضح، والبعيد الّذي يجب أن ينشط فيه الذّهن لمعرفته، لذا قطع النّبيّ (ص) حيرتهم بقوله:المرأة الحسناء في المنبت السّوء.

ففي الحديث ما ترى فيه من التشبيه ومن الكناية .

3. (ورد عن أصحابه أنهم كانوا لا يتفرقون إلاّ عن ذواق إذا خرجوا من عنده)، والذّواق الطعام، أو طيب الكلام، فقد يفهم المعنيان .

4. (أسرعكن لحاقا بي أطولكنّ يدا) كناية عن الجود والكرم.فطول اليد تكنّي به العرب عن السّخاء والجود والكرم وبذل المعروف للنّاس.

5. (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنا جبهته واضعا سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ ؟) كناية عن قرب القيامة.

التورية: قد جاء في تعريفها (هي أن يذكر المتكلم كلمة لها معنيان: قريب غير مقصود، ومعنى مقصود بعيد.([57]) . فقد تتلتبس بالكناية.

أهميتها: إثارة الانتباه لالتقاط المعنى المقصود، لذا يصدق عليها قول القائل: إنّ اللّبيب بالإشارة يفهم، مثلما ورد عن نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام في إجابته للرّجل الّذي سأله يوم للهجرة إلى المدينة المنوّرة: ممّن أنت ؟ قال: (أنا من ماء) حيث فهم الرجل أنه من ماء العراق، وهو يقصد خلقت من ماء، وبهذا تجنّب الكذب من جهة، ولم يكشف عن نفسه لأنّه كان مطلوبا من قريش، وهذا أيضا من حسن التخلّص من الورطات. وقول له آخر لسعد بن معاذ، عندما أرسله إلى اليهود ليستعلم حالهم أمازلوا على العهد أم خانوا ؟ فقال له : (ألحن لي لحنا أفهمه)، تورية، حتّى يورّي عن أصحابه وهم محاصرون يوم الأحزاب، فلا يفتّ ذلك في عضدهم، فلمّا رجع سعد وقد استيقن من الخيانة، أرسل العبارة كتحذير: (عضل والقارة)، ففهم النبيّ أنّها خيانة اليهود، وعضل والقارّة قوم غدروا بأصحاب النبيّ (ص).

البديع (الزّخرفة اللّفظيّة)

وتشتمل المحسنات المعنوية (كالطباق والمقابلة) والمحسنات المعنوية (كالسجع والجناس) فلقد كانت ترد هذه المحسنات في كلامه –صلى الله عليه وسلم- عفو الخاطر دون تكلف، ولقد مدح الله رسوله لورود هذا الطبع فيه حيث قال في آية ص 86: (وما أنا من المتكلفين)، ثمّ كان عليه الصلاة والسلام ينهى عن التشادق حيث قال: (إياكم والتشادق)، والتّشادق تكلّف الصنعة اللّفظيّة، بتعمّد الزّخرفة الكلاميّة؛ فقد نهى عن السّجع المتكلّف، فقد قال: في موقف من المواقف: (أسجع كسجع الكهّان ؟) فإنما هو يذمّ، السجع المتكلّف الذي يذهب ويحصر في اللّفظ .

ومن المحسّنات المعنويّة، **الطّباق المقابلة**، أمّا عن مقصود الطّباق، فهو: الجمع بين الضدّين أو بين الشّيء وضدّه، في كلام أو بيت شعر، أمّا عن المقابلة، فهي: إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللّفظ، على وجه الموافقة أو المخالفة؛ ([58])، كقوله عليه الصّلاة والسّلام: "نعمت المرضعة وبئست الفاطمة" . فقد قابل بين صفتي المدح(نعمت) و(المرضعة) من جهة، وبين صفتي: (بئست) و(الفاطمة) من جهة ثانيّة؛ فالعبارة مقابلة، وطباق في نفس الوقت، ولجوؤه لهذا النّوع من الصياغة لما له من الأثر الجميل على الأسلوب، خاصّة من جهة المعنى الّذي يرمي إليه.

وقوله للأنصار: (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع)، مقابلة بين قوله: تكثرون، وتقلّون، وقوله: الفزع، والطّمع،، وفي المقابلة طباق في نفس الوقت، كما نلمس الجرس الموسيقي في صوت العين، لندرك أنّه سجع تتوافق في كلمتا الفزع والطّمع، فلا تحسّ فيه تكلّفا.

وقوله: (إنّ الرِّفق لا يكون في شيء إلاّ زانه، والخرق-العنف-لا يكون في شيء إلا شانه)، فقد قابل بين: الرّفق والخرق، وبين: شانه وزانه.

ومنه فالطباق والمقابلة بين المتضادين لبيان الفرق، أو لتزيين المعنى، كمثل قوله: (رحم الله عبدا قال خيرا، فغنم أو سكت فسلم) وقوله: " خير المال عنّي ساهرة لعين نائمة)، وقوله:(اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك " تدرّج في مراحل العمر؛ فيلاحظ فيها من الإطناب الجميل غير المملّ، ضرورة، لتوضيح المطلوب منه.

أما عن **السّجع**: فهو: أسلوب من أساليب القول أو فن من فنون الخطابة والكتابة، وهو توافق الفاصلتين من النّثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكّاكي: "السّجع في النّثر كالقافيّة في الشّعر." ([59]). أو هو "موالاة الكلام المنثور على روي واحد، فتجيء الكلمتان في آخر الفقرتين على حرف معيّن، فيكسب النثر ضربا من الموسيقى والتنغيم، وليجاري عاطفة قائلة، ويثير نفسا سامع" ([60])، وهو" اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير"([61]). لكن السّجع المقبول هو ما سلم من التكلّف وبرئ من التعسّف، لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه([62]).وهو ما جرى سلسالا، لا يحسّ فيه سامعه أنّه قد تكلّفه، فكثير من الأدعية والأحاديث كانت على هذا المنوال فحفظها المسلمون بيسر وسهولة، ومن ثمّ تناقلوها فيما بينهم جيل يرويها عن جيل، فقد كان يطربون للموجز من الكلام المزخرف.

وقد نفر كثير من العلماء منه، ربّما يقول محمد عبد الكلاعي: لعدم فهمهم الدّقيق للحديث النبوي الشريف (أسجع كسجع الكهّان) صحيح البخاري19/4. لأنّ الكهّان إنّما يتعمّدون هذا النّوع من السّجع تدليسا وكذبا على النّاس لأكل أموالهم بالباطل، كالّذي وصلنا عن مدّعي النبوّة سجاح التّغلبيّة، وطليحة الأسدي، والأسود العنسي ومسيلمة الكذّاب.

لكن المتأمّل والمتتبّع لأقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم-وهي كثيرة قد تلوّنت بالسّجع ينساب عفو الخاطر، هكذا على السجيّة بلا كلفة فيه وأمثلة ذلك:

- (قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق)([63]).
- (ماذا فعل النغير يا أبا عمير) التصغير للتّدليل والتّحبيب،و السجع بين النّغير وعمير

.

- (الخيل معقودة في نواصيها الخير).جناس ناقص بين الخيل والخير.
- (أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام).فقد اتّفقت أربع كلمات في حرف الميم.

- في التّحصين لابن ابنته: (أعيذه من الهامّة والسّامّة ومن كلّ عين لامّة).فقد اتّفقت كلمات: الهامّة والسّامّة واللامّة في روي الميم.

- وقوله: (ارجعن مأزورات غير مأجورات)[64] - (اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي) ، قوله (اللهم أعط منفعا خلفا وأعط ممسكا تلفا). عبارات قصيرة ملفوفة في ثوب جميل قشيب، كالطّباق، والمقابلة ، والسّجع، ويختفي وراء هذا معانٍ عديدة جليلة، ونصائح ثمينة غاليّة.

و**الجناس** ضرب من الموسيقى كالسجع، بتشابه اللفظتين كلّيا أو جزئيا مع اختلاف المعنى: (اللهم كما حسّنت خَلْقِي فحسّن خُلُقِي)، جانس بين لفظي (خَلْقِي) ولفظ (خُلُقِي). وفي قوله: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).جانس بين لفظي:(الخيل) و(الخير).

أهمية السجع

حركة الفكر تتجلى في تغير الكلام تبعا لقصد المتكلم وما يحيط به من ظروف وأحوال، ومنه فالتّضادّ يعمّق المعنى، يرد عفوا لينسجم مع طبيعة الكلام النّبوي، من خلال مقابلة كلمات أو تراكيب مع بعضها البعض، وهنا تتجلّى المعاني المراد الوصول إليها أو تبليغها، كما يراد من التجنيس: تقوية نغم الجرس الموسيقي للألفاظ، وبثّ الحركة والحيوية فيها، وبالتّالي تقوية الإيقاع وتعميق الدلالة، مثلما ورد في الحديث الشّريف: (الظلم ظلمات يوم القيامة)، فقد جانس بين لفظتي الظلم والظّلمات، لما بينهما من جامع الحلكة والسّواد المادّي والمعنوي.

خاتمة

لاشكّ أنّ المتتبّع لسيرة الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم يقف على جوانب عديدة مشرقة من سيرته سواء في أخلاقه أو معاملاته أو أوصافه وصفاته، إلاّ أنّ المشتغلين باللّغة تستوقفهم خطبه وأحاديثه نظرا لما اتّسمت به من بلاغة وفصاحة وبيان، فقد أوتي جوامع الكلم، وانماز بها، معانٍ عديدة في عبارات يسيرة خلب بها لبّ ذوي الألباب من فصحاء العرب وغيرهم من عجم وعرب، جاعلا من صور البلاغة المتنوّعة مطية لإبلاغ دعوته كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وضروب فن القول الأخرى من تورية وسجع وجناس وطباق ومقابلة

وغيرها..وما خلصنا إليه بحق أنّ النّبي محمد عليه الصلاة والسلام هو أفصح العرب بلا منازع في محطّات عدّة :

- من كمال فصاحته أنّه كان يكلّم كلّ قوم بلغتهم، وهذا دليل على سعة اطلاعه، وفهمه لضروب القول المختلفة.

– ولم يكن مقلّدا محاكيا لغيره بل انفرد بعبارات لم يسبق إليها، كقوله: مات حتف أنفه، والآن حمي الوطيس.

– ورود السجع وزخرف القول على لسانه عفو الخاطر على السجيّة، دون تكلّف أو تصنّع، هكذا وفي الآلاف من المناسبات دون إعداد مسبق، مثلما ورد في الكثير من أقواله: أطعموا الطّعام وأفشوا السّلام وصلوا الأرحام، وصلّوا باللّيل والنّاس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام.

– تميّزه بجوامع الكلم، وما تحمله هذه العبارات من إيجاز تزخر بالمعاني الجمّة، سهّل على النّاس حفظها ووعيها، كقوله: الدين النّصيحة.

لذا نرى من الواجب علينا العمل على جمع ما صحّ من الأقوال الزّاخرة بأنواع فنون القول وزخرفها، لتدريسها لأبنائنا الطّلبة في أطوار مراحل التّعليم المختلفة، فمن جهة نعرّفهم بجانب مهمّ من أوصافه عليه الصّلاة والسّلام، ومن جهة أخرى يكون لهم هذا كتدريب، على الكتابة والخطابة، فينهلون من معينه.

هوامش البحث

---

(1). http://portal.shrajhi.com/Media/ID/6775

(2). الجامع لشعب الإيمان، الإمام الحافظ، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرّشد ناشرون، ط1، 1423هـ/2003م، العربيّة السّعوديّة، ج509/2، وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي مصطفى صادق، ص 289-290.

(3). رواه البخاري، ومسلم

(4). الجامع لشعب الإيمان للبيهقي، ج13/3.

([5]). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي عبد الرحمان جلال الدين، تح: مجموعة من العلماء، دار الجيل، بيروت، ص 35/34.

([6]). المرجع نفسه ص35.

([7]) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص316.

([8]). فتح الباري ج440/6، الشفاء للقاضي عياض 1 ص38 نقلا عن تاريخ آداب العرب ج2 ص290 الرافعي.

([9]).الجامع لشعب الإيمان، (م س) ج509/2.

[10]) خرجه أبو يعلى عن عمر، والدار قطني عن ابن عباس، الجامع الصغير 563/1.

([11]).البيان والتّبيين، الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان، (د ط)، ج8/2.

([12]).إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، الرّافعي مصطفى صادق، مكتبة رحاب، (د ت)، ص300.

([13]). المرجع نفسه ص282.

[14] . الحديث الشريف والبلاغة النبوية، البوطي محمد سعيد، دار الفكر، 1432هـ/ 2004، ط1،ص 41/40.

[15] . المرجع نفسه، ص 48.

([16]). وحي القلم، مصطفى صادق الرّافعي، دار ابن حزم، ط1426،1هـ/2005م، ج745/3.

[17] .البيان والتبيين، ج1،ص 91.

[18] . تاريخ آداب العرب، الرّافعي مصطفى صادق، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج27/2.

[19] . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، سيد أحمد الهاشمي، دار ابن خلدون، (د ط وت)، ص139.

[20] . الحيوان، الجاحظ، أبو عمرو بن بحر، تح: عبد السّلام هارون، ط2، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، (د ت)، ج3، ص 86.

[21] . ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، الرّمّاني، الخطّابي، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت)، ص820.

[22] .كتاب الصّناعتين، العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: محمد أمين الخانجي، مطبعة محمود بك، 1319هـ، ص 80.

[23] . فيض القدير، المناوي ج1 ص 563، نقلا عن: مباحث في علم البلاغة وإعجاز القرآن، محمد رفعت أحمد زنجيرط 1428هـ/2007م، دبي، المساهم ص 44.

[24] . صحيح سنن الترمذي، الترميذي، الإمام الحافظ محمّد بن عيسى بن سورة، محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، الرّياض، ط1، 1420هـ/2000م، حديث رقم 2318/ج62/2.

[25] . المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ابن الأثير ضياء الدّين، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النّهظة، ط2، ص 323.

[26] . المثل السّائر، ص327.

[27] . المثل السّائر ، ص323.

[28] . المعين في البلاغة، قدري مايو و إميل يعقوب، المعين في البلاغة، ص 219.

[29] . الإعجاز في القرآن والبلاغة النبوية، الرّافعي، ص 300.

[30] . الحيوان، ج3، ص 86 (م س).

[31] . الحيوان، ج6، ص 7.

[32] . العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، القيرواني ابن رشيق، الحسن أبو عليّ، تح: محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ/ 1981م، ج250/1.

[33] . كتاب الصناعتين، العسكري، ص194/193.

[34] . المرجع نفسه، ص176.

[35] . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ص 268.

[36] . المرجع نفسه ، ص 285.

[37] . تاريخ آداب العرب، ج250/2.

[38] . ضياء الدين لابن الأثير، ص 327.

[39] . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي،ص283.

[40] . بلاغة الحديث النبوي، ص 33.

[41] . المرجع السابق،ص 33.

([42]). الخصائص، أبو الفتح ابن جنّي، تح: محمد علي النجّار، دار الكتب المصريّة، المكتبة العلمية، (ن ت) ج34/1.

[43] . بلاغة الحديث النبوي، ص 48.

[44] . البخاري 254/2.

[45] . البخاري 292/5، 52/3.

([46]).ديوان النّبغة الذّبياني، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، ص74.

[47] . البخاري 5 /50، مختصر صحيح البخاري، رقم 2612، ص 240.

[48] . البخاري 182/8.

[49] . صحيح البخاري.

([50]). ديوان الحطيئة، ، حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 1426هـ/2005م، ص66.

([51]). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، سيّد أحمد الهاشمي، دار ابن خلدون، الإسكندريّة، (د ت)، ص 14.

[52] . البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت لبنان، مصطفى هدارة، ص93/90.

[53] . الإمعان، ص96.

[54] . البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أنيس، دار المعارف مصر، 1964م، ط 16، ص 110.

[55] . البيان والتبيين،ص406، دلائل الإعجاز، الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد، تح: محمود بن محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3، 1413هـ/1992م، ص25.

[56] . في البلاغة العربية، (المعاني البيان البديع)، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، بيروت لبنان، (د ط)، ص391.

[57] . البخاري 115/9.

[58] .في البلاغة العربيّة، (م س)، ص495-503.

[59] . في البلاغة العربيّة، (م س)، ص633.

[60] . سجع أم فواصل، أحمد الحوفي، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، 1971م، ص114.

[61] . كتاب الصناعتين، العسكري، ص 260.

[62] . صحيح البخاري 20/2.

[63] . معجم مصطلحات العربية في الأدب واللغة، مجدي وهبة وكمال المهندس، (د ط، ت)، ص197، وينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص 333.

([64]). المثل السائر في أدب الكاتب و الشّاعر، لضياء الدّين ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النّهضة مصر، ج211/1.

استراتيجيات الخطاب الموجه لتبسيط العلوم

Popularizing science strategies

ابتسام خلا ف *

تاريخ تقديم البحث **2017/11/14** تاريخ القبول **2018/03/24**

ملخص

إن الخطاب الموجه لتبسيط العلوم هذا الشكل السائد والتاريخي لنشر العلوم داخل الشعب مع ما تحمله هذه التسمية في طياتها من خلفية تاريخية واجتماعية وثقافية إنما هو فن أدبي قديم يعود ظهوره لأكثر من خمس قرون ، عمل على نقل المعارف إلى الشعب على نطاق واسع مختصرا الوقت والمسافات، وجاعلا التواصل أكثر يسرا بعد أن أنزل العلوم من برجها العاجي وعمل على عرضها بطريقة مسرحية ينجذب إليها العام والخاص من الناس.

تتطرق هذه الدراسة بالتحليل إلى أهم استراتيجيات هذا الفن الأدبي.

الكلمات الدالة: الخطاب الموجه لتبسيط العلوم، إستراتيجيات

Abstract

Popularizing science discourse is a historical form of divulging science among people with all the social, cultural and historic background hidden behind its appellation.

This art returns back to five hundred years ago when it appears for the first time as a mean that facilitate knowledge-communication to people using a very reduced time and distance. So that, science had been dismount from its ivory tower and presented in a theatrical way attracting all kinds of people.

This study exposes the most important strategies of this art.

Keyboard: : Popularizing science discourse, strategies

* جامعة البليدة 2، الجزائر .

مقدمة

إن معظم الظواهر الاجتماعية قد تمت دراستها من قبل علماء الاجتماع ، أو الفلاسفة أو علماء النفس الاجتماعيين وأحيانا من قبل باحثين يلجؤون في بحثهم أساسا إلى أدوات التحليل الكمي فتصطبغ بذلك تعاريفهم بصبغة توجهاتهم وتكوينهم وتجاربهم وكذلك كان الحال بالنسبة لمفهوم "vulgarisation scientifique" الذي أقدمت على تعريفه مقاربات في مجالات تخصص شتى منها علم الاجتماع اللغوي، السيميائية، علم الاجتماع و اللسانيات.

وفي مقدمة لـ Jacobi [1] ، يقدم Grize التعريف التالي لـ vulgarisation الذي يحدد إحدى وظائفها ألا وهي:

«نقل خطابات غامضة في ذاتها، لا أقول بلغة التواصل اليومي، ولكن بأسلوب يفهمه غير المتخصص».

يقترب تعريف Albertini et Bélisle [2] من التعريف السابق ويضيف له وجهة النظر المزدوجة للجمهور المستهلك ولقناة التواصل:

«إنها مجهود ترجمة لغة المتخصصين المشفرة، بخصوص موضوع معين إلى جمهور ما، بواسطة قناة مختارة».

إذا أضفنا النعت "scientifique " للمنعوت "vulgarisation " فإن تعاريفا عدة تُسند إليها نذكر منها: تعريف Jacobi [3] الذي يقول فيه أنها " كل مجال ممارسات النشر الاجتماعي للعلوم"

---

[1]- Jacobi, D, La communication scientifiques, Presses Universitaires de Grenoble, 1999, P64.

[2] - Albertini, J-M, et Bélisle, C, Les fonctions de la vulgarisation scientifique et technique, In Jacobi, D et Schiele, B, Vulgariser la science, le procès de l'ignorances, Seyssell : Editions champ vallon, 1988, PP225-246

[3] - Jacobi, D,Opcit

يزعم Jurdant أنه يمكننا تعريف "vulgarisation scientifique" بطرق عديدة وأن أشهرها تلك التي ترى فيها ضربا من التعليم العلمي العالمي، تنشره بخاصة وسائل الإعلام وليس هدفها تكوين مختصين ولكن هدفها ضمان وجود للعلم داخل الثقافة العامة للناس حتى يتسنى لهم فهم أكثر لمحيطهم اليومي.

إن Vulgariser هي قبل كل شيء تبسيط وجعل أقوال الخبراء في متناول غيرهم غير انها تعني أيضا **الجذب**،'يحسن إلباس العلوم حلّة جميلة لتظهر كل الروعة التي بداخلها، في كلمة واحدة، لجعلها محبوبة **التبسيط والجذب** هما إذن خاصيتان الأساسيتان في هذه العملية"،

نعرف vulgarisation scientifique ببساطة على أنها تهدف إلى توضيح نتاج هذا التقدم العلمي أو ذاك. التواصل العلمي communication scientifiqueيتبع منطق التبليغ العلمي، والتعميم الإعلامي للعلوم (vulgarisation scientifique) يخضع أساسا لمنطق الاستحواذ العلمي. فهو يقوم بترجمة الرسالة من أجل توضيح معناها.

أصل كلمة " vulgarisation "

" De nos jours, cela s'appelle, hélas ! Vulgarisation, le mot est affreux, la chose l'est souvent " –

- André George-

في اللغة اللاتينية ، يحتمل فعل"vulgare"معنى عاما ، فاللفظ يمكن ان يدل على مرض ينتشر- على صوت يمتد كما على امرأة تسعى لإظهار محاسنها -، في العصر الكلاسيكي ، يقال"maladies vulgaires" للدلالة على الأوبئة . من المؤكد أن الفعل المعرف بهذا الشكل لا يخلو من الإيحاءات السلبية : فنشر ، هو أعدى ، و هو كشف ، وهو فجر. غير أن المفهوم الأولي على خشونته لا يخص فئة اجتماعية أو إنسانية بعينها، فدلالة اللفظ تستحضر الانتقال المادي للمعلومة أو لأي شيء أخر أكثر من معالجتها .

مع ذلك ،فالفعل " vulgare " قريب من " vulgus " الذي يشير تحديدا الى فئة اجتماعية : الشعب ، الشعب الفعلي ، عامة الشعب ، وهو الذي

يتساوى في حياة المواطنة الرومانية (وغيره هوpoplus) ف "vulgus" ليس الشعب الذي ينتخب ، بل هو الشعب الموجود ، الذي تعج به الطرقات ، إنه الشعب الذي يعمل .

غير أن انزلاقا لغويا قد حدث ، فهذه الدلالة الاقتصادية يصعب تواجدها بطريقة ذاتية : كلما بحثنا عنها وحاولنا حصرها داخل القاموس وجدناها تمتزج باعتبارات ثقافية .فمثال Goaffit يمكن اعتباره تعريفا بحد ذاته :

« non consilium in vulgo » يقول حرفيا " لا يوجد قرار فكر فيه الشعب. نقيض " vulgus " هو القلة القليلة من المجتمع الروماني التي إن وجدت فهي ليست الغني ولكن الحكيم المثقف (sapiens) .

Vulgus : الضعف الاقتصادي يعد غريبا عن الثقافة .

لطالما لعبت القواميس الفرنسية في أمان تام على وتر (الفئة الاجتماعية ، الحكم الثقافي) . في سنة 1964 جمع قاموس Académie بين معنيين للفظ " vulgaire " مشيرا الى أنه " ما هو معمول به عند العامة " ،وأن النعت يمكن ان ينطبق على "مشاعردنيئة ، أفكار وضيعة ، كما هي عادة عند عامة الشعب" . وهنا الاستعارة المكانية تدمج خلطا تلقائيا ثم تكتب المعادلة تحديدا : فظ fruste = دنيءbas = شعبيpopulaire ، كما أن المثال المقدم يؤكد هذه المساواة بين الدونية الاجتماعية و الدناءة الثقافية : " الأناس البارعون لا يفكرون عادة كالعامة ". و من الملاحظ قدرة اللغة الكلاسيكية في صنع هذه الالفاظ المركبة المعاني في ظل توازن غيرثابت بين الجانب الاجتماعي و الجانب الثقافي ، ومن بين الالفاظ : لفظ " habile " (بارع) ، الذي اشتهر على يد الكاتب pascal .

وبذلك تكون مفهوم هجين، متعلق بالاقتصاد و مستقل عنه في الوقت ذاته فالسوقية " la vulgarité " هي كفئة اجتماعية معلقة لوحدها ، وحتى و إن ميزت في كثير من الأحيان الطرق و الآراء الشعبية ،فهي من الجانب القانوني تخص كل المستويات .حافظت النسخ الموالية للقاموس «Académie» على هذا المنطق، مع العمل على جره شيئا فشيئا الى تراكيب أقل حدة: فمثلا في سنة 1835 يجري الحديث عن "" أفكار ركيكة و مبتذلة " trivialité" ، وعن "مشاعر عادة ما تكون عند عامة الشعب"، تم حذف النعت التحقيري

(bas :دنيء) لوجود الشحنة الضمنية داخل الكناية. في ذات النسخة تم تعويض أناس بارعين (gens habiles) بأناس متنورين (gens éclairés).

لا يجب اهمال كل هذه التعديلات الطارئة فهي تشكل حكاية نسجت على خلفية كل مشروع تعميمي، فما كان من التدرج الطبيعي البحت (bassesse : دونية) صار درجة في اصالة الاستعمال(trivialité :ابتذال)و ما كان تبريرا للاستحقاق (habileté: براعة) صار مرجعا للتفكير العقلي (lumière : تنوير)

- وورد في قاموس robert تعريف للفظ كمايلي :

يطلق " vulgaire" على ماهو خاص بطبقات المجتمع التي ترغب الأيديولوجية السائدة في إخراجها من نظام القيم الخاص بها ، يضيف Robert بنوع من الفكاهة " إن هذا المفهوم متغير بحسب الوضعية الاجتماعية والثقافية للقارئ" .

- هكذا اذن ترسم الايتومولوجيا الخاصة بلفظ " vulgaire" ، و هي تجر أيديولوجية حملها التاريخ للغة . على هذا الوضع المبهم ، بين الجانب الاجتماعي و الفكري دخلت كلمات جذر "vulgus" في اللغة و هذا هو لفظ vulgariser " الذي ظهر في أوائل القرن التاسع عشر، بعيد حين من اللفظ المهجور " vulgarisme " (ابتذالية) ومن اللفظ الذي لايزال منتعشا : " vulgarité " (سوقية) . إنه بالفعل المجتمع عينه الذي وظفته Mme de Stael

في" حظر الى الأبد كل الاشكال التي تفترض قلة أناقة في الصور وقلة لباقة في الموقف" والذي "سينكب على نشر مكاسب العلم داخل النظام الاجتماعي ".

- جدير بالذكر ان هناك علاقة بين الاسمين المشتقين من النعت :

ف " la vulgarité " تبعد ثقافة المجتمع الأخر،و " la vulgarisation " تعبر عن الجهد الواعي لإشراك الاخر في الثقافة الشخصية ،و المشتهرة عالميا. الحركة ذاتها تشكل الهوة وتعمل على سدها (أو على إعادة بناءها لصالح الثقافة الشرعية).

لقد استخدمت اللغة الكلاسيكية لفظين أخرين للتعبير عن عملية قريبة مما يطلق عليه " vulgarisation " (تعميم) .الاول هو " populariser " (أشاع في الشعب)، الذي نجده في قاموس l'Académie لسنة 1964 مقترنا بالمثال :

" il a popularisé la science par ses ouvrages" لقد اشاع في الشعب العلم بمؤلفاته .

وورد في النسخة ذاتها :

« Rendre une science populaire, la répandre en tous lieux, la rendre accessible à tous les esprits »

" شعبنة العلوم، نشرها في جميع الأماكن، جعلها في متناول جميع العقول ، أما اللفظ الاخر والذي ليس خاصا بالعلم فهو " Interpréter " (التأويل) والذي

أعطاه Richelet تعريفا عاما ينطبق جيدا على مجالنا :

"التأويل interpreter" هو: شرح شيء يستعصي فهمه، أو شيء لا يفهمه الاخرون والذي نقوم بإفهامهم إياه عن طريق إستخدام كلام يفهمونه، أو كلام أقل صعوبة.

- فكرة التأويل تقرب نوعا ما شرح العلوم من عمليتين ثقافيتين أخريين: عملية شرح وتوضيح النصوص المقدسة، وعملية ترجمة الاصطلاحات الأجنبية وهما نموذجين ما أكثر ما نجدهما.

في منتصف القرن التاسع عشر عندما تطور المشروع التعميمي صارت القواميس في تردد، تم التركيز على النشر ولكن دون تحديد نوع التوسع الاجتماعي المقصود فمثلا ظل قاموس Bescherelle 1871 يفضل استخدام " populariser " مرادا به مجال الدراسة المقصود من العلوم و مشيرا الى " vulgariser " على أنه كلمة محدثة . واحتفظ قاموس l'Académie" في عام 1879 باللفظين populariser وvulgariser مع تعريفين مترادفين، غير ان طبعة عام 1935 للقاموس سجلت بطلانا لاستخدام"populariser" المهجور وعرفته كالاتي:

« Rendre populaire, répandre, vulgariser » هو " شعبنة ،نشر، تعميم ".
يذكر Yves Jeanneret:"إن الاختيار الذي قامت به لغتنا خلال القرن التاسع عشر يبدو لي كاشفا عن طريقة ما لطرح مشكلات المعرفة و الأحكام عن السلوكيات و الفئات الاجتماعية.إن البرجوازية ذهبت الى الشعب من أجل تبشيره : إنها تبلغ له علومها ، عقلانيتها، معارفها تقنياتها و تطبيقاتها.

غير ان هذه العلوم لا تنتقل الى عن طريق التبادل وهذا ما يفسر الاضطراب المعنوي المستمر بين القيمة الإيجابية للفظ vulgariser (الذي هو مرادف للتبشير) والقيمة السلبية له(vulgariser هو تشويه ، صنع المبتذل) . تستحضر الايحاءات السلبية للفظ والتي لا يمكن فصلها، دناءة الفائدة المادية ، تهديد سوء الاستخدام من طرف الشعب للمعارف كما تأكيد وإثبات التفريق الراسخ بين أولئك الذين يعرفون وأولئك الذين يجهلون.

إن المقارنة مع الإنجليزية بهذا الصدد مفيدة، فاللغة الإنجليزية تستخدم بسلاسة لفظ"popularization"(شعبنة) والذي يوافق تركيبه أكثر المعنى المستخدم لأجله، ذلك وأن الإنجليزية لا تجهل اللفظ الاخر ولكن العملية لا تجرى بنفس الايحاءات.

تستخدم اللغة الإنجليزية لفظ "vulgarization" للتعبير عن النسخ المشوهة لعملية التعميم وفي دراسة أجراها Peter Farago بخصوص العلوم عن طريق الاعلام شاهد على ذلك،فلفظ "vulgarization" يجدر أن يستخدم لنعت مصادر الخطأ:

« such misunderstandings are often blamed on the science journalist , on his love of scare story , on his attempts to dramatize and vulgarize the solid if unremarkable achievements of scientists »

" إن مثل هذه الأخطاء في الفهم عادة ما تنسب الى الصحفي العلمي لحبه للقصص المؤثرة ،لمحاولاته لمسرحة و(تعميم) الإنجازات الخفية و الحقيقية للعلماء" .

ثم يذكر الكاتب معرفا مستلزمات النشر الجيد للعلوم، قوله:

« It should not even vulgarize-in the worst meaning of the term- by oversimplification and the drawing of tedious parallels between a few facts of science and the everyday experiences of its markets »

"لا يتعلق الامر حتى بالتعميم [vulgarize] -بالمعنى السلبي للكلمة -حين يتم التبسيط وحين يتم اجراء مقارنات تمويهية بين بعض الاحداث العلمية و تجربة الجمهور اليومية ".

لقد تم ادراك الايحاءات السلبية للفظ vulgarisation في فرنسا ، ابتداء من سنة 1970 ،وظهرت تعابير أخرى منها : المعلومة العلمية l'information scientifique ،التواصل

العلمي communication scientifique ، الإذاعة العلمية divulgation scientifique ، الثقافة العلمية و التقنية culture scientifique et technique ، كما ان الملتقى الأوروبي المنظم سنة 1970 قام بدراسة : " تقديم العلوم للجمهور" و تم انشاء "مفوضية للمعلومة العلمية" ، والأمثلة عديدة في علم تنظيم المتاحف ،النشر و العملية الثقافية: وصار على الباحث الذي ينجز قائمة للمصادر حول الموضوع معتمدا على فهرس المكتبة الوطنية الفرنسية أن يغير العنوان إبتداءا من سنة 1980 ، متوجها الى مداخل أخرى كالمعلومة العلميةinformation scientifique بدل vulgarisation ،هذا من جهة. من جهة أخرى فإن قاعدة المعلومات الحاسوبية للمكتبة ظلت محافظة على مدخل vulgarisation ، و لهذا التردد دوافع دون شك .

لم يحدث الاجماع و التوافق على لفظ واحد في الفرنسية يعبر عن هذه العملية الخاصة لنشر العلوم لغير المتخصصين، كما فعل لفظ vulgarisation ذلك أن مصطلح "information scientifique" (المعلومة العلمية) تتعلق في الوقت ذاته بالمطالعة اليومية للباحث كما بإعلان أحدث الأخبار العلمية، وأن مصطلح "popularisation" ينقل اليوم إيحاءات سياسية أخرى، فنجد مصطلح "populariser" (شعبنة) ، هو العمل على جعل فكرة أو شخص يحظى بشعبية داخل الناس ،و هذا بذاته تسويق سياسي و ايديولوجي.

إن عدم إمكانية الاستعاضة عن "vulgarisation" في معجم المفردات بمكافؤ مرض هي إشارة في حد ذاتها الى ان الارتباك و التردد هنا ليس عرضيا و لكن مرتبطا بتاريخ و أن إزالتها ليس بالأمر اليسير وأن التاريخ اللغوي يكشف قبل كل شيء عن الروابط الوطيدة بين العلم والتصنيف الاجتماعي، من اجل ذلك يجدر تقدير نتائج هذا التنافذ الذي تفرضه الدراسة المعجمية، تقديرا جيدا من الجانب الاجتماعي (social) و من الجانب الادراكي (cognitif) .

"لا يتعلق الامر بتعريف الجانب الاجتماعي بالجانب الاجتماعي " على حد تعبير دوركايم[1] ، و لا هو علم اجتماعي خاص للثقافة " على حد تعبير بورديو[2] ، ولا هو "تاريخ للعقليات" وفق آنال[3] .

إنما في " la vulgarisation " كما عبر عن ذلك [4] Yves Jeanneret :

« Nous sommes dans le social en tant qu'il détermine le cognitif et dans le cognitif en tant qu'il constitue du social (...) Le mot est là parce que le problème est là. Le mot est gênent par ce que le problème est gênent

ولعل ما يجعل الامر اقل تعقيدا فيما يخص ترجمة اللفظ الى اللغة العربية طبيعة المجتمع العربي في حد ذاتها التي تختلف عن طبيعة المجتمع الفرنسي وتاريخيهما المختلفين واختلاف علاقة تأثير كليهما بالجانب الادراكي والمعرفي وتأثرهما بهما في التصنيف الاجتماعي.

ولقد اخترنا مصطلح "**التعميم الاعلامي للعلوم**" كمقابل في العربية للمصطلح الفرنسي " vulgarisation scientifique" لأن:

Vulgarisation scientifique = simplification + séduction+peuple+ canal(media)+science

وأن التعميم الاعلامي للعلوم= عامة الناس+تبسيط+ جذب+وسائل الاعلام+علوم

وظائف خطاب التعميم الإعلامي للعلوم:

1- Jacobi, D, Textes et images de la vulgarisation scientifique, Berne, Editions Peter Lang, 1987, P8.

2 - Jacobi, D, Opcit

3 - Jacobi, D, Opcit

4 - Jeanneret, Y., Ecrire la science, formes et enjeux de la vulgarisation scientifique, Editions universitaires de France, Vendôme, 1994, P.12

يعرف [1] Radcliffe-brown وظيفة عملية ما على أنها "الدّور الذي تؤديه في الحياة الاجتماعية ككل ومن ثم مساهمتها في المحافظة على الاستمرار البنيوي".

إن التساؤل بخصوص الوظائف التي تؤديها داخل المجتمع العصري مختلف العمليات والممارسات الاجتماعية التي تغطي عبارة "التعميم الإعلامي للعلوم" "Vulgarisation scientifique et technique" يسمح بفهم أكثر لتطورها وخصوصيتها في آن واحد، خاصة وأنه يمكّن من وضع العلوم كطريقة للتفكير، والتقنيات كطريقة للعمل في سياق عصري.

▪ تجاوز مجرد "نقل المعارف":

من وجهة نظر تربوية بحتة، فإن عملية التعميم الإعلامي للعلوم يقوم أساسا على نقل المعارف إمّا عن طريق إعادة الصياغة وتبسيط القوانين والنظريات، أو عن طريق عرض المعلومات العلمية الآنية. أما بخصوص العمليات التجريبية التي من المحتمل أن تهتم بها عملية التعميم، فإن دورها هو اقتراح مدخل للمنهج العلمي وتكوين للتجريب، وذلك بخلق علاقة مع الشيء، مع التجربة، ومع الظاهرة.

وبعيدا عن التجربة، فإن الإلحاح على ضرورة اللجوء إلى التجريد من أجل وصف وشرح بعض الظواهر من شأنه السماح أولا بتكوين مبادئ تنظير الظواهر (عن طريق تبرير إعداد الأدوات التصورية والشكلية)، وثانيا بالنمذجة (عن طريق إيراد مفاهيم التقريب والنماذج) وثالثا بالتمثيل القياسي (عن طريق شرح النماذج الرقمية والمعلوماتية)

غير أن اختصار أهداف عملية التعميم الإعلامي للعلوم في هذه الظواهر المدرسية يعدّ إجحافا، وإلاّ فما الذي يميزها عن عمليات التكوين العلمي المختص؟ ذلك أن جمع وتعلم المصطلحات والقوانين يتطلب نضجا بطيئا وتحصيلا تدريجيا للأدوات والنماذج العلمية التي قام بها العلماء خلال قرون متطاولة من الزمن وبما أنه في إطار عملية التعميم الإعلامي للعلوم لا يتوفر كل هذا الوقت فإن المهمة تبدو دائما مثالية ووهمية، رغم ذلك فإن

[1] - Labov, W, Le Parler Ordinaire, 1987, Minuit, P300.

العلماء الذين يمارسون عملية التعميم يفضلونها ويحرصون عليها، فما هو الدور المرجو منها يا ترى؟.

▪ دور "تربوي" بالمعنى العام:

بداية، وحتى لا ننفي كليا علاقة التعميم الإعلامي للعلوم بالعلم الأكاديمي، لنفترض أنه بدل جعله في درجة اكتساب المعلومات العلمية، فإنه يحاول فقط الحث على تسهيل تداول وضبط المعلومات والمعارف القبلية، ثم إن الباحث بحكم صرامته وتطبيقه لمبادئ القياس يمكن أن يساهم في نوع من التربية على "الحقيقة" العلمية بالتكوين على فكّ وفرز المعلومة، التحسيس بالقياس والنسبية وغيرها، وهي مؤهلات تزداد الحاجة إليها في عالم يعج بمعلومات عادة ما تكون ذاتية وفيها ما فيها من التناقص، فضلا عن ذلك فإن الإعلام العلمي بمختلف أشكاله التفاعلية بإمكانه المشاركة في نوع من "التكوين الذهني" بإثارة الفضول وروح الملاحظة والنقد، ومهارات التفكير والبحث.

▪ "فتح الشهية" للعلوم:

لا يمكن تصور أنه من الممكن نقل أكثر من حب وانفعال العالم تجاه العلوم خلال حصة تفاعل قصيرة ومنتظمة مع الجمهور، وفتح شهية هذا الجمهور للعلم هو بذاته إنجاز لا يستهان به ،ففي حالات كهذه لا يتعلق الأمر لا باكتساب العلوم ولا حتى بتكوين تفكير علمي وإنما ببساطة تسهيل الوصول المستقبلي للجمهور للمعرفة عن طريق بيان الطرق الممكنة وإعطائه الدفع اللازم كذلك.

وهكذا يمكننا في الأخير اعتبار التعميم الإعلامي للعلوم أداة تعويد، ودفع وراحة وانبهار. إنها العلوم إذن في أكبر استعراض و "إخراج مسرحي" لها(spectacularisation et mise en scène de la science) كعنصر ثقافة، ما يمكن من استعمالها لأغراض ترفيهية واستعراضية مع التمكين من قدر من الفهم للعالم، ذلك الفهم الذي كونه العلماء خلال قرون من الملاحظة المتمعنة واخترعوا به أدوات إدراكية من شأنها التأثير في عالمنا اليوم كما قد يوفر هذا القدر من الفهم نوعا من اللذة الجديدة كتلك التي نحس بها حين نرفع أعيننا إلى السماء في ليلة صافية بدون قمر والكوكب التي تعلمناها في يوم ما عند زيارتنا للقبة الفلكية فنتمكن من تمييز النجم والسّديم الاصطناعية. ألا نشعر بمتعة خاصة عندما نتذوق طبقا مميزا ويكون في وسعنا التمييز بين مكوناته الخفية ونكهاته المختلفة؟.

القدرة على التفريق بين النباتات، الطيور الصخور، الروائح خلال نزهة ألا تعطي المرء إحساسا بالانتماء الحقيقي لهذا الكون؟ كما كتب ذلك Hubert Reeves في مقدمة كتاب Petit guide du ciel

كذلك فالتعميم الإعلامي للعلوم يحتمل أنه يستمد معناه الحقيقي من هذه القدرة العجيبة على تحويل الرؤية إلى إبصار والسمع إلى إنصات والإدراك إلى متعة.

وباختصار فإن التعميم الإعلامي للعلوم يمكن أن يهدف في آن واحد إلى نقل المعارف، الحث على أشكال أخرى للتفكير، إثارة الفضول والحس النقدي، إعطاء صورة عن حياة العالم، تسهيل التواصل ومناقشة المشاكل الاجتماعية، التكوين على حد "تعقيد" ونسبة "الحقيقة العلمية"، "فتح الشهية" للعلوم، الإجابة عن تساؤلات أخلاقية وميتافيزيقية ،الترفيه...الخ، فتحمل بذلك هذه العملية بعدا ثقافيا حقيقيا يتعدى مجرد إعادة صياغة للمعارف الأكاديمية.

استراتيجيات الخطاب الموجه لتبسيط العلوم

البنية الشكلية لنص التعميم الإعلامي للعلوم:

يفتتح النص عادة بملخص ثلاثي:

العنوان: الذي يعلن عن موضوع النص.

- **المدخل**: (Le chapeau) بالخط الرفيع المائل: يوضح أكثر العنوان المجازي والموجز السابق

الملخص: يتم تلخيص المعلومة من جديد

بعد الملخص، تتواجد جملة وحدات سردية تحدد إطار الاكتشاف.

منهجا العرض في نص التعميم الإعلامي للعلوم

يفضي تقصي قرائن العرض داخل نص للتعميم الإعلامي للعلوم إلى ملاحظة أن هذا النص يمكن تقسيمه إلى منهجين للعرض متمايزين بوضوح هما:

أولاً **عرض حال** للبحث العلمي الأصلي والذي يعتبره كذلك قراء متخصصون أو على درجة عالية من الاطلاع.

ثانياً **مجموع يوضح المفاهيم العلمية الكبرى** للقراء غير المتعودين على اللغة المتخصصة.

يؤكد تحليل أكثر دقة على تباين في العرض يسمح بتمييز مستويات مختلفة (registres)، **مستوى التعميم العلمي** (registre de vulgarisation) يتميز بتطفل (أو بعيدا داخل النص بإعادة ظهور) المحرّرين، كما يظهر ذلك الضمير "نحن " أو حتى تصريف فعل مع هذا الضمير. وعلى العكس، فإن **المستوى العلمي** (registre scientifique) يُستدل عليه بإمحاء المحرّر، ويغلب عليه البناء للمجهول والبنيات التركيبية التي تخفي الفاعل لتصير بذلك الأشياء فاعلة مستقلة تتصرف من تلقاءها.

تسهل معاينة ترجيح هذا المستوى على المستوى الآخر، فمقاطع التعميم العلمي تبتدئ دائما بصياغة لسانية تفسيرية (tournure métalinguistique) قد تبدو ضئيلة ولكنها حقيقية: يتعلق الأمر بفعل الكينونة "Être" مسبوق أحيانا بفعل افتتاحي للوظيفة التفسيرية: "examinons, faire quelques rappels".

من وجهة نظر تخص العرض فإنه يمكننا، في كل من الأجزاء السابقة، التمييز بين مستوى علمي ومستوى تعميمي. ويترتب عن ذلك تقسيم المقولة إلى نوعين متمايزين من العرض، إلا أن أحدهما (التعميم) يحتل حوالي 4/7 من الأجزاء في النص.

السردية (La narrativité):

تعد البنية السردية دائمة الوجود ومتعددة الأشكال داخل نصوص التعميم الإعلامي للعلوم، حتى أنه من شدّة وجودها يتوجب الأمر بذل مجهود لمعاينتها ذلك أنها تبدو طبيعية داخل النص فما هي أسباب تواجدها؟ ما أشكالها وتأثيراتها؟.

السبب الظاهر الأول هو من باب البلاغة، كما عبرت عن ذلك Martine Barrère[1] "من أجل جذب إهتمام القارئ، فإننا نروي له قصة. الحدث العلمي الذي نريد نقله نقوم بكسوته"

---

[1]- Barrère, M, Les principales difficultés dans la vulgarisation scientifique viennent du milieu scientifique lui-même, vulgariser, un défi ou un mythe ?, p18.

2 - Jeanneret, Y., Ecrire la science, formes et enjeux de la vulgarisation scientifique, Editions universitaires de France, Vendôme, 1994, P.12

سرد قصة هو كما في الرواية أو في المقال الصحفي، عامل كلاسيكي لجذب الانتباه. وهو أيضا طريقة إلتزام التحفظ بالنسبة للمتظاهر بالمعرفة. هذا من دون شك سبب كافي لتظهر نصوص التعميم الإعلامي للعلوم على شكل وحدات سردية متعاقبة بدل الظهور على شكل مقالة مبنية بوضوح وفق مخطط. الجمل المستهِلّة (أو Les incipit وهي الجمل التي يستهل بها النص) تقدم مثالا نوعيا تكون فيه وظيفة القصة غالبة، والتي غالبا ما يكون بالإمكان حذفها دون التأثير في المحتوى المعلوماتي للمقال: في هذه الحالة، يكون دورها هو جذب القارئ.

الميزة الثانية للقصة هي قدرتها على تكوين تفكير سببي بطريقة مرنة، وقد تعلم قارئ الروايات التنقيب داخل القصة لاكتشاف علامات العرض، لهذا السبب نجد التعميم الإعلامي للعلوم يستخدم كثيرا البعد المنطقي للسردية، فبعض القصص تعيد السلسلة السببية كبديل عن الحسابات أو التجارب مثلا والتي يجعلها الموقف هنا مستحيلة.

بتوظيف القصة جملةً من الظواهر، فإنها تشكل المعادل الأنيق، الرائع والاقتصادي لوصف منطقي موضّح. وهذا النوع من القصة ليس محصورا على التعميم الإعلامي للعلوم، فنجده كذلك في الرواية البوليسية أين يتعلق الأمر أحيانا بشرح السلسلة السببية التي تقود إلى حادث مذهل.ويبقى الأساس وفق Yves Jeanneret [2] في أمر آخر: يتوجب على نص التعميم الإعلامي للعلوم أن يبني مرجعه الخاص به إلا أن موقف التعلم متناقض، إذ لا تحيل غالبا الطرق والكلمات المقترحة للاكتساب، القارئ على أية تجربة، وهذا ما يميز التعميم الإعلامي للعلوم عن التعليم العلمي بجزيئية التجريبية والحسابية.

من وجهة نظر لسانية، يوجد تعلم في آن واحد للدّال (المعنى، المفاهيم) وللمرجع (الأشياء الموجودة في العالم التي تحيل إليها تلك المفاهيم). فيخرج الصحفي من هذا الحيّز الفارغ بالاستعاضة بكل من **القصة** (التي تسمح بتشكيل مرجع) و**الشرح** (الذي يمكن من التنظيم في مفاهيم). توالد القصص لديه إذن طابع واقعي، بالمعنى الأدبي: فهو ينتج نصا، كالرواية، عليه أن يبني بنفسه لقارئه العالم الذي يصفه.

وخلاصة لما سبق، فإن القصة ضرورية للإفهام وهي أيضا عامل جذب للانتباه. بإمكان القصة أن تندرج في مكان "الكتابة- القراءة" الذي نصفه بكونه علميا وأدبيا في الوقت ذاته، كما أن استخدامها من قبل القائمين بالتعميم الإعلامي للعلوم يصطبغ في آن واحد بالعوائق والصعوبات التعليمية وكذا بجماليات نوع الكتابة.

لاحظ[1] Jacobi فيما يتعلق ببنية القصة داخل نص التعميم الإعلامي للعلوم أن هذه الأخيرة (القصة) تخضع تماما لنموذج البنية أو **المخطط الخماسي** الذي اقترحه **Larivaille**[2] في كتابه "L'analyse (morpho) logique du récit" (1974) والذي يمكن التعبير عنه بالجدول الآتي:

I قبل الاكتشاف	II أثناء الاكتشاف			III بعد الاكتشاف
1	2	3	4	5
حالة معرفة أولية	تحريض أو إثارة	الفعل	النتيجة	حالة معرفة نهائية

-المخطط الخماسي لتقسيم الوحدات السردية للقصة_

إن نقل القصة على مخطط التحقيق العلمي، يوافق حقيقة نظام التحويل من **حالة معرفة أولية** (Etat initial) إلى **حالة معرفة نهائية** (Etat final) يمكن أن تكون متجددة، تتخللها حالة بينية (التحقيقinvestigation) من ثلاث مراحل أولاها **مرحلة التحريض** (provocation) وهي بمثابة شرارة الانطلاق الفعلية للقصة. ويطلق عليها في مخطط الاكتشاف العلمي مرحلة الاستبصار (phase de l'intuition) للحدث التي تعلن عن مباشرة الملاحظة الموثقة. يلي التحريض **مرحلة الفعل**، وهي توافق في المخطط العلمي مرحلة وصف التجهيز أو التركيب التجريبي الذي يجمع المعطيات. ثم تظهر **النتيجة** أو ما يسمى علميا التحقق من الاستبصار الأولي.

[1] - Jacobi, D, Du discours scientifiques, de sa reformulation, de quelques usages sociaux de la science, Langue française, 1984, PP 37-52.

2- Jurdant,B., Les problèmes théoriques de la vulgarisation scientifique, Editions des archives contemporaines , 2009, P151

تختتم القصة إذن بما يعرف بما بعد الاكتشاف أو لماذا كان علماء الطبيعة على خطأ، إلى غاية الهبوط الذي يعرّف التوازن الجديد للمعرفة.

أما عن شخصيات القصة، والتي لا يمكن سرد أي شيء بدونها، ولا حتى قصة العلم، فإنJurdant يقترح **مخططا للفاعلين** في قصة التعميم الإعلامي للعلوم (schema actanciel) وهو مخطط يمثل البحث عن شيء من قبل البطل. العالم الذي يغزو "المعلومات الجديدة"، مدفوعا بقوة "العقل" ولخدمة "الإنسانية" ومعه أو إلى جانبه الدول والمؤسسات التي توفر له المال والاعتماد وتعترض طريقه "الطبيعة" التي لا تنصاع ولا تخضع سهولة لبحثه.

هذا ويقودنا الحديث عن شخصيات القصة في نص التعميم الإعلامي للعلوم إلى إستراتيجية أخرى للنص تعرف بتعدد الأصوات.

تعدد الأصوات "Polyphonies" والحوار "Dialogue":

لا يعتبر التعميم الإعلامي للعلوم مجرد عملية وساطة، بل بنية نصية معقدة، تكون فيها عملية سرد قصة العلوم متعددة الأصوات. فوراء صورتي الكاتب والقارئ، يمثل التعميم الإعلامي للعلوم كل القائمين بالبحث العلمي وكذا أولئك الذين يعرفون سياقه الاجتماعي.فكيف يتم توزيعه لهم؟

في الغالب، يتم إقحام جملة من الأشخاص العمليين ينجزون أعمالا أساسية منها:

التحقيق، التجربة، الاكتشاف، المصادقة، إلى غير ذلك. أما تأويل النتائج فيحتاج زيادة إلى ذلك إلى أناس متخصصين في البحث العلمي يقومون بالبحث: يبحثون، يتصورون، يفهمون، ويجدون. أخيرا، فالوضع داخل قالب قصصي يستدعي مجموعة أشخاص متخصصين في فن الخطاب يساهمون إلى جانب الصحفي في تشكيل النص.كلهم لهم تدخل في القصة، وينسب إليهم المقال أدوارا مختلفة منها: إنجاز تجارب مصيرية، تقديم تصريحات اعلامية ،إعطاءأحكام مختلفة ، الارباك، تقديم العون للمتحدث الرئيسي للقيام بعرض تعليمي وغيرها.

يرجع هذا التوزيع بلا شك إلى القائم بعملية التعميم الإعلامي للعلوم، الذي يجعل منه عملية استعراض للعلوم، والتي من غير الصحيح اعتبارها مجرد خدعة أو سراب. تسمح

كذلك هذه المجموعة من الشخصيات بتوضيح المخطط الخارجي الذي تلمح بانتهاجه النصوص المتخصصة. بمعنى آخر، إذا لم يتم تبني جملة وجهات نظر متسلسلة، فإن العرض سيكون غير مفهوم. كون هذا الاعتبار جزءا مهما من عقد التواصل يقودنا إلى تبني وجهة نظر نرى بها العلوم، فإنه الوسيلة التي توصل القارئ إلى تصور محدد البنية لقصة جدل أو مناقشة ما.

من المؤكد أنه يلعب هذا الدور أحيانا على حساب جملة خيانات منهجية، أخطرها دون شك هو تقديم مكونات فرضية ما على أنها حقائق تجريبية وحتى حية.

إن نظام الشخصيات وأفعالهم يحوي إذن مجموعة وجهات نظر وأقوال تشكل الجزء الأكثر دلالة: يأخذ مسلك المعرفة غالبا شكل حوار (أو بالأحرى polylogue) يسمح لنا بالانتقال من تصور إلى آخر. ولهذا السبب يكون نص التعميم الإعلامي للعلوم عموما متعدد الأصوات. فالصحفي الذي يعرض بالتحليل حدثا علميا والباحث الذي يقترح خبرة فنية لمجال تخصصه ينتجان صدى لكل خطابي معقد، وعليهما في ذلك أن يأخذا في الحسبان الرأي العام الذي يتشاركه القراء، فيوظفان بوضوح ووعي النظريات الكبرى والقصص المؤسسة للمجال، ويعبران بقصد وبحبكة عن المواضيع الجدلية التي تحرّك المنظومة العلمية مستغلين من أجل نقضها أو استرجاعها لمصلحتهم، الأحكام الاجتماعية التي تواجه البحث.

يغلب التناص المشكل من المقولات والإشارات على النص والذي يدخل في تشكيله من البداية ولا يضاف عرضيا إلى خطاب التعميم الإعلامي للعلوم.

وخلاصة القول أن التفكير الجاد حول إستراتيجيات خطابات التعميم الإعلامي للعلوم يظهر أن "تعدد الأصوات" داخل هذه الخطابات ليست بالخاصية العرضية، ولا حتى بالخاصية التي لا تظهر إلا عندما يأخذ النص الشكل المعروف للحوار أو عند الإخراج الإعلامي فقط. إضافة لذلك، فإن خطاب التعميم الإعلامي للعلوم حتى حين يكون منولوجا في شكله، فإنه في بنيته حوار.

. الزمن والقرائن الزمنية في خطاب التعميم الإعلامي للعلوم:

1_ الزمن:

ينتشر في خطاب التعميم الإعلامي للعلوم نظامين زمنيين هما الماضي والحاضر، وبالإمكان الملاحظة، من بعيد، أن الحاضر (Le Présent) هو من الأفعال الأكثر إنتشاراً.

الجزء الخاص بالقصة في خطاب تعميم العلوم ترد فيه الأفعال في زمن الحاضر إلى جانب الماضي (Le passé) بأشكاله المختلفة (passé composé, plus que parfait, Imparfait). فيعرض الباحث القائم بالتعميم أو الوسيط أعمال الباحثين والعلماء السابقة في الماضي لتأصيل وتمتين الأبحاث الحالية وإعطائها الشرعية المطلوبة من خلال أعمال تمت برهنتها وإثباتها لعلماء أعلام قدامى، ثم يعمد إلى تحيين خطابه في الزمن الحاضر بعصرنة المعلومة وبالإشارة إلى أن ما يورده يحدث الآن. إذ أن القائم بعملية التعميم وبلجوءه إلى الحاضر، يخلق تأثيراً من نوع خاص، كما لو أن الفعل يحدث في لحظة القراءة أو أن القارئ كان شاهداً على شيء في طور الإنجاز. من الملاحظ، أن هذا الاستخدام للحاضر قد صار ممكناً عن طريق استخدام صيغة الاستمرار "Imparfait" الذي يخلق تفاوتاً زمنياً وينشئ لحظة أصلية، حتى ولو أن الاستخدام المكثف للحاضر لا يطرح صعوبات نوعية نظرا لتعدد وظائف هذا الزمن الذي بإمكانه تغطية كل الفوارق التي تمتد من الماضي إلى المستقبل كما سجل ذلك النحويون القدامى، إلاّ أن الاستخدام الحصري للزمن الحاضر في بنية سردية يمكن أن يجعلها تبدو فضّة غير لبقة.

ظهر في أعمال[1] Weinrichتقسيم وتقعيد لاستنباط أزمنة الأفعال من خلال المقابلة بين العالم المحكي والعالم التعقيبي (Le monde raconté et le monde commenté).

كل من الحاضر (Le présent) والماضي المسمي (Passé composé) والمستقبل (Futur) ينتمون إلى مجال العالم التعقيبي، في حين تنتمي الصيغ التالية للماضي (passé simple) و(imparfait) وكذا الأزمنة الشرطية (les conditionnels) إلى السرد والتاريخ.

ذكر Jacobi (1999 :64) أن إختيار إستخدام الماضي يدل على أن القصة في خطاب التعميم الإعلامي للعلوم يمكن تشبيهها بالقصة الإعلامية وبكتابة الأخبار المتفرقات واقترح

[1] - Weinrich, H, Le temps, 1973, Seuil

تمييز ما يسميه (الحاضر الإعلامي Présent journalistique) الذي يمكن موافقته لعبارة "كما ولو أنك كنت حاضراً هنا"، وتمييز "القصة -التقرير".

أضاف أن للحاضر وظيفة إشارية (fonction déictique) وأنه يركّب لحظتين زمنيتين، لحظة الاكتشاف ولحظة نقل القصة. ووفق Petit jean فإن هذه الخاصية للحاضر يمكن تفسيرها برغبة المتحدث في إعادة وضع الموقف المذكور في الكلام داخل العالم الحالي من خلال مطابقة المكان والزمان والحدث لمكان وزمان وحدث القصة.

إن تفوق الحاضر على باقي الأزمنة في خطاب التعميم الإعلامي للعلوم لا يجعله نصاً لا زمنياً فقد ميّز Jacobi (المصدر ذاته) بين أربعة قيم لهذا الزمن (الزمن الحاضر) هي:

الحاضر الحالي: "Le présent actuel"

الذي يمكّن القائم بتبسيط العلوم من التطرق إلى حدث علمي بطريقة تجعل القارئ يتخيّل نفسه يرى ويتأمل هذا الحدث في اللحظة التي يحدث فيها (نموذج التقرير)

الحاضر الوصفي: "Le présent descriptif"

يوافق اهتمام القائم بتبسيط العلوم بوصف مكان وإطار الاكتشاف، أو التطرق إلى دراسة تشريحية للحيوان، من أجل تمكين القارئ من تمثيل ما يتم الحديث عنه.

الحاضر الزمني: "Le présent temporel"

مقترنا بالحال أو بتركيبات لأفعال إجرائية، فإنه يمكن من تحديد الفوارق في السيرورة الزمنية. هذه الفوارق يمكن أن توافق صيغة **اللاّ منجز بعد** (Le non encore accompli)

أو صيغة **المنجز للتوّ** (le tout juste accompli) مقترنة بـ"on vient de"

أو حتى صيغ تدل على أن **الفعل جارٍ وقوعه**(entrain de s'accomplir)

الحاضر الدائم: "Le présent permanent"

هذه الصيغة الفعلية توافق ملاحظة يمكن اعتبارها كونية ودائمة المراجعة وهو يدل على تقنين المعرفة العلمية أو ثباتها لأغراض تعليمية

هذه الميوعة في قيم الحاضر تمكّن من تنظيم القصّة بسهولة أكثر من إيراد مجموع أفعال تصرف في الماضي بصيغة مختلفة (passé composé أو imparfait) تخلق أثراً قاطعاً، وبهذه الطريقة تندرج قصة التعميم الإعلامي للعلوم في نظام زمني بسيط وفعّال.

2_ القرائن الزمنية والروابط المنطقية:

تدعم القرائن الزمنية وتقوي مؤشرات الأفعال ،ندرك بمجرد التمعن في مؤشرات الأفعال هذه الترتيب الزمني للقصة، من جهة، ومن جهة أخرى مساهمتها في إبراز الاكتشاف الذي يتعارض مع ما تم التعرف عليه حتى الآن.

إن وضع الاكتشاف في قالب قصة مروية ومعاشة في الحاضر يمكّن القائم بتبسيط العلوم من إعادة إنشاء المراحل الأساسية التالية.

- وصف للحقيقة التي تكون في الوضع الابتدائي غير مكتملة الشرح.
- ظرف أو أحداث تمكّن الباحث من الحدس (وإذن من تكوين فرضية).
- وضع جهاز قادر على تلقي المعطيات.

تأكيد الفرضية التي تؤدي إلى الوضع الابتدائي: طريقة جديدة لفهم وشرح الحقيقة.ولكن هذا الشرح غير مكتمل، إذ يجب أن يكون معمقاً ومرفقا بملاحظات وتجارب أخرى.

تظل بعض الأسئلة عالقة وبحاجة إلى حلول. عن طريق هذا الطرح، وبالاستعانة بأسئلة بلاغية (مسبوقة بـ "لكن")، يقوم القائم بتبسيط العلوم بعزل القصة الأولى، وبهذا تصير مستقلة وتكتسب معناها.في الوقت ذاته، تعمل "لكن" على إنشاء بُعد خاص لما يسمّى: الأخبار العلمية المتفرقة المعممة: (Le fait divers/Vulgarisateur)

وبذلك فإن الاكتشاف الجديد لا يكشف الستار إلاّ على أسئلة جديدة ويتواصل النزاع العلمي دون توقف.

ترجمة نصوص القانون بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة

Translating legal texts between the translator and the bilingual jurist

إيمان بورايب *

تاريخ تقديم البحث **2017/12/26** تاريخ القبول **2018/3/26**

ملخص

تهدف هذه الدّراسة إلى تناول نقاط متعلّقة بترجمة نصوص القانون بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة من خلال تحليل ترجمات سنقدّمها لكليهما، في إطار التّرجمة القانونيّة الرسميّة بين اللّغتين العربيّة والفرنسيّة، وذلك بغية الكشف عن الصّعوبات الّتي يواجهانها، كلّ من منظور اختصاصه ومعارفه الّتي اكتسبها خلال تكوينه، ومن ثمّ الحديث عن المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة عند تكوين المترجم القانونيّ في ميدان التّرجمة القانونيّة بالجزائر والتّرجمة الرّسميّة على وجه الخصوص.

الكلمات الدالة: التّرجمة القانونيّة ، المترجم ، رجل القانون مزدوج اللّغة ، التّكوين ،المزاوجة.

Abstract

The present paper aims to discuss some points focusing on legal texts translation between the translator and the bilingual jurist by analysing some translations of the two sides, within the framework of official translation, for the sake of highlighting the difficulties that are faced by translators and bilingual jurists, and then, talking about the importance of dual training in legal translation.

Key words: Legal translation – translator – bilingual jurist – training - duality

*معهد التّرجمة ، جامعة الجزائر 2، الجزائر .

مقدّمة

يعدّ الطّابع المزدوج للتّرجمة القانونيّة، المرتبط بالتّرجمة من جهة وميدان القانون من جهة أخرى، أهمّ ميزة لها، فهو يثير إشكاليّة مهمّة في نظرنا، تتعلّق بالجهة الأحقّ بترجمة نصوص القانون، لا بل إنّ هذه المسألة تثير تناقضا في أذهاننا، فالمترجم، وإن تمكّن من الصّعوبات المتعلّقة بميدان التّرجمة بحكم تكوينه، إلّا أنّ ميدان القانون سيظلّ عقبة أمامه، وحتّى اللّجوء إلى رجل القانون مزدوج اللّغة لا يحلّ الإشكال أحيانا، إذ أنّ هذا الأخير، بحكم عدم تلقّيه لتكوين ترجميّ، يواجه صعوبات مرتبطة بالتّرجمة من لغة قانونيّة إلى لغة قانونيّة أخرى.

ولقد كانت هذه الإشكاليّة محور العديد من الدّراسات في مجال التّرجمة القانونيّة، نذكر منها مقال جوديث لافوا Judith LAVOIE الموسوم « Faut il être juriste ou traducteur pour traduire le droit ? »، إذ شكّلت هذه الدّراسة نقطة انطلاق مهمّة للخوض في دراستنا، بتناولها موضوع التّرجمة بين المترجم القانوني ورجل القانون مزدوج اللّغة، غير أنّنا حبّذنا، من جهة، الاعتماد على لفظة " مترجم" بدلا من "مترجم قانوني" بحكم غياب تكوين في التّرجمة القانونيّة بالجزائر، فالمترجمون بالجزائر لا يتلقّون تكوينا مرتبطا بميدان محدّد، إذ لا نجد مترجما مختصّا في القانون وآخر في الطبّ وغيرها، بل نجد مترجما عامّا، كما سعينا، من جهة أخرى، إلى ربط هذه الإشكاليّة بسياق يعنينا ألا وهو التّرجمة القانونيّة الرسميّة بالجزائر نظرا لكون التّرجمة الرسميّة ميدانا يسمح بالتّعامل مع جلّ الوثائق القانونيّة بل حتّى مع رجال القانون، ولأنّ المترجمين الرّسميّين الجزائريّين أعوان تابعون لوزارة العدل.

غير أنّ كثرة الوثائق الرسميّة القانونيّة وكذا الصّعوبات المرتبطة بترجمتها، خاصّة بالنّسبة للمترجم المبتدئ، قد أدّى بنا إلى التّركيز على ثلاث نقاط تبدو مهمّة في نظرنا، إذ تصبّ في إطار المستوى المصطلحيّ والمفاهيميّ، من خلال الحديث عن التعدّد الدّلاليّ القانونيّ والمصطلحات المتقاربة، والمستوى التّعبيري بالتطرّق إلى العبارات الاصطلاحيّة والأسلوب القانونيّ وكذا المستوى المعرفيّ بتسليط الضّوء على دور المعارف القانونيّة في ترجمة نصوص القانون.

ونسعى من خلال دراستنا إلى الكشف عن الصّعوبات الّتي يواجهها كلا من المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة عند ترجمة الوثائق القانونيّة، كلّ من منظور اختصاصه ومعارفه، وذلك من خلال تحليل أمثلة مقدّمة لكليهما، قبل الحديث عن المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة، عند تكوين المترجم القانونيّ، في ظلّ الهوّة الّتي تفصل بين التّكوين الأكاديميّ ومتطلّبات سوق العمل في ميدان التّرجمة القانونيّة الرسميّة بالجزائر. بالنّتيجة، تروم دراستنا الإجابة على الإشكاليّة التّالية:

من الأحقّ بترجمة نصوص القانون؟ أهو المترجم أم رجل القانون مزدوج اللّغة؟ ما هي التحديّات الّتي يواجهها تكوين المترجم القانونيّ في ميدانين مختلفين كالتّرجمة والقانون؟ وهل بإمكان المترجم القانونيّ أن يحقّق المزاوجة بين كلا من هذين الميدانين خلال تكوينه وعند ولوجه سوق العمل؟

علاوة على ذلك، تتمثّل المدوّنة الّتي اخترناها في نماذج استقيناها من بعض الوثائق القانونيّة الرسميّة، في نسختيها العربيّة والفرنسيّة، تبعا للمستويات الّتي ذكرناها سابقا، حيث قدّمناها لمترجم رسميّ م.ل يشتغل في هذا الميدان منذ سنة 2013، إلى جانب رجل قانون م.ج حاصل على شهادة ذكتوراه ل.م.د في القانون الجنائيّ للأعمال، ويرجع اختيار المترجم بالنّظر إلى خبرته في المجال الرّسمي. أمّا رجل القانون، فإنّ اشتغاله في ميدان القانون الجنائيّ للأعمال، خلال تحضيره لأطروحة الدّكتوراه، قد أتاح له فرصة التّعامل مع الوثائق القانونيّة، في نسختيها العربيّة والفرنسيّة، على حدّ تعبيره.

ونحاول في هذه الدّراسة الإجابة عن الإشكاليّة المطروحة بالتطرّق أساسا إلى صعوبات التّرجمة القانونيّة عامّة والرسميّة على وجه الخصوص، ومن ثمّ الحديث عن ترجمة نصوص القانون بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة، من خلال تحليل نماذج مستقاة من وثائق قانونيّة رسميّة في نسختيها العربيّة والفرنسيّة، قبل تسليط الضّوء على تحديّات المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة عند تكوين المترجم القانونيّ.

صعوبات التّرجمة القانونيّة الرّسميّة

تعدّ التّرجمة القانونيّة ترجمة متخصّصة تهتمّ بنقل معارف القانون دون سواه، فهي تتمّ في إطار ميدان القانون، ويرى ميشال سبارر Michel SPARER (1) أنّ هذا الميدان يتسّم بالتّنظيم، حيث أنّ فهم أسسه ضروريّ لكلّ من أراد الخوض فيه، ويقصد بالتّنظيم، في هذا السّياق، الدّقة الّتي يتعيّن على المترجم القانونيّ أن يتحرّاها عند نقل المفاهيم القانونيّة من لغة إلى أخرى لا بل من نظام قانونيّ إلى نظام قانونيّ آخر.

كما يشرح الأستاذ الكنديّ جون كلود جيمار Jean Claude GEMAR صعوبات التّرجمة القانونيّة بمزيد من التّفصيل معتبرا أنّ هناك خمسة معايير أساسيّة تشكّل الأساس المعرفيّ للتّرجمة القانونيّة، حيث رتّبها، بحسب أهميّتها في نظره، على النّحو التّالي: الطّابع الإلزاميّ ولغة القانون وتنوّع الأنظمة الاجتماعيّة والسياسيّة والبحث الوثائقيّ القانونيّ وضرورة الالتزام بمقاربة متعدّدة التخصّصات في مجال التّرجمة القانونيّة (2).

ويعدّ الطّابع الإلزاميّ للنّصوص القانونيّة الميزة الفريدة لها والخاصيّة الّتي تنفرد بها هذه النّصوص عن غيرها من النّصوص المتخصّصة، حيث يرى جيمار أنّ هذا الطّابع ينبثق أحيانا من التّشريع أو الفقه القانونيّ اللّذين يمنحان للقاعدة القانونيّة فعاليّتها وطبيعتها الآمرة (3)، ونلاحظ أنّ جيمار قد ركّز على التّشريع والفقه، بحكم مكانتهما بين مصادر القانون، واستثنى المصادر القانونيّة الأخرى بحكم مكانة التّشريع بين نصوص القانون. أمّا بالنّسبة للمترجم، فإنّ الطّابع الإلزاميّ يحمّله مسؤوليّة كبيرة خلال نقل المفاهيم القانونيّة من لغة إلى لغة أخرى. علاوة على ذلك، تطرّق جون كلود جيمار إلى صعوبة أخرى تتعلّق بتباين المفاهيم بحسب الأنظمة القانونيّة، حيث يرى أنّ هذه الاختلافات نابعة من تعدّد التّعاريف المرتبطة بالقانون وكذا الغاية الّتي يسعى إلى تحقيقها (4).

فبعد تناول صعوبات التّرجمة القانونيّة عموما، نركّز، على صعيد التّرجمة القانونيّة الرسميّة، على المستويات التّالية:

أوّلا: المستوى المصطلحيّ والمفاهيميّ

حيث يتّسم المصطلح القانونيّ بالدّقة، إذ يتعيّن تحديد مفهومه قبل ترجمته إلى اللّغة المنقول إليها. ففي هذا السّياق، يشير روجي نيرسون Roger NERSSON (5) إلى هذه الخصوصيّة معتبرا أنّه لا يمكن الحديث عمّا هو قانونيّ في ظلّ غياب الوضوح، غير أنّنا قد نلمس، من جهة أخرى، غموضا للمصطلحات القانونيّة، أي تعدّد دلالاتها وتقارب مفاهيمها. وعليه، سنتطرّق، في هذا الشقّ، إلى التعدّد الدّلاليّ القانوني والمصطلحات المتقاربة.

التعدّد الدّلاليّ القانونيّ

حيث أنّ المصطلحات القانونيّة، وخلافا لما يعتقده غير الضّليعين بالميدان، قد يشهد تعدّدا دلاليّا، أي قد ترتبط بأكثر من مفهوم قانونيّ، ويميّز جيرار كورني Gérard CORNU بين التعدّد الدّلاليّ القانونيّ الخارجيّ Polysémie juridique externe المرتبط بالمصطلح القانونيّ الّذي يحمل مفهوما قانونيّا ويعرف استعمالا في اللّغة العامّة أيضا، وهو ما عبّر عنه كورني أيضا بالانتماء المزدوج Double appartenance، إلى جانب التعدّد الدّلاليّ القانونيّ الدّاخليّ Polysémie juridique interne، أي عندما يكون للدّال القانونيّ عدد من المدلولات القانونيّة في الميدان القانونيّ فقط (6)، وتثير إشكاليّة التعدّد الدّلاليّ القانونيّ صعوبات ترتبط بغموض المصطلح القانونيّ، بسبب ارتباط كلّ دلالة بقراءة محدّدة له في اللّغة المنقولة، وبالتّالي تفسيره ونقله في اللّغة المنقول إليها.

المصطلحات المتقاربة

ففي مجال التّرجمة القانونيّة الرسميّة، وعلاوة على المصطلحات متعدّدة الدّلالات، نجد المصطلحات الّتي تتقارب مفاهيمها لدرجة التّسليم بترادفها، غير أنّها تعرف اختلافات، حيث يمكن للمترجم، خاصّة المبتدئ، أن يقع فريسة هذه الاختلافات الطّفيفة الّتي تستدعي معارف قانونيّة، غير أنّ الصّعوبة تكمن أيضا، في نظرنا، في تحديد هذه المصطلحات ووضع قائمة محدّدة لها والتّعامل معها وكذا معرفة الاختلافات بينها.

ثانيا: المستوى التّعبيري والأسلوبيّ

فالتحكّم في المصطلحات لا يكفي لترجمة النص القانونيّ، ذلك لأنّ هذه المصطلحات ترتبط فيما بينها لتشكّل عبارات اصطلاحيّة قانونيّة تتجلّى في أسلوب وصياغة قانونيّين، كما إنّ

الصّياغة القانونيّة في المجال الرّسميّ تختلف عن غيرها من الصّياغات نظرا لخضوعها لقواعد محدّدة. وعليه، نتناول، في هذا الشقّ، العبارات الاصطلاحيّة والأسلوب القانونيّ.

العبارات الاصطلاحيّة

وتعرّف العبارات الاصطلاحيّة القانونيّة Collocations juridiques على أنّها مفردات توضع بشكل متتابع بشكل يجعل الكلمة الثانية تراود الذّهن بمجرّد سماع الكلمة الأولى (7)، حيث أنّ التحكّم في المصطلحات القانونيّة فقط لا يجعلنا متحكّمين في لغة القانون تحكّما تامّا بل يتعيّن على المترجم ربط هذه المصطلحات ببعضها البعض لتشكيل عبارات اصطلاحيّة قانونيّة.

الأسلوب القانونيّ

فنصوص القانون تستدعي إلماما بقواعد الصّياغة القانونيّة واحترام التّعابير المتعلّقة بهذا المجال، وذلك حتّى يصاغ النصّ بأسلوب قانونيّ ولغة قانونيّة سليمة.

ثالثا: المستوى المعرفيّ

حيث نؤكّد على دور هذه المعارف القانونيّة في ترجمة النصّ القانونيّ لدرجة أنّ كريستين دوريو Christine DURIEUX تدعو إلى الاستعانة بالمهنيّين الضّليعين بالميدان خلال عمليّة البحث الوثائقيّ، نظرا لأهميّة المعارف المتعلّقة بميدان التخصّص في فهم النص المتخصّص وترجمته (8).

من جهة أخرى، لا تعدّ التّرجمة القانونيّة انتقالا بين لغتين قانونيّتين فحسب، بل تمتدّ لتشمل الانتقال من نظام قانونيّ إلى نظام قانونيّ آخر، حيث تختلف المفاهيم والمؤسّسات باختلاف الأنظمة القانونيّة، وهو ما يستدعي معارف قانونيّة عميقة لتحقيق الانتقال بين الأنظمة وإيجاد المكافئ الدّقيق لكلّ مفهوم.

ترجمة النّصوص القانونيّة بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة في المجال الرّسميّ

بغية التّفصيل في هذه الصّعوبات وإجراء دراسة تحليليّة، ارتأينا تحليل بعض النّماذج المستقاة من الوثائق القانونيّة الرّسميّة في نسختيها العربيّة والفرنسيّة، قدّمناها لمترجم ورجل قانون مزدوج اللّغة، بغرض تسليط الضّوء على الصّعوبات المشار إليها وكذا الحديث

عن ضرورة المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة عند تكوين المترجم المتعامل مع نصوص القانون.

النّموذج الأوّل

النّموذج	المترجم	رجل القانون مزدوج اللّغة
حيث أنّ المصاريف القضائيّة تقع على عاتق خاسر الدّعوى.	Dire que les frais occasionnés par la présente procédure seront supportés par le perdant de l'action.	Toute partie qui succombe est condamnée aux dépens.

التّحليل

ورد هذا المثال في حكم قضائيّ صادر عن المحكمة، واستقيناه ممّا يعرف بالحيثيّات، بدليل وجود عبارة " حيث أنّ"، فالحكم القضائيّ يعرض وقائع الدّعوى وبالتّالي يشرح حيثيّات القضيّة الّتي ينتج عنها النّطق بحكم ما. وفي تحليل هذا المثال، ارتأينا التّركيز على المستوى المصطلحيّ، من جهة، والمستوى التّعبيريّ والأسلوبيّ من جهة أخرى.

بالنّتيجة، لفت انتباهنا مصطلح " المصاريف القضائيّة" الّذي ترجمه المترجم ب « frais occasionnés par la présente procédure » ورجل القانون ب « dépens »، ونقصد بالمصاريف القضائيّة المصاريف الّتي يحكم بها على خاسر الدّعوى (9).

من جهتنا، نشير إلى أنّ المكافئ الأدقّ، المستخدم في ميدان القانون، هو « dépens » غير أنّ المترجم اعتمد على جملة كاملة لترجمة المصطلح، معتمدا على لفظة « Frais » الّتي تنتمي إلى مفردات اللّغة العامّة وليس إلى المصطلحات القانونيّة. من جهة أخرى، وفّق رجل القانون ثنائيّ اللّغة بحكم معارفه العميقة في هذا الميدان.

غير أنّ رجل القانون، وإن وفّق في اختيار المصطلحات، إلّا أنّه لم يراع التّعابير والأسلوب القانونيّين، فحذف عبارة " حيث أنّ"، رغم أهميّتها في الحكم القضائيّ باعتبارها تجسّد حيثيّات القضيّة، والّتي عادة ما تترجم في الفرنسيّة ب « Attendu que ». أمّا المترجم، فقد

استعمل عبارة « Dire que » كمقابل ل "حيث أنّ، رغم أنّ هذه الأخيرة تترجم في اللّغة العربيّة ب " والقول إنّ"، فدقّة نقل هذه التّعابير أمر أساسيّ خلال ترجمة الحكم القضائيّ في المجال الرسميّ.

وفي السّياق ذاته، أي الأسلوب القانونيّ، نجد في ترجمة رجل القانون تركيزا على خاسر الدّعوى عوضا من التّركيز على المصاريف القضائيّة، ذلك لأنّ الخطاب القانونيّ، في غالب الأحيان يركّز على دور الشّيء بدل دور الفاعل (10). أمّا المترجم، فقد احترم الأسلوب القانونيّ وركزّ على دور الشّيء بدل دور الفاعل، ومنه نخلص إلى أنّ المترجم قد تحكّم في الأسلوب مقارنة برجل القانون مزدوج اللّغة، في حين نلمس إلمام هذا الأخير بالمصطلحات بحكم معارفه القانونيّة.

النّموذج الثّاني

النّموذج	المترجم	رجل القانون مزدوج اللّغة
بموجب عريضة افتتاحيّة مسجّلة ومودعة لدى كتابة ضبط المحكمة، أقام المدّعي دعوى ضدّ المدّعى عليها بحضور وكيل الجمهوريّة.	En vertu d'une requête introductive enregistrée et déposée au greffe, le demandeur a esté en justice la défenderesse en présence du parquet.	En vertu d'une requête écrite et déposée au greffe, le demandeur a intenté une action en justice contre le défendeur en présence du procureur de la république.

التّحليل

ورد هذا النّموذج في حكم قضائيّ صادر عن المحكمة، وبالضّبط في بيان وقائع الدّعوى، حيث أنّ الأحكام القضائيّة تُفتتح بالحديث عن العريضة الافتتاحيّة الّتي يحرّرها المدعّي

لرفع دعوى قضائيّة ضدّ المدّعى عليه وعرض مجريات الدّعوى، وسنركّز، خلال تحليلنا، على المستوى المعرفيّ.

ففي هذا الصّدد، نجد أنّ المترجم لم يفرّق بين النّائب العامّ Procureur général ووكيل الجمهوريّة Procureur de la république، واعتمد على مصطلح Parquet الّذي نشير به إلى النّيابة، رغم أنّ المقصود هو وكيل الجمهوريّة، ويكمن الفرق بين النّائب العامّ ووكيل الجمهوريّة في أنّ النّائب العامّ هو الممثّل الرّئيس للنّيابة العامّة في حين أنّ وكيل الجمهوريّة يمثّل النّائب العامّ لدى المحكمة الّتي يتواجد بها مقرّ عمله (11). وعليه، نشير إلى أهميّة المعارف القانونيّة عند نقل مصطلحات القانون والتّمييز بين مختلف المفاهيم المرتبطة بها، فرجل القانون قد أدرك الفرق بين المصطلحين بحكم معارفه العميقة في ميدان القانون.

النّموذج الثّالث

النّموذج	المترجم	رجل القانون مزدوج اللّغة
صرّح الشّاهدان بكفالة السيّد فلان للابن، وذلك ابتداء من التّاريخ الحاليّ	Les deux témoins ont déclaré que Monsieur X est tuteur.	Les témoins ont déclaré la caution du fils, à partir de la date actuelle.

التّحليل

إنّ ما ينبغي التّركيز عليه في هذا النّموذج، الوارد في عقد كفالة، هو مصطلح " كفالة" الّذي يحيلنا إلى دلالتين وبالتّالي إلى قراءتين.

أوّلا: العقد الّذي يتعهّد بمقتضاه شخص يسمّى كفيلا لدائن بالوفاء بدينه إذا لم ينفّذ المدين التزامه (12)، وهو ما يحيلنا إلى المصطلح الفرنسيّ « Cautionnement ».

ثانيا، التزام شخص أمام القاضي أو الموثّق بهدف التكفّل برعاية ولد قاصر دون أن يكون لزوما والده (13)، وهو ما يحيلنا إلى المصطلح الفرنسيّ « Recueil légal ».

فرجل القانون قد وقع فريسة التعدّد الدّلاليّ الدّاخليّ، الّذي سبق وأن أشرنا إليه في هذه الدّراسة، وفسّره وفقا لدلالته المرتبطة بالكفالة المالية، المرتبطة بالدّيون، عوضا من الكفالة الشرعيّة للقصّر، حيث يشير السّياق إلى أنّ الأمر متعلّق بكفالة قاصر وليس بكفالة

مالية لكفيل بغرض تغطية دين ما إذا ما عجز المدين عن الوفاء به، ومنه نشير إلى ضرورة الانتباه إلى المصطلحات المتعدّدة دلاليّا، في السّياق القانونيّ، ونقلها نقلا سليما بعيدا عن أيّ غموض أو تأويلات خاطئة.

وبالنّسبة للمترجم، فقد استخدم المصطلح « Tuteur » كمقابل ل " الكفيل"، رغم أنّ ما يقابل هذا المصطلح الفرنسيّ في اللّغة العربيّة هو " الوليّ". بالنّتيجة، يتعيّن علينا الإشارة إلى الفرق بين الكفالة Recueil légal والولاية Tutelle، فهذين المصطلحين، وإن بدا أنّهما متقاربان في المفهوم، إلّا أنّ الكفالة تمارس من قبل شخص ما دون أن يكون لزوما الوالد في حين تمارس الولاية من قبل الوالد، أو المستفيد من حقّ الحضانة في حالة الطّلاق، حتّى بلوغ القاصر سنّ الرّشد (14)، ومنه يجدر الانتباه إلى المصطلحات المتقاربة وتحديد مفهومها تحديدا دقيقا، ومن ثمّ ترجمتها. بالنّتيجة، نشير إلى أنّ نقص المعارف القانونيّة للمترجم قد أدّى به إلى عدم التّمييز بين " الكفالة" و "الولاية".

النّموذج الرّابع

النّموذج	المترجم	رجل القانون مزدوج اللّغة
حيث أنّ الحكم أصبح نهائيّا وحائزا على قوّة الشّيء المقضيّ فيه كما هو ثابت من شهادة عدم الاستئناف (أصل شهادة عدم الاستئناف وعدم الطّعن ملحق)	Dire que le jugement est définitif et passé en force de chose jugée comme indiqué dans le certificat de non appel.	Le jugement est devenu définitif et détient l'autorité de la chose jugée comme il est fixé dans le certificat de non appel (ci-joint l'original du certificat de non appel et de non recours).

التّحليل

ورد هذا النّموذج في حكم قضائيّ صادر عن المحكمة، حيث وفّق كلا من المترجم ورجل القانون في ترجمة عبارة " قوّة الشّيء المقضيّ فيه"، غير أنّنا نركّز، في هذا السّياق، على المستوى المعرفيّ، في علاقته مع المستوى التّعبيري، وكذا المستوى المصطلحي والمفاهيمي.

فبادئ ذي بدء، لفتت انتباهنا العبارتان الاصطلاحيّتان " شهادة عدم الاستئناف" و" شهادة عدم الطّعن"، المرتبطتين بالمعارف القانونيّة، فقد حذف المترجم عبارة " شهادة عدم الطّعن" في حين اعتمد رجل القانون على مكافئ غير دقيق وهو « Certificat de non recours »

ونشير إلى أنّ هناك فرقا بين الاستئناف والطّعن، ومنه يأتي دور المعارف القانونيّة للتّمييز بين المفهومين وبالتّالي إيجاد المكافئ الدّقيق لكلتا العبارتين، فتمتّع رجل القانون بمعارف قانونيّة قد ساعده على التّمييز بينهما رغم عدم دقّة المكافئ الّذي اعتمد عليه. أمّا المترجم، فقد حذف عبارة " شهادة عدم الطّعن" تماما مكتفيا بترجمة عبارة "شهادة عدم الاستئناف". ومنه نلاحظ أنّ المعارف القانونيّة ضروريّة لنقل العبارات الاصطلاحيّة وليس المصطلحات القانونيّة فحسب.

فالاستئناف هو طريق طعن عاديّ ضدّ أحكام محاكم الدّرجة الأولى بهدف إلغائها من قبل المجلس أو تعديلها (15) وهو ما يحيلنا إلى المصطلح الفرنسيّ Appel. أمّا الطّعن أو الطّعن بالنّقض، فيباشر على مستوى المحكمة العليا، عوضا من المجلس الّذي يمارس فيه الاستئناف (16)، وهو ما يحيلنا إلى المصطلح الفرنسيّ Pourvoi en cassation. وعليه، يمارس الاستئناف على مستوى المجلس، للطّعن في أحكام المحاكم الابتدائيّة في حين يباشر الطّعن بالنّقض على مستوى المحكمة العليا لتأكيد أحكام المجلس أو إلغائها، بعد الاستئناف.

وعلى المستوى المصطلحيّ والمفاهيميّ، نجد أنّ رجل القانون لم يوفّق في ترجمة مصطلح " أصل" واعتمد على المكافئ « Original » في حين أنّ المكافئ الأدقّ، المستخدم في المجال القانونيّ الرّسميّ، هو « Minute » الّذي يقصد به:

Minute : Original d'un jugement conservé au greffe et revêtu de la signature du président et du greffier (17).

أي أصل الحكم المحفوظ لدى كتابة الضّبط والممهور بتوقيع الرّئيس وكاتب الضّبط، فانتماء مصطلح "أصل" للّغة العامّة وارتباطه بالسّياق القانونيّ قد أدّى برجل القانون إلى ترجمته بمفردة من مفردات اللّغة العامّة دون الاعتماد على مكافئ قانونيّ دقيق، حيث يمكن تصنيف مصطلح " أصل" في خانة المصطلحات ذات الانتماء المزدوج أو تلك الّتي تشهد تعدّدا داخليّا خارجيّا، بمعنى أنّها ترتبط بالسّياق القانونيّ وتعرف استخداما في اللّغة العامّة، فصعوبة التّعامل مع التّعدّد الدّلاليّ الخارجيّ، الّذي يتميّز به هذا المصطلح، قد أدّى برجل القانون إلى الأخذ بالمعنى العامّ عوضا من المفهوم القانونيّ.

النّموذج الخامس

النّموذج	المترجم	رجل القانون مزدوج اللّغة
حيث أنّه يجوز إضفاء الصّيغة التّنفيذيّة على الأحكام والقرارات الصّادرة من جهات قضائيّة أجنبيّة.	Dire que les jugements des tribunaux étrangers seront exécutoires.	Les jugements et les arrêts, rendus par les juridictions étrangers, peuvent être exécutés qu'autant qu'ils ont été déclarés exécutoires.

التّحليل

ورد هذا النّموذج في عريضة افتتاحيّة، حيث نلمس في صياغة رجل القانون، أي على المستوى التّعبيريّ والأسلوبيّ، ركاكة بسبب عدم تحكّمه الجيّد في اللّغة، في حين أنّ صياغة المترجم احترمت قواعد اللّغة. كما إنّ رجل القانون لم يترجم عبارة " حيث أنّ" رغم أهميّتها في الأحكام القضائيّة، إذ لم يحترم الأسلوب القانوني خلافا للمترجم الّذي نقل هذه العبارة رغم عدم دقّة المكافئ الّذي اعتمده، وهو ما أشرنا إليه في النّموذج الأوّل.

أمّا بخصوص المستوى المعرفيّ، فسنسلّط الضّوء، في هذا النّموذج، على عبارة " إضفاء الصّيغة التّنفيذية"، ذلك لأنّ هناك فرقا بين إضفاء الصّيغة الأجنبيّة على الأحكام الصّادرة

عن الجهات القضائيّة الجزائريّة وإضفاء الصّيغة الأجنبيّة على الأحكام الصّادرة عن الجهات القضائيّة الأجنبيّة.

ويقصد بالصّيغة التّنفيذيّة، الّتي تمهر بها الأحكام الصّادرة عن الجهات القضائيّة الجزائريّة، الصّيغة الّتي يدرجها كاتب الضّبط على النّسخ التنفيذيّة للأحكام والقرارات القضائيّة (18)، وهو ما يقابله مصطلح « Formule exécutoire » الفرنسيّ.

في المقابل، نجد الصّيغة التّنفيذيّة، الّتي تمهر بها الأحكام الأجنبيّة، ونعني بها القرار الّذي تمنح بمقتضاه محكمة أو جهة قضائيّة وطنيّة قوّة تنفيذيّة للأحكام، العقود الرسميّة وأحكام التّحكيم الأجنبيّة في بلد الجهة القضائيّة (19)، وهو ما يقابله مصطلح « Exequatur » الفرنسيّ.

وقد ورد في تعريف مصطلح « Exequatur »، في قاموس فرنسيّ للمصطلحات القانونيّة، ما يلي:

L'exequatur est une procédure permettant de rendre exécutoire, en France, une décision de justice étrangère (20).

وهنا نشير إلى دور المعارف القانونيّة في تحديد المفهوم الدّقيق للمصطلحات القانونيّة ومن ثمّ إيجاد المكافئ الأنسب لها.

النّموذج السّادس

النّموذج	المترجم	رجل القانون مزدوج اللّغة
Par jugement, le juge aux affaires familiales du tribunal de grande instance à Paris a rejeté la demande d'attribution exclusive d'autorité parentale et ordonné une enquête sociale.	أصدر قاضي شؤون الأسرة بمحكمة باريس الابتدائيّة حكما يقضي بإلغاء طلب منح الأبوّة الحصريّ وأمر بتحقيق اجتماعيّ.	بناء على حكم، رفض قاضي شؤون الأسرة على مستوى محكمة النّقض بباريس طلب الإسناد الحصريّ للسّلطة الأبويّة وأمر بإجراء تحقيق اجتماعيّ.

التّحليل

على المستوى المعرفيّ، وبالضّبط فيما يتعلّق بتنوّع الأنظمة القانونيّة واختلافها، لفتت انتباهنا عبارة « tribunal de grande instance »، حيث ترجمها رجل القانون مزدوج اللّغة ب " محكمة النّقض" رغم أنّ هذه الجهة القضائيّة معنيّة بالطّعون بالنّقض « Pourvois en cassation » الّتي سبق وأن فصّلنا فيها. أمّا المترجم، فقد اعتمد على المكافئ " المحكمة الابتدائيّة" من دون مراعاة الاختلاف بين النّظام القضائيّ الجزائريّ والنّظام القضائيّ الفرنسيّ، فلكلّ نظام جهاته القضائيّة الخاصّة به.

وقد ورد في تعريف عبارة « Tribunal de grande instance »، في قاموس فرنسيّ للمصطلحات القانونيّة، ما يلي:

Le tribunal de grande instance ..... est la juridiction de droit commun en matière civile. Il statue particulièrement sur toutes les affaires en relation avec la nationalité et le statut des personne (mariage, divorce, séparation de corps), et sur les litiges se rapportant au droit de la propriété immobilière (21).

أي الجهة القضائيّة المعنيّة بالتّشريع العاديّ في الموّاد المدنيّة، حيث تفصل في القضايا المتعلّقة بالجنسيّة والأحوال الشخصيّة (الزّواج، الطّلاق، فصل الأملاك) وفي النّزاعات المرتبطة بقانون الملكيّة العقاريّة.

وكمكافئ وظيفيّ لهذه العبارة، أي المكافئ الّذي يتلاءم والنّظام القانونيّ للّغة المنقول إليها، تستعمل العبارة الاصطلاحيّة العربيّة "محكمة الدّعاوى الكبرى" أو " محكمة المرافعات الكبرى" في المجال القانونيّ الرسميّ للدّلالة على هذا المفهوم، ومنه يتعيّن على المترجم مراعاة الاختلافات بين الأنظمة القانونيّة المرتبطة باللّغتين المنقولة والمنقول إليها وكذا التزوّد بالمعارف القانونيّة الّتي تعدّ ضروريّة لترجمة العبارات الاصطلاحيّة وليس المصطلح القانونيّ فحسب.

تحديّات المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة عند تكوين المترجم القانونيّ

تعدّ المزاوجة بين ميدانيّ القانون والتّرجمة أمرا ضروريّا في تكوين المترجم القانونيّ، فعدم تحكّم رجل القانون في الأسلوب واللّغة القانونيّين وعدم إلمام المترجم بالمعارف القانونيّة يؤدّي بنا إلى تسليط الضّوء على هذه المزاوجة. فانطلاقا من هذه الفكرة، يمكننا الحديث عن « المترجم القانوني" أي المتحكّم في اللّغتين المنقولة والمنقول إليها والضّليع بميدان القانون، كما نؤكّد أنّ المترجم دون معارف قانونيّة، وكذا رجل القانون دون تكوين ترجميّ، غير قادرين على ترجمة نصوص القانون.

وقد جمع جوديث لافوا الآراء المتعلّقة بهذه النّقطة في مقاله المشار إليه آنفا، نذكر منها دافيد قريد David GREED الّذي يعتبر أنّه ناذرا ما نجد مترجما متخصّصا في علوم القانون، بل حتّى إنّ هذا الأخير ليس بعيدا عن المشاكل اللّسانيّة الّتي يطرحها النص الأصل (22)، كما يؤكّد قابرييل سمارت Gabrielle SMART على هذه الفكرة مشيرا إلى صعوبة ترجمة نصوص القانون دون التزوّد بمعارف قانونيّة، وكذا عدم قدرة رجل القانون على نقل هذا النّوع من النّصوص في غياب التحكّم في اللّغة المنقول إليها (23).

غير أنّ المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة، عند تكوين المترجم القانونيّ، ليست بالأمر الهيّن، إذ تواجه عدّة تحديّات تتمثّل فيما يلي:

أوّلا: البحث الوثائقيّ

حيث يعتبر البحث الوثائقيّ ضرورة ملّحة في ميدان التّرجمة المتخصّصة عامّة والتّرجمة القانونيّة خاصّة، وتتمثّل أهمّ مراحله، في نظر جون كلود جيمار (24)، فيما يلي:

- دراسة النصّ وتحليله على المستويات المعجميّة والدّلاليّة والأسلوبيّة والنّحويّة،
- ضبط المصطلحات المفاتيح في النص القانونيّ،
- الاستعانة بالمصادر القانونيّة لتحديد المفهوم المرتبط بكلّ مصطلح وبالتّالي اختيار المكافئ الدّقيق في اللّغة المنقول إليها.

ويكمن التحدّي هنا في تنوّع المصادر القانونيّة، إذ يجد المترجم نفسه أمام العديد من المراجع القانونيّة الّتي لا تندرج في نطاق اختصاصه، فيضطرّ إلى لبس عباءة أهل القانون والتّنقيب

في هذه المراجع من أجل فهم محتواها، ويقسّم جيمار، في مقاله حول البحث الوثائقيّ القانونيّ، هذه المصادر إلى مصادر قاعديّة Sources normatives، كالتّشريع والقضاء، ومصادر ثانويّة Sources secondaires كالموسوعات والقواميس (25).

بالنّتيجة، فإنّ المصادر اللّغويّة والترجميّة وحدها لا تكفي للقيام بعمليّة التّرجمة القانونيّة، بل يتعيّن على المترجم أن يطّلع على المراجع القانونيّة المتنوّعة حتّى يفهم مضمون النص القانونيّ.

ثانيا: المعارف القانونيّة

يشير جاك لوتويلي إلى أنّ المترجم المتخصّص ليس مطالبا بالإلمام بجميع المعارف الّتي يدركها الضّليع بالميدان، بل بالتحكّم في الطّرائق التّعبيريّة الّتي يستخدمها هذا الأخير، فحتّى هذه المعرفة الجزئيّة، المرتبطة بالطّرائق التّعبيريّة فحسب، تشكّل تحديّا يعترض طريق المترجم لأنّ اكتسابها يظلّ معقّدا بالنّسبة له، بحكم أنّها لا تندرج في نطاق اختصاصه (26). فإذا أسقطنا هذه القاعدة على ترجمة النص القانوني، نجد أنّه من الصّعب اكتساب المعرفة القانونيّة، ولو بشكل جزئيّ، بسبب اتّساع نطاق ميدان القانون وكذا الأهميّة الّتي يتمتّع بها في جميع جوانبه، دون أن ننسى خصوصيّة المصطلحات القانونيّة وتعدّد دلالاتها وغموضها وتقارب مفاهيمها في بعض الأحيان. وأمّا بخصوص التّعابير الاصطلاحيّة القانونيّة، فهي تشكّل تحديّا بدورها لأنّها ترتبط بالقانون واللّغة، إلى جانب أنّه لا توجد قواعد تخصّها ولا تندرج في إطار قائمة شاملة واحدة ولا يوجد قاموس يتضمّنها ويشرحها (27).

بالنّتيجة، يقترح جاك لوتويلي أن يتمّ تعلّم هذه التّعابير والمصطلحات وفق مقاربة ثنائيّة لغويّة تتيح اكتساب مهارة الانتقال من لغة قانونيّة إلى لغة قانونيّة أخرى وبالتّالي من نظام قانونيّ إلى نظام قانونيّ آخر (28)، كما يقترح أيضا إستراتيجيّة موضوعاتيّة Stratégie thématique، بسبب تعدّد ميادين القانون، بغرض تحديد المعارف الّتي يحتاج إليها المترجم القانوني، وذلك عن طريق انتقاء المواضيع الّتي ترتبط بالنّصوص الّتي يسعى لترجمتها (29)، فترجمة حكم قضائيّ صادر عن قسم شؤون الأسرة يتطلّب معارف قانونيّة ترتبط بالطّلاق وحقّ الحضانة والولاية والطّلاق التعسفيّ وغيرها من المواضيع الّتي تصبّ في هذا الشّأن.

الخاتمة

لقد تناولت هذه الدّراسة موضوع ترجمة نصوص القانون بين المترجم ورجل القانون مزدوج اللّغة من خلال تحليل بعض النّماذج المستقاة من الوثائق القانونيّة الرسميّة في نسختها العربيّة والفرنسيّة.

كما نودّ أن نشير، بادئ ذي بدء، إلى أنّ غياب التّكوين في ميدان التّرجمة القانونيّة بالجزائر يؤثّر على مردوديّة المترجم في الميدان الرسميّ، نظرا لتعامل المترجمين الرسميّين وكذا المشتغلين في هذا الميدان مع الوثائق القانونيّة بمختلف أصنافها، من عقود وأحكام قضائيّة وقوانين أساسيّة وغيرها، فالمترجم ببلدنا يتلقّى تكوينا في التّرجمة العامّة ليجد نفسه أمام نصوص، على درجة عالية من التخصّص، في ميدان العمل، وهو ما يزيد من الهوّة بين التّكوين الأكاديميّ وسوق العمل، خاصّة بمكاتب التّرجمة الرسميّة.

ويواجه المترجم في الميدان الرّسمي صعوبات تتعلّق بالتّعامل مع ميدان القانون بحكم نقص معارفه، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالتعدّد الدّلالي والغموض وتقارب المفاهيم وتباين الأنظمة القانونيّة، ضف إلى ذلك نقص المعارف القانونيّة الّذي يشكّل العقبة الأكبر في وجه المترجم.

أمّا بالنّسبة لرجل القانون مزدوج اللّغة، فلا يختلف اثنان في أنّ التحكّم في المصطلحات لا يكفي لترجمة نص قانونيّ، ذلك لأنّ التحكّم في تقنيّات التّرجمة والأسلوب القانونيّ ضروريّان لتحقيق هذه الغاية، وهو ما يفتقر إليه رجل القانون بحكم تكوينه القانونيّ المحض.

فأمام عدم قدرة المترجم على التّعامل مع نصوص القانون، في جانبها القانوني المرتبط بالمعارف القانونيّة، وكذا الصّعوبة الّتي يواجهها رجل القانون فيما يتعلّق بالجانب التّرجميّ، تعدّ المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة الحلّ الأمثل في نظرنا، عند تكوين المترجم القانونيّ، ونقصد بالمترجم القانوني في هذا السّياق مترجما متحكّما باللّغتين وبتقنيّات التّرجمة وضليعا في ميدان القانون، لا رجل قانون مزدوج اللّغة، وذلك حتّى يلمّ بالجوانب اللّغويّة والتّرجميّة وكذا الجوانب القانونيّة الّتي تمكّنه من فهم المراجع، المرتبطة بهذا المجال، خلال مرحلة البحث الوثائقيّ.

غير أنّ هذه المزاوجة تواجه تحديّات ترتبط أساسا بتعدّد المصادر القانونيّة وكذا اتّساع ميدان القانون وصعوبة الإلمام بجميع التّعابير والمصطلحات الّتي يستخدمها رجال القانون. ففي هذا السياق، يعتبر جاك لوتويلي أنّ هذه المعرفة الجزئيّة، المرتبطة بالتحكّم في الطرائق التعبيريّة لرجال القانون، تشكّل تحديّا، ولذلك فهو يقترح إستراتيجيّة موضوعاتيّة تهدف إلى اكتساب المعارف الّتي يحتاجها المترجم في ميدان محدّد من ميادين القانون المتعدّدة، غير أنّنا نرى أنّ هذه الإستراتيجيّة الموضوعاتيّة صعبة التّطبيق في سياق التّرجمة القانونيّة الرسميّة بالجزائر بسبب تعدّد الوثائق الرسميّة وارتباطها بالعديد من جوانب القانون، كما إنّ المترجم الرسميّ، وبحكم الطّابع النّفعي لمهنته وارتباط هذه الأخيرة بالتّجارة، لا يستطيع تحديد المواضيع الّتي يترجم منها وإليها.

وفي الأخير، يتعيّن الاهتمام بتكوين المترجمين القانونيّين بالجزائر، عن طريق تحقيق المزاوجة بين ميداني القانون والتّرجمة، وكذا تحقيق التّنسيق بين رجال القانون والمترجمين، خلال ترجمة نصوص القانون، ذلك لأنّ التّنسيق بينهما يؤدّي إلى تحسين جودة النّصوص القانونيّة المترجمة، كما تبقى الخبرة في ميدان ترجمة نصوص القانون العامل الأبرز في تكوين المترجم القانونيّ، فالخبرة والاحتكاك برجال القانون، خاصّة في المجال الرسميّ، يصنعان الفارق بين المترجمين القانونيّين.

الهوامش

1. أُنظر: Michel SPARER, « L'enseignement de la traduction juridique, une formation technique et universitaire », Méta : journal des traducteurs, volume 33, N° 2, 1988, P. 321.
2. أُنظر: Jean Claude GEMAR, « La traduction juridique et son enseignement : aspects théoriques et pratiques », Méta : journal des traducteurs, volume 24, N° 01, 1979.
3. أُنظر: Jean Claude GEMAR, « Le traducteur et la documentation juridique », Méta : journal des traducteurs, volume 25, N° 01, 1980, P. 136.
4. أُنظر: Ibid, P. 44
5. أُنظر: Jean Claude GEMAR, « Terminologie, langue et discours juridiques, sens et signification du langage du droit », Méta : journal des traducteurs, volume 36, N° 01, 1991, P. 278.
6. أُنظر: Ivo PETRU, « La polysémie, élément majeur de la terminologie selon Gerard CORNU », Echo des Etudes Romanes, volume 11, N° 02, 2013, P. 51.

.7 أُنظر: David Sereno INACIO, « L'utilité de la terminologie juridique comparée dans la résolution des difficultés de la traduction juridique de l'Espagnol et du Portugais vers le Français », mémoire de Master soutenu à l'Université Lumière, Lyon 02, 2010, P. 30.

.8 أُنظر: Christine DURIEUX, « Transparence et fonctionnalité », in Synergies : Tunisie, N° 02, 2010, P. 31.

.9 القرّام ابتسام، " المصطلحات القانونيّة في التّشريع الجزائريّ: قاموس باللّغتين العربيّة والفرنسيّة"، البليدة، قصر الكتاب، دون تاريخ، ص.93.

.10 أُنظر: Gérard CORNU, « Linguistique juridique », 2ème édition, Paris, Montchrestien, 2000, P. 328.

.11 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 226.

.12 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 45.

.13 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 170.

.14 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 264

.15 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 24.

.16 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 217

.17 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 191

.18 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 138.

.19 القرّام ابتسام، المرجع نفسه، ص. 127.

.20 أُنظر: https://www.dictionnaire-juridique.com/definition/exequatur.php, consulté le 10/12/2017, à 23 :12.

.21 أُنظر: https://www.dictionnaire-juridique.com/definition/tribunal-de-grande-instance.php, consulté le 10/12/2017, à 23 :20.

.22 أُنظر: Judith LAVOIE, « Faut il être juriste ou traducteur pour traduire le droit ?, Méta : journal des traducteurs, volume 48, N° 03, 2003, P. 394.

.23 أُنظر: Ibid, P. 394

.24 أُنظر: Jean Claude GEMAR, « Le traducteur et la documentation juridique », Méta : journal des traducteurs, volume 25, N° 1, 1980, P. 137.

.a Ibid, P. 137

.25 أُنظر: Jacques LETHUILLIER, « L'enseignement des langues de spécialité comme préparation à la traduction spécialisée », Méta : journal des traducteurs, volume 48, N° 3, 2003, P. 385.

.26 أُنظر: Christina DECHAMPS, « Problématique de l'enseignement / apprentissage du français juridique à des apprenants lusophones dans le cadre de l'enseignement de la traduction juridique, téléchargé, le 17/12/2017 à 19 :53, à partir de http://www.initerm.net/public/langues%20de%20sp%C3%A9cialit%C3%A9/colloque/Christina_DECHAMPS.pdf, sans date, P. 4.

.27 أُنظر: Jacques LETHUILLIER, Op. cit, P. 384

.28 أُنظر: Jacques LETHUILLIER, Op. cit, P. 385

قائمة المصادر والمراجع

باللّغة العربيّة

- القرّام ابتسام، " المصطلحات القانونيّة في التّشريع الجزائريّ: قاموس باللّغتين العربيّة والفرنسيّة"، البليدة، قصر الكتاب، دون تاريخ.

باللّغات الأجنبيّة

- Christina DECHAMPS, « Problématique de l'enseignement / apprentissage du français juridique à des apprenants lusophones dans le cadre de l'enseignement de la traduction juridique, Université Nova De Lisboa, Portugal.
- Christine DURIEUX, « Transparence et fonctionnalité », in Synergies : Tunisie, N° 02, 2010.
- David Sereno INACIO, « L'utilité de la terminologie juridique comparée dans la résolution des difficultés de la traduction juridique de l'Espagnol et du Portugais vers le Français », mémoire de Master soutenu à l'Université Lumière, Lyon 02, 2010.
- Gérard CORNU, « Linguistique juridique », 2ème édition, Paris, Montchrestien, 2000.
- Ivo PETRU, « La polysémie, élément majeur de la terminologie selon Gerard CORNU », Echo des Etudes Romanes, volume 11, N° 02, 2013.
- Jacques LETHUILLIER, « L'enseignement des langues de spécialité comme préparation à la traduction spécialisée », Méta : journal des traducteurs, volume 48, N° 3, 2003.
- Jean Claude GEMAR, « Terminologie, langue et discours juridiques, sens et signification du langage du droit », Méta : journal des traducteurs, volume 36, N° 01, 1991.
- Jean Claude GEMAR, « Le traducteur et la documentation juridique », Méta : journal des traducteurs, volume 25, N° 01, 1980.
- Jean Claude GEMAR, « La traduction juridique et son enseignement : aspects théoriques et pratiques », Méta : journal des traducteurs, volume 24, N° 01, 1979.
- Judith LAVOIE, « Faut il être juriste ou traducteur pour traduire le droit ?, Méta : journal des traducteurs, volume 48, N° 03, 2003.
- Michel SPARER, « L'enseignement de la traduction juridique, une formation technique et universitaire », Méta : journal des traducteurs, volume 33, N° 2, 1988.

المواقع الالكترونيّة

- www.dictionnaire-juridique.com

الموقف النقدي والأدبي من "الأدب النسوي" في العالم العربي

The critical and literary opinion about the women'sliterature in the Arabword

كريمة بكاي*

تاريخ تقديم البحث **2018/03/05** تاريخ القبول **2018/04/28**

ملخص

ما يزال مصطلح "الأدب النسوي " منذ انتقاله إلى العالم العربي غير ثابت ولا مستقر في الساحة الأدبية والنقدية، بما يثيره من اعتراضات، وما يسجل حوله من تحفظات، ويظهر ذلك في تعدد تسمياته، كالأدب النسوي والأدب النسائي والأدب الأنثوي وأدب المرأة وغيرها، وعدم الاتفاق على تحديد مفهومه، والخصائص التي تجعل من أدب ما أدبا نسويا، إضافة إلى اختلاف الآراء بين الأدباء والنقاد على القبول المطلق لمفهوم الأدب النسوي في حد ذاته أو القبول المشروط له أو الرفض التام له، كل بحسب المعيار الذي يستند إليه.

وفي هذه البحث نسلّط الضوء على هذه الآراء المتباينة ونظهر الحجج التي استند إليها المؤيدون والمعارضون في موقفهم من "الأدب النسوي" من دون التطرق إلى إشكالية التسمية والمفهوم لهذا المصطلح، كون ذلك سيؤدي إلى إطالة البحث والمقام لا يوجب ذلك.

الكلمات الدالة:

الأدب النسوي، الأدب النسائي، الموقف الأدبي، الموقف النقدي، العالم العربي.

Abstract

The women's literature is still unclear and unidentified, since it had appeared in the Arab word, this has led to oppositions and centrasts, this is clearly shown to the varions and different names suchas « women's literature », « female literature » and « literature if woman » etc.

The disagreement about the name of suchliterature, it's identification and significance, and the characteristicsthatmakes of it, women'sliterature, in addition to the varied points of view of the men of literature and critics to agreeand approve about a unique definition and one meaning of thiskind of literature, all thesedepends on the normsthat stands on it.

In this article wehigh light thesevaried points of views and show the arguments givenby the supporters (thosewhoagree), and thosewhodisagree about thiskind of literatureregardless of itsname and identification of thisterm, becausethis leads to lengthingthis article, and thisdoesn'tdeserve .

Keyboard: thewomen'sliterature, the femaleliterature, the critical opinion, the leterature opinion, the Arabword.

* معهد اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي عبد الله مرسلي، تيبازة.

مقدمة

يعود ظهور مفهوم " النسائية" أو "المذهب النسائي" (Feminism) في العالم الغربي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، بعد نضال نسوي غربي في سبيل تحرير النساء من القمع الذي طالهن لقرون من قبل السلطة الذكورية، وقد ظهر في أوروبا كجزء متضمّن في الخطاب التنويري، إذ أول ما أطلق أطلق على جماعة من النساء من ضمن الجماعات النسائية التي كانت تنادي بحقوق المرأة، والتي تؤكد على تفرد النساء وروحانية الأمومة، وأول من أطلق مصطلح (Feminism) هن نساء ذوات تفكير برجوازي غربي، ولذلك لقي رفضا واسعا من قبل نساء الحزب الشيوعي ونساء الحركات القومية في الهند والنساء السود ونساء الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا... وقد تعددت مدارسه وآراء النقاد في مفهومه على اختلاف توجهاتهم الفكرية[1].

وقد انبثق عن هذا المذهب ما يعرف بالأدب النسوي، ثم النقد النسوي، وقد أثار هو الآخر جدلا كبيرا بين النقاد، بين متقبل ورافض له، فقد تقبله بعضهم إيمانا منه باختلاف أدب المرأة عن أدب الرجل باعتباره يعكس تجارب المرأة وخبراتها وبكونه ينطلق من مناطق خاصة بها بعيدا عن مناطق السيطرة الذكورية، في حين رفضه فريق آخر كون هذا المصطلح يؤدي إلى تصنيف الأدب بالاحتكام إلى معايير جنسية بيولوجية لا أدبية موضوعية.

وانتقل مصطلح "الأدب النسوي" إلى العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين عن طريق الترجمة، ويرجع سبب انتقاله إليه حسب "يمنى العيد" إلى : « مرحلة النهوض التي أدرك فيها المتنورون أهمية دور المرأة في نهوض المجتمع، وهو ما استدعى تعليمها وأفسح لها من ثم إمكان المشاركة في النشاطات الاجتماعية والثقافية والإنتاج الأدبي »[2].

---

[1] ينظر، سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: الطيب بودربالة، جامع الحاج لخضر، باتنة-2008/2007م، ص:56-57.

[2] محمد قاسم صفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث (1980-2007)، أطروحة دكتوراه، إشراف: إبراهيم طه، جامعة حيفا، فلسطين، 2008م، ص:9.

إن هذا المصطلح قد عرف في العالم العربي الإشكالية نفسها التي عرفها في العالم الغربي، بل إن إشكاليته في العالم العربي أكبر، بالنظر إلى الجدل الكبير الذي لا يزال قائما بشأنه بين النقاد والأدباء، ولذلك نجدهم منقسمين فيه بين رافض ومتقبل، وفي ما يأتي بيان ذلك.

1- الموقف النقدي الرافض لمصطلح "الأدب النسوي":

يجمع كثير من النقاد والأدباء على رفض مصطلح "الأدب النسوي" تسمية ومفهوما، أما النقاد فحجّتهم الرئيسة في ذلك أنّ الأدب لا يخضع في تصنيفه لمعيار الجنس(ذكر/أنثى)، ذلك أن الفكر الإنساني ينتج عن وحدة حيّة هي مخ الإنسان وهذه الوحدة لا تختلف في طرائق التفكير إلا لبيان الفروق الفردية .

وانطلاقا من هذا، فلا فرق بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل إلا ما يتعلق بالجوانب التي يرتبط بها أحدهما من دون الآخر.

من النقاد الذين رفضوا مصطلح "الأدب النسوي" "محمود فوزي" الذي يدعم فكرة عدم جواز تصنيف الأدب حسب الجنس، فهو لا يفرق بين أدب المرأة وأدب الرجل إلا بمقياس مستوى النتاج من الناحية الأدبية، فيقول: إنّ الأدب ليس له جنس، كما أن المشاعر الإنسانية ليس لها خريطة، ولا توجد تفرقة بين ما يكتبه الرجل أو المرأة، إنما مناط التفرقة يكمن في: هل العمل يدخل في عداد الإبداع الأدبي أم لا[1].

والموقف نفسه نجده عند "وديع فلسطين" الذي لا يرتضي تصنيف الأدب إلى أدب قديم وأدب حديث أو إلى أدب رجالي وأدب نسائي، لأن الأدب الجيّد في نظره هو الذي يبقى ولا يختفي ولا تبلى جدّته مع مرور الأيام مثلما تختفي الموضات في الثياب[2].

ترى الناقدة " خالدة سعيد" من خلال مؤلفها "المرأة: التحرر والإبداع" أنّ إطلاق مصطلح الأدب النسائي أو الكتابة النسائية يبتعد عن الدقة والموضوعية، لأن ما

---

[1] المرجع السابق، شعرية السرد النسوي، ص:11.

[2] المرجع نفسه، ص:12.

تبدعه المرأة لا يملك تلك الخصوصية التي تميّزه، وبالتالي تؤهله لأن يكون أدبا متميزا يحمل هويته الخاصة، فهي ترفض المصطلح لأنه سيحصر الأدب في الفئوية (نسائية/ذكورية)[1].

وهو السبب نفسه الذي جعل "عبد العاطي كيوان" يرفض هذا المصطلح، إذ لا يوجد حسبه فرق بين الإبداع الرجالي والنسائي، فكلا الإبداعين يمثل شكلا أدبيا واحدا بصرف النظر عن جنس مبدعه، ولذلك فإن مصطلح الأدب النسوي في نظره قائم على أساس تصنيف عنصري (ذكر/أنثى)، كما أنه لا يعدو أن يكون مصطلحا منقولا عن الثقافة الغربية[2].

وتتخذ الناقدة " يمنى العيد" الموقف ذاته، والسبب في رأيها أن خصوصية هذا الأدب ليست ثابتة بل هي رهينة الظروف، فمتى زالت ظروف القهر وأشكاله زالت خصوصية هذا الأدب، فالكتابة بالنسبة للمرأة – حسبها- وسيلة تحتمي وراءها إزاء وضع متردّ يهدد وجودها وكيانها ناشدة من خلالها التحرر[3]...

أما "هيام الخلوصي" فترفض المصطلح من منطلق مخالف، يتمثل في أن الأدب النسوي ليس بالضرورة ما تكتبه المرأة/الأنثى، وهذا الطرح يفتح الباب أمام سؤال آخر مفاده : هل يمكن للرجل أن يكتب أدبا نسائيا؟، ولذلك اقترحت الناقدة مصطلحا بديلا هو الكتابة الأنثوية أو النص المؤنث[4].

غير أن المصطلح الذي اقترحته الناقدة قد رفض من قبل نقاد آخرين مثل الناقدة العراقية "نازك الأعرجي" ذلك أنّ لفظ الأنثى يوحي بدلالات الضعف والدونية وهو يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية لأن هذا اللفظ (أنثى) أكثر ما استخدم لوصف الضعف والرقة والاستسلام والسلبية، ورغم رفضها لمصطلح " الأدب الأنثوي"، إلا أنها

---

1 ينظر، خالدة سعيد، المرأة، التحرر والإبداع، سلسلة نساء مغاربيات، بإشراف فاطمة المرنيبي، نشر الفنك، 1991م، ص:86.

2 ينظر، عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف(دراسة في السرد النسائي)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، (دت)، ص:13.

3 ينظر، رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة (الاختلاف وبلاغة الخصوصية)، إفريقيا الشرق، المغرب/بيروت، ط 2، 2002م، ص:77.

4 ينظر، زهرة الجلاصي، النص المؤنث، دار سراس للنشر، تونس، 2000م، ص:13.

وقعت في التناقض بسبب استخدامها للفظ الأنثى في عنوان كتابها (صوت الأنثى (دراسات في الكتابة النسوية العربية))[1].

وقد رفض "سعيد يقطين" مصطلح الأدب النسوي بالنظر إلى اعتبارين اثنين، يتمثل الأول في أن هذا الأدب – حسبه- ليس حكرا على المرأة وحدها، بل بإمكان الرجل أن يكتب أدبا نسويا إذا أمكنه تمثل القضايا النسوية شديدة الصلة بعالم المرأة أوضاعا وأدوارا، وما يتوفر عليه النص من علامات المؤنث التي تتراوح بين الاستعاري والجمالي والرمز وحتى الحقيقي، أما الاعتبار الثاني في رفضه فهو كون أن هذه التصنيفات والتنويعات تضرّ الأدب أكثر مما تخدمه، فالتاريخ الأدبي الحديث لا يركز بالدرجة الأولى والأخيرة إلا على محتوى الإبداع وعلى منتجه ومن هو، والأوْلى من ذلك التركيز على الطابع الجمالي، لأنه إهماله والتركيز على معايير ثانوية أدى إلى تراجع الأدب والفن وعدم نضج النقاش الجمالي...[2]

هذه نماذج من رفض النقاد لمصطلح "الأدب النسوي" وقد تبيّن لنا من خلالها أن رفضهم له يمكن إرجاعه إلى سببين رئيسين، يتمثل الأول في رفض النقاد للتصنيف القائم على أساس الجنس (ذكر/أنثى) لأن في هذا انتقاصا من قيمة الأدب بشكل عام لأن المعيار في تصنيفه ينبغي أن يكون أدبيا جماليا، والسبب الثاني في رفض النقاد لهذا المصطلح هو غياب الخصوصية التي تميز الكتابة عند المرأة عن الكتابة عند الرجل مما يؤهلها لأن تكون أدبا متميزا يعبر عنه بمصطلح يحدد هويته الخاصة.

2– الموقف النقدي المتقبل لمصطلح " الأدب النسوي":

لئن كان الفريق الأول رفض مصطلح "الأدب النسوي" فإن فريقا آخر تقبّله وأيّد استعماله، بالنظر إلى كتابة المرأة لها خصوصيتها التي تميزها عن كتابة الرجل، وبالتالي يمكن تسميتها بما يبين هذه الخصوصية ويبين هوية هذا الأدب.

---

1 ينظر، نازك الأعرجي، صوت الأنثى (دراسات في الكتابة النسوية العربية)، دار الأهالي، دمشق، 1997م، ص: 31.
2 ينظر، سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة والسلطة (نحو ممارسة أدبية جديدة)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2002م، ص:58.

ومن هؤلاء الناقدة "ماجدة حمود" التي ترى أن استخدام مصطلح الأدب النسوي فيه إشارة مباشرة إلى جنس صاحب الإبداع (المرأة) كما فيه تلمس لمدى خصوصيته ، فهو حسبها: « لا يحمل دلالات تفضيلية أي أننا في هذه الدراسة لا نفضل أدب المرأة على أدب الرجل فالأدب الحقيقي ليست له جنسية سوى الإبداع »[1]، وعليه، فمعايير تقييم الأدب عندها أدبية، وتسمية "نسوي" لا تعدو أن تكون دالة على نوع من أنواع الأدب هو أدب المرأة.

ومنهم أيضا الناقدة " رشيدة بنمسعود" التي حاولت رد الاعتبار إلى المصطلح وتخليصه من التأملات الخاطئة، إذ رأت أن الغموض الذي ينسحب على وجهات النظر المقدمة لمفهوم مصطلح "الأدب النسائي" راجع إلى عدم تحديد كلمة "نسائي" التي تحمل دلالات مشحونة بالمفهوم الحريمي الاحتقاري مما دفع إلى النفور منه خاصة من قبل المبدعات، ونجد الناقدة تحدد خصائص الكتابة النسوية التي تميزها عن كتابة الرجال وفي مقدمة هذه الخصائص الوظيفة التعبيرية التي تؤكد على دور المرسل الذي يكون في الكتابة النسوية مرتفعا إضافة إلى الوظيفة اللغوية التي تتجلى من خلال الإطناب والتكرار...[2]

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد موقف آخر يتأرجح بين القبول والرفض، وقد مثله الناقد "حسام الدين الخطيب" في كتابه حول الرواية النسائية في سوريا، فهو يقبل المصطلح بشرط أن يدل في مفهومه على الأدب الذي تكتبه المرأة والذي يعكس مشكلاتها وقضاياها العامة فهذا في رأيه المسوغ الوحيد الذي يمنح هذا المصطلح شرعيته النقدية، غير أنه عاد ليستدرك أن هذا المصطلح بالمفهوم الذي قدّمه لا يقتصر على كتابة المرأة وحدها، بل يتجاوز ذلك إلى كل مبدع وكاتب استطاع معالجة القضايا الخاصة بالمرأة في إنتاجه الإبداعي (رجل أو امرأة).

ومهما يكن من أمر، فإن المتقبلين لمصطلح الأدب النسوي قلة بالمقارنة مع الرافضين له، وكان تقبلهم له من منطلق أنه دال فقط على جنس المبدع من دون أن يحمل في طياته أيّ مفاضلة بين الكتابتين النسائية والرجالية.

---

1 ماجدة حمود، الخطاب القصصي النسوي (نماذج من سورية)، دار الفكر، بيروت/دمشق، 2002م، ص:8.
2 ينظر، رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، ص: ص:82.

4- الرفض الأدبي للمصطلح:

رفضت كثير من الأديبات العربيات مصطلح "الأدب النسوي" لما يحمله من مفاضلة بين ما يكتبنه وما يكتبه الرجال ومن احتقار وازدراء لأدبهن، فهو يعكس النظرة الدونيّة لإبداعهنّ ويكرّس الثقافة الذكورية الأحادية أو الخطاب الذكوري، رغم اعترافهن في الكثير من المناسبات بأن كتابة المرأة تملك تميّزها وهويّتها.

ومن الأديبات الرافضات لمصطلح "الأدب النسوي" " غادة السمان"، التي ترى أنّ الأدب واحد ولا يمكن تقسيمه إلى أدب رجالي وآخر نسائي رغم إقرارها بوجود خصوصية تميز أدب المرأة، فتسمية الأدب النسوي – حسبها- : « نابعة من أسلوبنا الشرقي في التفكير وقياسا على المبدأ القائل: الرجال قوامون على النساء فخرج نقادنا بقاعدة – على طريقة المنطق الصوري – تقول: الأدب الرجالي قوام على الأدب النسائي...» [1]، فرفضها للمصطلح غير مبني على أسس موضوعية، بل استنادا إلى كونه يكرس النظرة الشرقية التي تعلي من قيمة الرجل وتحط من قيمة المرأة.

والموقف نفسه نجده عند الأديبة المصرية "لطيفة الزيات" التي رفضت أن تصنف كتاباتها الإبداعية في خانة الأدب النسائي لأن ذلك سيجعله أقل شأنا من الأدب الذي يكتبه الرجل بحكم نظرة الأمة العربية إلى الأدبيين، وهي النظرة التي تحقر – حسبها- أدب المرأة[2].

كما رفضت الكاتبة المغربية "خثانة بنونة" المصطلح لما يوحي به من تهميش للمرأة وإبداعاتها، وعليه، يجب على المرأة رفض مثل هذه التصنيفات وتبطلها خاصة في ظل الأفكار المتطورة التي يملكها الجيل الجديد[3].

---

1 المرجع نفسه، المرأة والكتابة، ص:80.

2 ينظر، السيد محمد، السيد قطب وآخرون، في أدب المرأة، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 2000م، ص:28.

3 ينظر، رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، ص:81.

وكذلك فعلت الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" التي تقول: « أنا لا أؤمن بالأدب النسائي، وعندما أقرأ كتابا لا أسأل نفسي بالدرجة الأولى هل الذي كتبه رجل أو امرأة »[1].

ورفضت القاصة الليبية " لطيفة القبائلي" المصطلح لأن المرأة في كتاباتها ليست ذات حضور أحادي الجانب، وإنما هي عبارة عن وجوه اجتماعية متعددة في إطار رؤية فكرية ناضجة[2] .

يتضح مما سبق إيراده من مواقف للأديبات العربيات من مصطلح "الأدب النسوي" أن رفضهن له جاء من باب شعورهن أن فيه تهميشا لأدبهن وإنقاصا من قيمته أمام الأدب الرجولي، خاصة في ظل المفاهيم المهيمنة في المجتمعات العربية، التي تكرس الهيمنة الذكورية في مختلف المجالات.

4- التقبّل الأدبي للمصطلح:

من الأديبات العربيات من تقبلت هذا المصطلح، من باب أنه لا يعكس التهميش والدونية بقدر ما هو علامة على نوع خاص من الكتابة الإبداعية الذي له خصوصيته وهويته.

ومن هؤلاء الأديبة " حمدة خميس" التي ترى أن: « أدب المرأة – واقعا ومصطلحا- ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز المرأة والمجتمع والنقاد إذ إنه يصحح مفهوم الأدب الإنساني الذي يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته، إنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة ولغة وليدة ويعينه ويتكامل معه، وهو أيضا خطاب نهوض وتنوير»[3]، فمصطلح "الأدب النسوي" ينبغي أن يكون مبعثا للافتخار ليس من قبل المرأة الكاتبة فحسب، بل من قبل النقاد والمجتمع برمته، لأن فيه دلالة على تنوع الأدب الإنساني وعدم

1زهور كرام، السرد النسائي العربي (مقاربة في مفهوم الخطاب)، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ص:94.

2 ينظر، المرجع نفسه، ص:94.

3 ينظر نفسه، ص: 94.

انحصاره في نوع واحد، وفيه دلالة على خصوصية هذا الأدب سواء في موضوعاته أو لغته مما يجعله مكملا للأدب الرجولي لا منحطا عنه.

والموقف ذاته نجده عند الأديبة "نورا أمين" التي تقر بمشروعية هذا المصطلح إذ تقول: « نعم هناك أدب نسائي ونقد نسائي ومسرح نسائي، اعتراضي هو أننا نتعامل مع هذه المصطلحات كترجمة، هذه المصطلحات لم تولد في الغرب من فراغ بل كان لها تاريخ وتراث وجهود كثيرة لها مسار بمعنى أدق، ونحن لا ننتمي لنفس التيار ولا أقول أننا حتى فرع لهذا التيار»[1]، فاعتراض الأديبة لم يكن على المصطلح (التسمية) في حد ذاتها، بل على المفاهيم الخاطئة التي اتخذت لها في العالم العربي، وهي المفاهيم الناتجة عن الترجمة الحرفية من دون الرجوع إلى الخلفية الثقافية والفلسفية الأصلية التي نقل منها هذا المصطلح.

خاتمة:

لعل ما نخلص إليه من هذا العرض أن مصطلح "الأدب النسوي" لم يستقر بعد في الساحة النقدية والأدبية العربية، إذ لا يزال يتأرجح بين الرفض والقبول في الوسطين لأسباب عدة.

- فالرافضون من النقاد للمصطلح كان مرجعهم في ذلك أن الأدب لا يصنف على أساس الجنس (ذكر/أنثى)،بل على أساس الإبداع الجمالي، أو جاء رفضهم للمصطلح من باب أن الأدب النسوي لا يملك ما يحدد خصوصيته وهويته.

- أما المتقبلون للمصطلح فكان منطلقهم في ذلك أن كتابة المرأة لها ما يميزها عن كتابة الرجل ولذلك فلا بد لها من مصطلح يعكس هذا التميز ويحدد هوية هذا الأدب.

- كذلك رفضت كثير من الأديبات العربيات مصطلح " الأدب النسوي" لأن فيه حطا من قيمة أدبهن وتشويها له رغم إقرارهن بتميز إبداعهن، في حين تقبلت أخريات المصطلح بل

1 شيرين أبو النجا، عاطفة الاختلاف (قراءة في كتابات نسوية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص:43.

اعتبرنه مصدر افتخار واعتزاز لما فيه من دلالة على تنوع الأدب الإنساني وخصوصية كل نوع عن الآخر

الهوامش والمراجع:

1- ينظر، سعيدة بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: الطيب بودربالة، جامع الحاج لخضر، باتنة-2008/2007م، ص:56-57.

2- محمد قاسم صفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث (1980-2007)، أطروحة دكتوراه، إشراف: إبراهيم طه، جامعة حيفا، فلسطين، 2008م، ص:9.

3- المرجع نفسه، شعرية السرد النسوي، ص:11.

4- المرجع نفسه، ص:12.

5- ينظر، خالدة سعيد، المرأة، التحرر والإبداع، سلسلة نساء مغاربيات، بإشراف فاطمة المرنيبي، نشر الفنك، 1991م، ص:86.

6- ينظر، عبد العاطي كيوان، أدب الجسد بين الفن والإسفاف(دراسة في السرد النسائي)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، (دت)، ص:13.

7- ينظر، رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة (الاختلاف وبلاغة الخصوصية)، إفريقيا الشرق، المغرب/بيروت، ط 2، 2002م، ص:77.

8- ينظر، زهرة الجلاصي، النص المؤنث، دار سراس للنشر، تونس، 2000م، ص:13.

9- ينظر، نازك الأعرجي، صوت الأنثى (دراسات في الكتابة النسوية العربية)، دار الأهالي، دمشق، 1997م، ص: 31.

10- ينظر، سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة والسلطة (نحو ممارسة أدبية جديدة)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 2002م، ص:58.

11- ماجدة حمود، الخطاب القصصي النسوي (نماذج من سورية)، دار الفكر، بيروت/دمشق، 2002م، ص:8.

12- ينظر، رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، ص: ص:82.

13- المرجع نفسه، المرأة والكتابة، ص:80.

14- ينظر، السيد محمد، السيد قطب وآخرون، في أدب المرأة، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 2000م، ص:28.

15- ينظر، رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، ص:81.

16- زهور كرام، السرد النسائي العربي (مقاربة في مفهوم الخطاب)، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ص:94.

17- ينظر، المرجع نفسه، ص:94.

18- ينظرنفسه، ص: 94.

19- شيرين أبو النجا، عاطفة الاختلاف (قراءة في كتابات نسوية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص:43.

إشكالية المنهج التاريخي في الدراسات النقدية الأدبية.

The problematic of the historical approach in literary critic studies.

الصادق دهاش *

تاريخ تقديم البحث **2017/11/13** تاريخ القبول **2018/3/3**

ملخص

تعد علاقة الأدب بالنقد أحد أكثر المواضيع معالجة وتداولا، فهي علاقة جدلية يتطلب وجود أحدهما وجود الآخر، لأن توظيف المعلومات التاريخية في فهم الظاهرة الأدبية يعتبر معطى تاريخيا هاما، لأنه يعمل على ربط الوقائع الأدبية بالحقائق التاريخية ولأن الأدب في حقيقة الأمر هو إبن بيئته، يبنى على اللحظة التاريخية، وسياقه التاريخي الذي تشكل فيه.

ويعتبر المنهج التاريخي المعاصر أداة بحثية مساعدة على التعمق في الظاهرة الأدبية وليست غاية في حد ذاتها، ولا يكتفي المنهج التاريخي على وصف الأحداث التاريخية، بل يسعى إلى تفسيرها وتعليلها وتحليلها، لأن المنهج التاريخي في الغالب ينتقل من الجزئيات ويربطها بالكليات، أنطلاقا من نصوص موثقة بعيدا عن السرد الإنشائي والخطاب البلاغي. وبهكذا علاقة نكون قد زاوجنا بين التاريخ والأدب، وعليه لا نتصور تاريخ بدون أدب ولا أدب بدون منهج تاريخي يقوم بتأصيل المعرفة الأدبية والتاريخية.

ويركز المنهج التاريخي على ضرورة معرفة حياة المؤلف وبيئته، وجنسه، وطبقته، وانتاجه الأدبي. ليشرح ذلك الإنتاج، وهو مطالب بأن يوضح خصائصه الفنية، وكيف تأثر بسابقيه، و مدى أثرهم فيه.

الكلمات الدالة: المنهج التاريخي، النقد الأدبي، الرواية التاريخية، السياق التاريخي للأدب، الظاهرة التاريخية والأدبية، التاريخ الأدبي.

Abstract

The literature related to cashing one of the most subjects treated and negotiated, and uses historical information to understand the literary phenomenon has historically given important, because it works to link the literary facts of historical facts, and literature into truth The historical approach is an appropriate research tool to help deepen.

the literary phenomenon and not an end in itself, not only the approach History of the literary description of historical events, but seeks to interpret reasoning and analysis

Keyboard: Historical approach, literary criticism, The historical novel, Historical background of the literature, Historical and literary phenomenon, Literary history

* قسم العلوم الإنسانية ، شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة الجزائرعلي لونيسي ، البليدة 2، الجزائر .

مقدمة

يوجد ارتباط شديد الصلة بين التاريخ والأدب، مثله كمثل كثير من العلوم والمعارف المتشابكة والمتداخلة،فصار التاريخ يعتمد على الأدب ، والأدب يستعمل مصادر تاريخية، لذلك ظهرت عدة مناهج نقدية في مختلف الاختصاصات، لنقد السياقات النصية: التاريخية والاجتماعية، و النفسية من أجل دراسة وتحليل العلاقة بين مجمل عناصر النص .ويعد المنهج التاريخي أقدم المناهج التي إستعملها الأوربيون ، فهو أول منهج استخدم في دراساتهم الاجتماعية والتاريخية، خاصة وأن المهمة الأساسية للنقد هي البحث في تكاملات النص البنيوية والجمالية.

ومن المهام الرئيسية للنقد الأدبي هو غوص الناقد في الذات الداخلية لصاحب النص، أو التأليف لتقريب القارئ من حياة المؤلف النفسية والاجتماعية والفكرية والثقافية ، ليتكون لدى القارئ في النهاية إلمام أكبر بخفايا نوع الأدب المدروس، أي معرفة تأثير الزمان والمكان على نفسية وأدب الأديب، ، فمعرفة عصر الأديب يفيدنا في معرفة حقيقة وطبيعة الأدب المؤرخ له، وفي النهاية نقول هناك تداخل وتمازج بين التاريخ الأدبي والمنهج التاريخي. ولمعالجة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية: ما حقيقة وأهمية المنهج التاريخي في نقد البحوث والدراسات التاريخية؟ وللإجابة على هذه الإشكالية ندعمها بجملة من الاستفسارات وهي: كيف نميز بين ماهو تاريخي وماهو أدبي؟،هل يمكن للأدب أن يستغني عن التاريخ والعكس صحيح؟،ماهي مميزات وخصائص المنهج التاريخي؟،كيف كانت مواقف الأدباء والكتاب من توظيفهم للمنهج التاريخي ؟.

I– مفهوم المنهج التاريخي:

اختلف المؤرخون والكتاب في ماهية المنهج التاريخي ، فتسمى بعدة مسميات منها المنهج الإسترادادي لأنه عملية استرداد واسترجاع للماضي، وكذلك المنهج السردي ، ومن التعاريف التي أعطيت للمنهج التاريخي ذلك الذي يعتبره عملية فحص وتحليل دقيقين لسجلات الماضي ومخلفاته، إعادة تصور الماضي يتم بوسيلة رئيسية وهي تعبر عن المنهج التاريخي وهي: تدوين التاريخ، أو كتابة التاريخ (1) (لويس جوتشلك،1966، **كيف نفهم التاريخ: مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي**، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،

بيروت).فالمنهج التاريخي يصف ويسجل ويدرس ويعلل ويحلل الوقائع التاريخية بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية النسبية.

ومن الباحثين القلائل الذين أسهبوا في أهمية المنهج التاريخي في الدراسات الإنسانية والاجتماعية أرنست برنهايم (1850- 1942) صاحب الكتاب الشهير المعنون ب " تعلم المنهج التاريخي والفلسفة التاريخية " والصدر لأول طبعة بليبزج سنة 1889م (2) (لويس جوتشلك،1966، **كيف نفهم التاريخ: مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي**، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت).

المنهج التاريخ هو منهج غير مباشر، لأنه يعتمد على المصادر المتعلقة بالظاهرة أو الحدث وليس بمعايشة الظاهرة نفسه، لأن أهم مايميز المنهج التاريخي هوالعودة إلى الماضي(3) (ابراهيم أبراش ، 1999،**المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع).

II– خصائص المنهج التاريخي:

إن الأحداث التاريخية وشخصية الأديب يمكن لهاأن تكون عوامل مساعدة على تحليل النص الأدبي وتفسيره ، وهنا يعمل المنهج التاريخي على أظهار الظروف التاريخية والإجتماعية التي صنع فيها النص ،مع إهمال الإختلافات الدلالية للنص ومدى تأثيرها على القارئ(4) (خالد مسور، ،**المكتبة الإلكترونية** منتديات ستار تايمز ،شبكة المعلومات الدولية للأنترنت).

ومن جهته يرى طه حسين(1889-1973) بأن التاريخ الأدبي بنبغي أن تصدر عن النصوص الموثوقة،لذلك نراه شكك في صحة الشعر الجاهلي،فقيمة النص عنده تكمن في مدى تمثيله لروح العصر، خاصة وأن الأديب والناقد طه حسين يمثل أحسن من مثل المنهج التاريخي في النقد العربي المعاصر، فهو ناقدا تاريخيا.

لذلك اختلف الباحثون حول حقيقة التاريخ، هل هو علم أم فن ؟ وكتب الشيئ الكثير عن هذا الموضوع ، لوجود فوارق كبيرة بين طبيعة وما هية العلم والفن، ومن الذين خاضوا في هذا الإشكال نجيب زكي محمود(5) (مفكر وفيلسوف مصري 1905-1993)، الذي يرى بأن العلم تعميم والفن تخصيص، والعلم تجميع، وأما الفن في نظره فهو تفريد(6) (محمود زكي نجيب،1988،**قشور ولباب**، دار الشروق، لبنان.).وفي هذه الحالة إذا سلمنا بأن التاريخ علما وهو كذلك في اعتقادنا، فإن الأدب يتميز بالتفرد والتخيل وغلبة الذاتية على الموضوعية، وإستعمال المنهج التاريخي في الأدب يعني إستدراج الأدب إلى العلم والعلمية، فيكون الأدب في هذه الحالة أقرب إلى العلم منه إلى العلوم الإنسانية.وبما أنه في الغالب الأعم يكون الادب لصيقا بسياسة السلطة الحاكمة ، فنضطر مرغمين إلى استعمال المنهج التاريخي في الأدب للبحث عن السياق التاريخي الذي كتب فيه هذا الأدب لمعرفة مدى أصالة وعراقة هذا الأدب للتميز بين ما أخذه الأديب من علوم ومعارف غيره، وبين إبداعه وإضافاته في مجال تخصصه، خاصة وأن المنهج التاريخي ما هو إلا وسيلة وأسلوب لتفسير وتعليل وتحليل الظواهر الأدبية،لذلك إذا أردنا فهم حقيقة الأدب معرفة تامة ، علينا أن نتعرف على الظواهر السياسية والاجتماعية لأي أدب مهما كان نوع هذا الأدب.

ومن أهم خصائص المنهج التاريخي الذي يدرس الزمن بأبعاده الثلاثةلدراسة وحدة زمنية محددة،وأنه منهجا شاملا وأصيلا ،يرتكز على الملاحظةو الوصف المبني على التعليل والتحليل.

ومن ناحية أخرى قدم المؤرخ العراقي عماد الدين خليل(1939- ؟)صاحب الكتاب الرائع: الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، وهو منهجا متكاملا بين الأدب والتاريخ في نقطتين أساسيتين هما: دراسة شخصية الأديب، ومعرفة ثقافته، وعصره، والأحداث العامة والخلاصة التي مر بها، ومعرفة خلفيته السياسية والفكرية والإجتماعية والإقتصادية، ومدى تأثير ذلك في نتاجه الأدبي ، وأخيرا دراسة النص الأدبي ذاته، والوصول إلى جميع القيم

الإبداعية، الجمالية ،البيئية، والتاريخية (7) (خليل، عماد الدين،1987 ،**مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**،مؤ سسة الرسالة، لبنان).

ويتميز المنهج التاريخي بتنوعه وتفرده ، ولذلك يمكن اختزاله في ثلاثة أنماط أساسية هي : نمط تحكم النظرة إلى الأدب في علاقته بالسياسة، تتغلب عليه الرؤية الوضعية، لذلك يدرس الأدب في صلته بالبيئة ، أو في صلته بمبدعه وما يحيط به، و يجمع بين التحليل التاريخي والتقويم الفني(8)(بسام قطوس،2006 ،**المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر).

III –جدلية إرتباط الأدب بالتاريخ:

توجد فعلا علاقة وطيدة وحميمة بين الأديب الروائي والمؤرخ وهناك تداخلا كبيرا بينهما،وتوجد قواسم مشتركة تربطهما،وفي مقابل ذلك ،توجد أيضا أوجه اختلاف تفرق بينهما، فالاختلاف موجود في اختلاف المنهج الذي يسير عليه كل واحد منهما، وإذا دققنا النظر في طبيعة الرواية نجدها عبارة عن " تسجيل تاريخي سلبي أو إيجابي لظواهر إجتماعية تحمل دلالات متنوعة يسجلها الروائي، أو يحتج عليها، أو يريد إصلاحها أو يحملها رسالته و هدفه الذي يريد للقراء أن ينتبهوا له"(9) (قاسم عبده قاسم ، 2005،"التاريخ والرواية.. تفاضل أم تكامل؟ "،عدد557، **مجلة العربي**).

وفي الحقيقة هناك كثير من الكتاب والباحثين قدإختلفوا في رؤيتهم وتقييمهم لعلاقة الأدب بالتاريخ وذلك لعدم تفريقهم بين حقلي التاريخ والنقد الأدبي، و صار الأدب واحداً من أبرز مصادر الدراسات التاريخية، وصار التاريخ واحداً من أهم موضوعات الأعمال الأدبية، والتقى الاثنان: التاريخ والأدب في سعيهما إلى تحقيق قناعات واحدة أو متشابهة(10)(خليل، عماد الدين، **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**). خاصة وأن التاريخ كان قديما نوعًا من الرواية، وكانت هذه الأخيرة نوعا من التاريخ ، لا تستطيع التفريق بينهما إلا بجهد جهيد، وبصورة أدق لما طغت الرواية الشفوية على الكتابة التاريخية، وكيف لا تكون علاقة بين

التاريخ والأدب ونحن نعرف بأن الأدب ماهو إلا صورة مصغرة للواقع ، يشترك كل من المؤرخ والأديب في إعادة بنائه وتشكيله من جديد وفق رؤية ومنهجية تاريخية واضحة، تجعل من التاريخ والأدب في خدمة الإنسان الحالي في إطلالته على الماضي ليستمد منه قوته وتوازنه واستمراريته في الإرتقاء نحو الأحسن والافضل في تحريك عجلة التاريخ إلى الأمام حيث التقدم والتطور والرفاهية.

وإذا كان الروائي يعمل جاهدا على أن يتحرر من الإطار الزمنكاني ، فإن المؤرخ من أوجب واجباته هو التقيد الصارم بمسألة الزمان والمكان،لأنهما ضروريان وواجبان في الكتابة التاريخية.ولذلك عندما نبحث في التراث العربي عن العلاقة بين الرواية والتاريخ، نجد ان التاريخ كان جزءا أو فرعامن الأدب قبل أن ينفصلا عن بعضهما البعض ،ولذلك نجد كتب السير والتراجم ، كسيرة إبن هشام للطبري(11)(ابن جرير الطبري (**839 – 923م**)، عمدة المؤرخين وإمام المفسرين) التي تبدأ بكلام قال الراوي ولأجل ذلك"كان الحكي والرواية جزءا أساسيا من أسلوب المؤرخ في أداء وظيفته"(12) (قاسم عبده قاسم ، "التاريخ والرواية.. تفاضل أم تكامل؟ "،عدد557، **مجلة العربي**)، ولذلكما يستوجب على المؤرخ أن يكون لغوياً عارفاً بالأدب ، وعلى الأديب أن يكون ملما بالمنهج التاريخي وحسن توظيفه في الدراسات الأدبية.كيف لا يمكن تأريخ الإنتاج الأدبي ونقده وهو أحد ألوان الإنتاج المادي والأدبي للإنسان عبر التاريخ ،في مقابل ذلك كيف لا يتم تأديب التاريخخاصة وأن التاريخ الشعبي في جزئه الأكبر أدب(شعر ونثر) بإمتياز.

وفي الحقيقة لم تعد وظيفة المؤرخ مجرد الحكي والسرد بتطور علم التاريخ ، وإنما إنتقل المنهج التاريخي من سؤال ماذا حدث إلى تفسير لماذا حدث ، مستخدما بذلك أدوات البحث العلمي والصرامة المنهجية، فالمطلوب من المؤرخأن يكون واقعيا هدفه هو الوصول إلى الحقيقة أو الإقتراب منها(13) (قاسم عبده قاسم ، "التاريخ والرواية.. تفاضل أم تكامل؟ "،عدد557، **مجلة العربي**).

وإذا كان الأديب الروائي يتطلب حرية أكبر في استعمال مخيلته وأسلوبه الفني البديع،فالأصل أن مادة كل من الأديب والمؤرخ واحدة وهي الاشتغال على الإنسان في سياقه

الإجتماعي، خاصة وأن أسلوب العرض والتناول متشابه بينهماو ليس متماثلا، ومع ذلك فكثيرا ما استعان المؤرخ بإعمال خياله الخصب،فمثلا الرواية التي تخيلهاابن زمبل الرّمال(14)وهي بعنوان" أخرة المماليك"ماهي إلا رواية متكاملة الأركان بأحداثها وحواراتها التي تخيلها ابن زمبل الرمّال (15) (قاسم عبده قاسم ، "التاريخ والرواية.. تفاضل أم تكامل؟ "،عدد557، **مجلة العربي**).

ومن جهة أخرى نجد أن الأدباء الرواة يستنجدون بالمؤرخ و يستعملون التاريخ في رواياتهم والتي تعرف " بالروايات التاريخية"،ومن بين أهم رواة الأدب العربي الحديث ، نجد جورجي زيدان(16) (1861- 1914) ،اديب و روائى و مؤرخ مسيحي لبناني) و نجيب محفووظ، وبذلك صارت الروايات تحمل لمسة تاريخية واضحة.والعلاقة بين هذه الأطراف الثلاثة (النظرية، والتاريخ الأدب، والنقد الأدبي)، هي علاقة تقاطعات لا بدّ أن تحدث أثناء أيّ دراسة أدبيّة، ولا يمكن الفصل بينها،فالمؤرّخ الأدبي يتعامل مع النص ليُبيّن الظروف والملابسات التي أحاطت به وبصاحبه، والناقد يتعامل مع النّص ليُبيّن مواطن الجودة والرداءة وأسبابها، أو ليُبيّن لنا مدى انفعاله به أو ليُصدر لنا حكماً أو تقويماً له،أمّا المُنظّر الأدبيّ فإنّه يهتمّ بجملة من النصوص، لا لكي يُصدر حُكماً أو يصوّرُ انفعالَه إزاء هذه الأعمال، وإنّما لكي يستنبط مبادئ عامّة شاملة، تُبيِّن حقيقة الأدب وأثره كظاهرة عامّة (17) (شكري عزيز الماضي،1993 ،**في نظرية الأدب**، دار المنتخب العربي، لبنان).

وقد تطوّرت الكتابة التاريخيّة وأصبحت نثرا علميا، وتطوّر مفهوم التاريخ ولم يعد روايةً لأحداثِ الماضي وأخبارِه وحسب، بل تعليلاً ، وتفسيرا، وتحقيقا للرّوايات وللنصوص التاريخيّة، وتوثيقاً لها(18)(عثمان موافي، 2002،**في نظرية الأدب**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية).وإذا بحثنا في نقاط أوجه الإختلاف بين التاريخ والرواية، نجد أن وظيفة و أسلوب كل منهما يختلف عن الآخر،" فالمؤرج نجده مقيد بالمنهج العلمي الذي لا يخرج عليه، بينما الأديب الراوي له مطلق الحرية في أن يتفنن في إبداعاته المستمدة من خياله الخصب،والوصول إلى مايسمى عند الأدباء " بالصدق الفني"،أما المؤرخ فإنه يستعمل خياله

إلا وفقط في حالات الإستنتاج والإستنباط والمقارنة، لأن المهمة الجديدة للمؤرخ هي التفسير(التاريخ النقدي)، فهو يبحث في مادة تاريخية ماضوية جاهزة (19) (عثمان موافي، 2002،**في نظرية الأدب**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية).

وإذا كان الأديب الروائي ملزم بتطبيق " الصدق الفني" ، فإن المؤرخ ليس مطالب بذلك ، وإنما ديدنه هو الوصول إلى ما يسمى تاريخيا"بالصدق العلمي"،علما بأنه توجد ثلاثة أنماط من السياقات: سياق لغوي، وآخر معرفي، وثالث ثقافي،فالسياق اللغوي يمكن التمثيل عليه بمصطلح النقد، وهو مصطلح استعاره النقد الإنكليزي من الألمانية والفرنسية (20) (خلدون الشمعة، 2015 "عصفور حي أم نسر محشو بالقش، إشكاليات المثاقفة الثالث: النظرية، السياق، المصطلح"، عدد3، **مجلة الجديد**).

و مع أن مهمة المؤرخ يكتب للنخبة وللمتخصصين والعامة ، بينما الروائي يكتب لعامة الشعب ،فيمكنه أن يقدم لنا التاريخ في صورة حيوية جذابة، فإذا كان المؤرخ يقدم لنا جثة التاريخ ويحاول تشريحها وفهمها، فإن الروائي هو الذي يجعل هذه الجثة تتحرك وتجري الدماء في عروقهافي عمل فني يعيش بين الناس ، و يتفاعلون معه(21) (خلدون الشمعة، 2015، "عصفور حي أم نسر محشو بالقش، إشكاليات المثاقفة الثالث: النظرية، السياق، المصطلح"، عدد3، **مجلة الجديد**).إلا أن الروائي الجزائري واسيني الأعرج يرى بأن الرواية لا تقول التاريخ، لأنها ببساطة كبيرة ليس هاجسها المركزي،وأن الإفاضة في الأحداث والوقائع ليس من مهامها الرئيسية، فالرواية تستطيع أن تقول الأحداث التاريخية التي سكت عنها المؤرخ[22] (واسيني الأعرج ، ،2005" كتاب في جريدة: كتاب الأمير،مسالك أبواب الحديد"، عدد557، **مجلة العربي**).غير أن المؤرخ يدرس الوقائع، والأديب يعيشها، ويسعى كل منهما إلى إيجاد نص مؤثر وفاعل ومتشابك مع قضايا الناس واهتماماتهم[23](خليل، عماد الدين، **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**).

ومن الواضح جدا وجود علاقة بيّنة بين الأدب والتاريخ لأجل تحقيق هدفين هما :هدف تعليمي وهدف قومي حتى يتسنى لهم تزويد الطالب بمعرفة "شاملة" عن مختلف مظاهر الحياة الثقافية العربية عامة، وحتى يتسنى لهم أيضا الدفاع عن الهوية العربية بإبراز مقوماتها الحضارية في مختلف المعارف والعلوم التي أنتجتها [24] (حسين الواد،1993 ، **في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر).

ومن ناحية أخرى تتوفر علاقة مظهرية بين النقدين الأدبي والتاريخي لذلك "فالنقد التاريخي تمهيد للنقد الأدبي، تمهيد لازم، ولكنه لا يجوز أن نقف عنده، وإلا كنا كمن يجمع المواد الأولية ثم لا يقيم البناء"[25] (محمد مندور ، 1988،**في الميزان الجديد**، مؤسسة بن عبد الله، تونس).

وإذا أجرينا مقارنة بسيطة بين ماهو متخيل في الأدب وبين ماهو واقعي في التاريخ، نجدأن الرواية هي تاريخ متخيل ، ولكنها حدثت في وسط تاريخي موضوعي ومنطقي، ولذلك نربنلمس حقيقة تداخل بين ما هو تاريخ موضوعي وما هو اقرب إلى التاريخ المتخيل، بل إننا نجد العديد من التعابير الحكائية أو الحكواتية هي في الواقع تعبير عن وقائع تاريخية فعلية[26] (محمود أمين العالم،1993،"الرواية بين زمنيتها وزمنها"، عدد 11 مجلة **فصول المصرية**)، ومن الروائيين الذين مزجوا بين الرواية والتاريخ ويعد من رواد الرواية التاريخية الإسلامية مع تحفظ شديد على كلمة الإسلامية،إنه الأديب الروائي جرجي زيدان الذي كتب في التاريخ الإسلامي من صدر الإسلام إلى تاريخ الأمويين فالعباسيين وحتى في التاريخ الحديث، لقد أوجد جورجي زيدان مسافة ثابتة بين الأدب والتاريخ ، فغدت كتابته لاهي رواية أدبية و لاهي تاريخ صرف " فهي ليست روايات بالمعنى الفني ، وليست تاريخا بالمعنى العلمي "[27] (**مجلة المنتدى الأدبي، السنة 9، العدد99، 1991**) ، ومن أهم كتبه التي زاوج فيها بين الأدب والتاريخ نذكر: عذراء قريش، فتح الأندلس، الحجاج بن يوسف،الأمين والمأمون، الإنقلاب العثماني 1908..

وأما الأديب طه حسين(1889-1973) فهو الآخر كتب في القصة والأدب والتاريخ و التربية وترجمت كتبه إلى العديد من اللغات الأجنبية،ومن أهم كتبه التي أخلط فيها الرواية بالتاريخ نسجل :على هامش السيرة، حادثة الفتنة الكبرى، ، وإتبع طه حسين المنهج التاريخي المبني على الشك في مسألة التحقق من الدراسات الأدبية والفكريةالتي كان يعالجها وينتقدهابصرامة كبيرة للتدقيق في عملية السرد التاريخي للروايات والقصص الأدبية،إن النقص ألذي يشعر به القارئ في عمل المؤرخ لا يكمله عمل الروائي [28] (ضياء خضير،2004 ، **ثنائية مقارنة أبحاث ودراسات في الأدب المقارن**، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، العراق).

وإنطلاقا من هذه النقطة علينا أن نفهم بأن الشك طريق المعاني في البحث التاريخي الأكاديمي ،وعاملا رئيسيا في الوصول إلى الحقيقة العلمية الدقيقة،لأن البحث في أصله هوتدقيق وتحقيق ونقد،والشك ها هنا يكون في الأخبار والروايات التي يوردها لنا الكتاب والباحثون والتي تكون مليئة بالأخطاء التاريخية والادبية، وتكون في غالبيتها ممزوجة بالكذب، وبالتالي فهي تحتاج إلى تنقيح وتصفية وغربلة وتصويب،لذلك قدم لنا المؤرخ عبدالرحمن ابن خلدون[29] (عبدالرحمن ابن خلدون (1332 – 1406م)،مؤرخ و عالم اجتماع تونسي)ثمانية عوامل أساسيةتكشف عن أسباب الكذب في الروايات والأخباروهي :التشيعات والتحزبات للآراءوالمذاهب،تقرب الناس لأصحاب المراتب العليا بالثناء والمدح،الثقة بالناقلين،الذهول عن المقاصد،ولوع النفس بالغرائب،القياس والمحاكاة، الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع،والجهل بطبائع الأحوال في العمران[30] (عبدالرحمن ابن خلدون ، 1993،**المقدمة**،دار الكتب العلمية، بيروت ، سامية حسن الساعاتي، 2007،" الشك عند ابن خلدون"، عدد582،**مجلة العربي**).

IV– توظيف المنهج التاريخي في الأدب:

ينطلق الاتجاه التاريخي من كون الإنسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها، وهومنهج يفسر الظواهر الغامضة في الأثر الأدبي، ويعللها فيخضع ما لا يجد له تفسير في حاضره إلى ما

يراه مناسبا في ماضيه ،أي أن هذا الأثر كان نتاج مؤثرات في عصره، وبهذا يمكن للناقد القيام باستجلاء كوامنه وغوامضه، ولذلك فللأدب ثلاثة عناصر هي: الجنس (الصفات التي يرثها الأديب)،البيئة، والعصر[31] (محمد غنيمي هلال ، 1977،**الأدب المقارن**، دار نهضة مصر، القاهرة). وحضرهذا الاتجاه في الدراسة الأدبية على شكل تيار غير مكتمل التشكيل، ثم تطور كاتجاه عندما اجتهد النقاد العرب في فهم المنهج التاريخي الأوروبي، ويعد طه حسين من الأوائل الذين وظّفوه في حديث الأربعاء و تجديد ذكرى أبي العلاء[32] (بوعلام إڤلولي، 2015،" المثاقفة والمنهج في النّقد العربي الحديث "، عدد32، **مجلة الممارسات اللغوية**).

ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل المنهج عن سياقه التاريخي والأدبي، لأن تحليل النصوص ونقدها يتطلب معرفة الخلفيات الفكرية والسياسية التي أنتج فيها النص أعمالهم، فالنص إبن بيئته، وفي هذا السياق يقول الدكتور ناصر الدين سعيدوني " وحتى تكتمل صورة الماضي في مختلف مظاهرها، وتكون أقرب إلى الحقيقة الموضوعية، فقد أصبح المنهج التاريخي يعتمد لبلوغ هذا الهدف على قواعدمحددة وملاحظات دقيقة متعارف عليها"[33] (ناصر الدين سعيدوني، 1985،" نظرة عامة حول منهجية التاريخ وأهميتها بالنسبة للمراسلين المهتمين بالتاريخ"، عدد 19، **مجلة التاريخ**،المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر).

وليس هذا وحسب، بل يضيف الدكتور ناصر الدين سعيدوني ظرورة تاريخية أخرى ، و تتمثل في نقد الوثيقة التاريخيةنقدا موضوعيا، مما يهدف إلى اثبات صحةالأصل التاريخي للوثائق، أي البحث عن مدى صدق الرواية التاريخيةعن طريق التحقق في ظاهر الألفاظ لغويا وجغرافيا وتاريخيا، و تحليل الظروف والملابساتالتي ظهر فيها النص التاريخي أو الأدبي،والتعرف على موقف صاحب النص من الأحداث ،وذلك قبل الإقدام على صياغة الأحداث واعادة البناء التصوري للماضي [34] (ناصر الدين سعيدوني، 1985،" نظرة عامة حول منهجية التاريخ وأهميتها بالنسبة للمراسلين المهتمين بالتاريخ"، عدد 19، **مجلة**

التاريخ،المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر) ، وبالتالي يجب إنفتاح النص على الوجود التاريخي والإجتماعي والمعرفي.

ويستعمل المنهج التاريخيّ في دراسة الأدب لمعرفة ِ مراحل تطور الأدب ، و ذلك بالوقوف على أهم المؤثرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسية والفكرية والثقافية على الأدب، وفي الحقيقة تاريخ الأدب مرتبط بتاريخ الدولة والمجتمع، كما يهتم المنهجالتاريخي أيضا بدراسة العوامل المؤثرة في الأدب ، و لفهم الأدب وتأويله كان يجب الإستعانة بالمنهج التاريخي، وفي حالة تحليل النص الأدبي يتحتم علينا كذلك الإستعانة بالمنهج التاريخي ، لمعرفة دور البيئة التي أثرت في تربية ونفسية الأديب ، و التي باتت تعرف بالمؤثرات الداخلية والخارجية ،أو الظروف المحلية والدولية التي دفعت الكاتب لتأليف كتابه،ولذلك نقول بأن الأدب ليس إلا نتاجا لشخصية الفرد مهما كان موقعه و مكانته، فالأدب إنتاج وإبداع وفن وجمال، ينتج في سياق تاريخي وأدبي واضح ومعلوم، لذلك قدم بسام قطوس ثلاثة عوامل أساسية تؤثر في شخصية الأديب وهي : الجنس،البيئة ،العصر،أو الزمان والمكان والجنس[35] (بسام قطوس ،2006، **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية) .

وبهذا يكون للمنهج التاريخي دورا بارزا في فهم الظواهر الأدبية وتفسيرها، لأنها وسيلة أساسية لفهم النص الأدبي، لأن الأديب ابن بيئته، ولأن النص إبن اللّحظة التي ولد فيها.فيقوم المؤرخ بتوظيف المعلومات التاريخية في فهم الظاهرة الأدبية.

ومن جهة أخرى فإن الأحداث التاريخية وشخصية الأديب يمكن أن تكون عاملاً مساعداً لتفسير النص الأدبي، والتاريخ بهذا المعنى يكون خادماً للنص الأدبي، ودراسته لاتكون هدفاً قائماً بذاته ، وإنما تتعلّق بخدمة النص [36] (مرشد الزبيدي ،1999 ،**اتجاهات نقَد الشعر العربي في العراق (دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958-1990**)، اتحاد الكتاب العرب)،وفي الحقيقة فالطابع التاريخي والسياسي والاجتماعي

واجب لفهم الأدب وتفسيره وتعليله، لا لشيئ إلا لأن عوامل البيئة قد وجهته وتمكنت منه، وقادته إلى هذه الوجهة[37] (ماهر فهمي ،**المذاهب النقدية**،مكتبة نهضة مصر،القاهرة).

V– المنهج التاريخي بين الرفض والقبول في الدراسات الأدبية:

كتب الأدباء والكتاب كيرا عن مسألة إستعمال المنهج التاريخي في البحوث والدراسات الأدبية والفنية، ولم يجتمعوا على رأي واحد، فيمكن تقسيمهم إلى ثلاث تياراتهي : الرافضون والمؤيدون والماسكون العصا من الوسط، ولكننا بحكم ضيق الوقت فإننا نقتصر على التيارين الأوليين فقط.

1- المعارضون :

اختلف الأدباء واللغويون في طبيعة استعمال المنهج التاريخي في الدراسات الأدبية، فبعضهم تحفض من ذلك ، بحجة وجود إنزلاقات ومخاطر لهذا الإستعمال، لذلك وجهوا إنتقاداتهم للمنهج التاريخي ، وفي الحقيقة ماهي إلا مجرد نقائص لا يخلو منها أي منهج من المناهج العلمية والأدبية، ومنها:نقص في المادة المدروسةأو المعالجة، و اتصال غير مباشر بموضوع الدرس،المهم في النهاية فإن المنهج التاريخي يتميز بنوع وقدر من العلمية :التحليل ، النقد، عدم التسليم بالأفكار دون استقراء واستدلال علميين[38] (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،2011 ،**اليوم الدراسي حول المناهج** ،كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو).

ويرفض بعض الأدباء توظيف المنهج التاريخي في الدراسات الأدبية لوجود عدة نقائص منها: اهتمام المنهج التاريخي بعناصر تفسير النص تفسيرًا تاريخيًا اجتماعيًا ، أي الإهتمام بالمضمون على حساب الشكل الجمالي والفني،ويعد طه حسين واحدا من الذين توسعوا في استعمال المنهج التاريخي ،ويعيب عليه النقّاد أنه أصدر حكما قاسيا جدا على الشعر العباسي لماسماهبشعر المجون ،غير أنه من المعروف أن الظواهر الفنية والجمالية هي وقائع تاريخية، بحيث يتكفل علم التاريخ بتحقيبها وفهمها ووصفها وفق الصيرورة الزمنية ، بينما علم الاجتماع يتولى فهمها وشرحها وتفسيرها وتأويلها في ضوء المقترب السوسيولوجي

كما وكيفا. وهكذا اعتبرت الظواهر الأدبية بنى فوقية، تتحكم فيها البنى السفلية التي تتمثل في وسائل الإنتاج،والظروفالسوسيوإقتصاديةوالتاريخية والثقافية[39] (جميل حمداوي ، 2016،"سوسيولوجيا الأدب والنقد"،(**شبكة الألوكة** ، **www.alukah.net**).

ومن أكبر سلبيات توظيف التاريخ في الروايات التاريخية العربيةإفتقادها للإطار الزمنكاني المحسوس،و رمزية الشخوص التي كانت تبعدهم عن الخضوع لأي تحليل نفسي ،فكان الماضيالعربي يقدم على شكل مجموعة من الأزياء واللغة العالية،في حين تظل روح الماضي الحقيقية غائبة"الحاضر الماضي"، ولا تتم إلا على نحو متخيل وعاطفي،و في الحقيقة يرجع هذا الضعف البيّن إلى ضعف أساسي في علاقة الكاتب العربي بالواقععموما، وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى مطلع النصف الأول من القرن العشرين[40](ضياء خضير،2004 ، **ثنائية مقارنة أبحاث ودراسات في الأدب المقارن**، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، العراق) .

ضرورة انفتاح الرواية على التاريخ،وتفتح التاريخ على الرواية التاريخية، ولذلك ضرورة الربط بين الرواية والتاريخ، بشرط أن يكون التاريْخ حاكماً على الرواْة لا العكس. كماتضيف الرواية التاريخية ماسكت عنه التاريخ الرسمي ،بإعتبرأن الرواية تكتب في أدق التفاصيل، ولكن علينا أن نقر بأن الرواية لا تلغي التاريخ لأنها لا تستطيع ذلك، ولا هي تحاكيه و لا تجاريه، بل هي تخدم التاريخ كما يخدم التاريخ الرواية التاريخية، على الأقل في الوقت الحالي لا يمكن إستغناء طرف على الطرف الآخر، ويمكن للرواية التاريخية أن تقلل من سردية التاريخ وحدثيته.

ومن أهم اخطار و أخطاء المنهج التاريخي هو أنه يؤدي إلى الأحكام الجازمة ، وفي الحقيقة الظن والترجيح اسلم من الجزم والقطع[41] (سيد قطب،1990 ،**النقد الادبي . اصوله ومناهجه**. دار الشروق القاهرة)، لأن بعض النقاد يميلون إلى التشبث بالتاريخ المعروف، وليس التاريخ المكتشف منهم[42] (مرشد الزبيدي ،1999 ،**اتجاهات نقَد الشعر**

العربي في العراق (دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958-1990)، اتحاد الكتاب العرب).

أما الباحث بسام قطوس فقد أحصى ثلاثة عيوب أو أخطاء لإستعمال المنهج التاريخي في الدراسات الأدبية وهي على النحو التوالي:

افتقار المنهج التاريخي إلى الخصوصية وعدم القدرة على تفسير العبقرية الأدبية للأديب، معاملة المنهج التاريخي للنص الأدبي على أساس أنه وثيقة من الدرجة الثانية مهمتها فقط على دعم مصداقية الوثيقة(البيئة)، الإبداع الفني وما فيه من جماليات تتجاوز المنهج التاريخي[43](بسام قطوس،2006 ، **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر).وفي الحقيقة المشكل ليس في المنهج التاريخي ذاته، وإنما المشكل الرئيس يكمن في سوء استخدام المنهج التاريخي في بعض الدراسات النقدية الأدبية،يعودإلى الأدباء أنفسهم الذين يريدون الأعمال السهلة ، وذلك بعدم رجوعهم إلى الأصول من التوثيق التاريخي، فهم يلتقطون كل شاردة وواردة التي تصادفهم،بل ويرفض بعضهم العودة إلى أمهات المصادر الموثوق فيها،أو القريبة من الموضوعية التي يعتد ويأخذ بها بعد التمحيص والدراسة.

2– المؤيدون:

و في مقابل ذلك فقد أيد كثير من الأدباء ونقاد الأدب العربي مسألة تطبيق المنهج التاريخي في الدراسات الأدبية واللغوية ،إنطلاقا من أن الأديب ابن زمانه ومكانه (بيئته) ، وان الأدب في الحقيقة ما هو إلا نتاج لظروف سياسية واجتماعية تأثر بها وأثر فيها، ومن بين النقاط التي يركز عليها المؤيدون لجواز استعمال المنهج التاريخي في الدراسات اللغوية والأدبية (التاريخ اللغوي خاصة) ، إعتماده على ماهو مكتوب، أي أن التاريخ ينطلق من الوثيقة المكتوبة، وإضيفت إ ليها فيما بعد الرواية الشفوية ، وخاصة بالنسبة لمن يشتغلون من اللغوبن على اللغة الثابتة ،أما اللغة المنطوقة فهي حركة متغيرة بإستمرار، وكذلك إهتمام المنهج التاريخي بمسألة أو ظاهرة الصوتيات التجريبية ، والتأثر بالمذهب الحسي

الإيجابي، الإهتمام بتطور دلالة الألفاظ أين وظعت عدة معاجم تاريخية للغة العربية [44] . (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، **اليوم الدراسي**).

علما بأن المنهج التاريخي قدم خدمات جليلة للدراسات اللّغوية ، وبصفة خاصة في مجال الدراسات المعجمية ،يبقى السؤال الذي بقي بدون جواب ، هو لماذا أغلب اللغات العالمية لها معجمها التاريخي إلا اللغة العربية ، رغم السبق التاريخي لإكتشاف المعجمية، فهو علم قديم عند العرب، فهل من مجيب للقيام بهذا العمل المؤسساتي التاريخي والحضاري، فعلى الرغم من صعوبة العمل إلا أنه يبقى إنجاز لغوي وتاريخي كبير، رجائى تأسيس مخبر المعجم التاريخي للغة العربية في القريب العاجل، أو معجم اللغة العربية التاريخي، إنها أمنية الأمنيات، ومشروع المشاريع، ونصر الإنتصارات، مع أنني أعي جيّدا خطورة هذا المشروع وصعوبة تحقيقه من طرف مخبر أو مجموعة مخابر، فالأمر يتجاوزهم ، فهو مشروع وحدة فعال تشترك فيه مجموع الدول العربية، بل هو من اختصاص الجامعة العربية، أم أن الجامعة العربية هيفي غنى عن مثل هذه المشاريع الحضارية .وهل تنفض الجامعة العربية الغبار عن نفسها وتتبنى المشروع أو على الأقل تروج له إعلاميا وسياسيا، حتى يكون جزءا من مشروع حياة الأمة العربية، وهل يمكن أن تفعلها الدبلوماسية الجزائرية قريبا، وهذا ليس غريبا عليها، يمكن لها أن تثير هذا الملف بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر، لإنشاء مخابر مشتركة بين عدة متخصصين كاللغويين والمؤرخين وعلماء الإجتماع وغيرهم كثير.

نفسي أن أتنسم إحتضان الفكرة والمشروع القديم الجديد في أقرب وقت ممكن ، فاللغة العربية تختنق من غياب مثل هذا المشروع الحيوي والإستراتيجي والذي طال إنتظاره، اللغة العربية خدمت الجزائر كثيرا في كثير من المجالات ، هلا أعطينا دفعا قويا للغة العربية بمثل هكذا مشروع، إنه مشروع القرن بإمتياز.

و الظواهر الصوتية تدرس في الغالب الأعم دراسة تاريخية ، بحيث يختار الدارس عدة مراحل زمنية مختارة،وبعد ذلك يقوم بدراسة الموضوع على حدة ، دراسة وصفية ، ثم يقارن بين مختلف المراحل ليقف عند التغيرات التي حدثت ، وكذلك يكون

الأمر مع دراسة الظواهر النحوية والصرفية والمعجمية[45] (محمد حسن عبد العزيز،1983 ،**مدخل إلى علم اللغة**، دار الفكر العربي).

و وأعود فأقول هناك تداخل وتعاون بين منهج المؤرخ ومنهج اللغوي، فوظيفة المؤرخ أنه يراقب تطور الظاهرة ويرصدها..ثم يحاول أن يبين القوانيين.. التي تحكم مسار الظاهرة ، وعلى هذا الأساس فإن الباحث التاريخي يعد نفسه مسؤولا الإجابة عن تاريخ الظاهرة اللغوية[46] (محمد حسن عبد العزيز،1983 ،**مدخل إلى علم اللغة**، دار الفكر العربي)، وبذلك يوجد ترابط بين الأدب والتاريخ حتى يظن قارئ الكتاب أنه يقرأ كتاباً في التاريخ لا في الأدب لكثرة التفاصيل التاريخية.

ويوصف المنهج الوصفي بأنه منهج ثابت ، بينما يوصف المنهج التاريخي بأنه منهج متحرك، وبالتالي فالمنهج التاريخي لا يستغني عن المنهج مبدأ الوصف[47] (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، **اليوم الدراسي**).

وفي الحقيقة فالمنهج التاريخي يساعد الكشف عن تاريخ الحياة اللغوية، ولا يقتصر بحثه على تغير البنية اللغويةمن الجوانب الصوتية و النحوية والمعجمية، بل يتعداها إلى البحث في تغير مستويات الإستخدام اللغوي [48] (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، **اليوم الدراسي**).

وهل يكتب الأدب خارج دائرة التاريخ ومنهجه التاريخي،خاصة وأن التاريخ كمنهج يحاكي العلوم في مناهجها وتقنياتها البحثية، كالبحث والدراسة والملاحظة والفحص والتدقيق والتحقيق .

خاتمة و توصيات:

وعلى الرغم أن لكل من التاريخ والأدب مجاله الرحب الخاص به، إلا أنه توجد روابط تاريخي ومنهجية تجمع الاثنين، ومحاولة الأدباء التحرر والتحلل من المنهج التاريخي في

دراساتهم الأدبية،إلا أنهم وجدوا أنفسهم مكبلين بثقل التاريخ والماضي، وانطلاقا مما سبق فقد توصلنا في الخاتمة إلى بعض الاستنتاجات التالية:

- يعد المنهج التاريخي واحدا من أهم المناهج النقدية الأكثر استعمالا في البحوث والدارسات الإنسانية ، الإجتماعية والأدبية.
- لا يوجد إجماع على قضية تعميم تطبيق المنهج التاريخي في الدراسات الأدبية الحديثة،لأن النقد الأدبي ارتبَطَ بظُهور الإبداع.
- المنهج التاريخي ضابط رئيسي للأديب وأدبه وليس دخيلا أو عالة على الأديب وإنتاجه الأدبي.
- يستعمل المنهج التاريخي بصفة أكيدة ومِؤكدة في مجال التطور التاريخي لأي لغة من اللغات البشرية ولا يمكن تجاوزه أو القفز عليه.
- تأصيل الفعل التاريخي الأدبي، وذلك بالوقوف على المقاربات التاريخية الأدبية ودورها في الحفاظ على الذاكرة التاريخية والأدبية.
- الخطاب الأدبي تاريخي في شكله وفي مضمونه.
- المزيد من التعاون بين التاريخ والأدب من أجل تأديب التاريخ وتأريخ الأدب .
- لا يمكن الفصل بين التاريخ والأدب مهما حاولنا ، لأنهما عملة واحدة ذات وجهين مختلفين مادام كل واحد منهما ينشد الحقيقة النسبية ، والإقتراب من الموضوعية ، والإهتمام بقضايا الأمة الواحدة المصيرية .
- انشاء فرق بحث مشتركة بين أساتذة التاريخ والأدب لإنجاز عمل جماعي تدور مثلا حول التطور التاريخي للغات ، أو إنشاء قاموس ثنائي حول المصطلحات التاريخية والأدبية للعصر العباسي أو الأندلسي وما يقابلها اليوم .

الهوامش:

[1] لويس جوتشلك، **كيف نفهم التاريخ: مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي**، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، (بيروت : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1966) ، ص 63.

[2] نفسه، ص 66.

[3] أبراش ابراهيم، **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**،(شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص143.

[4]خالد مسور، منتديات ستار تايمز ،**المكتبة الإلكترونية**،(شبكة المعلومات الدولية للأنترنت).

[5] محمود زكي نجيب (1905-1993)،مفكر وفيلسوف مصري ، جمع بين الفلسفة والأدب،، صاحب الكتاب الشهير الكوميديا الأرضية .

[6] محمود زكي نجيب،**قشور ولباب**،(بيروت: دار الشروق ، 1988)، ص 89.

[7] خليل، عماد الدين، **مدخل إلى نظرية الأدبالإسلامي**،(بيروت : مؤ سسة الرسالة، 1987) ، ص117 ،133.

[8] بسام قطوس،**المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**،(الإسكندرية ، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2006)، ص 46.

[9] قاسم عبده قاسم ، "التاريخ والرواية.. تفاضل أم تكامل؟ "، **مجلة العربي** ، عدد557،(الكويت :أفريل 2005)، ص 54.

[10] خليل، عماد الدين، مرجع سابق ، ص181.

[11] ابن جرير الطبري (**839 – 923م**)، عمدة المؤرخين وإمام المفسرين، ومن أشهر كتبه:تاريخ الطبري، قيل فيه بأنه لم يصنف أحد مثل الطبري.

[12]قاسم عبده قاسم ،مرجع سابق، ص54.

[13]نفسه،ص 55.

[14]ابن زمبل الرّمال (؟- 1572م)، المعلومات عنه شحيحة ، وما نعرف إلا أنه مؤرخ مصري ، صاحب الكتاب الشهير الدار اليتيمة فى تاريخ مصر القديمة.

[15]نفسه، ص56.

[16]جرجي زيدان(1861- 1914) ،اديب و روائى و مؤرخ مسيحي لبناني المولد ، مصري النشأة والوفاة ،كان متمكنا من ثلاث لغاتهي: العربية ،الفرنسية والإنجليزية،و من أهم أعماله: تاريخ التمدّن الإسلامي في خمسة أجزاء،تاريخ آداب اللغة العربية في أربعة أجزاء.

[17] شكري عزيز الماضي، **في نظرية الأدب**، (لبنان : دار المنتخب العربي، 1993)،ص14.

[18] عثمان موافي، **في نظرية الأدب**، (الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية، 2002 ، ج2)، ص 193-194.

[19] نفسه، ص56.

[20] خلدون الشمعة، "عصفور حي أم نسر محشو بالقش، إشكاليات المثاقفة الثالثة: النظرية، السياق، المصطلح"، (**مجلة الجديد**، عدد 3 ،العراق : أفريل/نيسان ، 2015)، ص14.

[21]نفسه،ص57.

[22] واسيني الأعرج" كتاب في جريدة: كتاب الأمير،مسالك أبواب الحديد"، (**مجلة العربي** ، عدد557، الكويت: أفريل 2005)، ص 104.

[23] خليل، عماد الدين، مرجع سابق ،ص 180.

[24]حسين الواد، **في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج**، (بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1993، ط3) ص109.

[25]محمد مندور ، **في الميزان الجديد**، (تونس : مؤسسة بن عبد الله، 1988، ط 1) ، ص 142.

[26]محمود أمين العالم،"الرواية بين زمنيتها وزمنها"، (مجلة **فصول المصرية** ، عدد 11 ،1993)، ص 13.

[27]**مجلة المنتدى الأدبي، السنة 9، العدد99، 1991، ص14.**

[28] ضياء خضير، **ثنائية مقارنة أبحاث ودراسات في الأدب المقارن**، (العراق :المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 2004 ، ط1)، ص 78.

[29] عبدالرحمن ابن خلدون (1332 – 1406م)،مؤرخ العصر الحديث ومؤسس علم الإجتماع، تونسي المولد،مصري الوظيفة والمدفن،إشتهر بكتاب المقدمة.

[30] عبدالرحمن ابن خلدون ، **المقدمة**،(بيروت : دار الكتب العلمية، 1993، ج1)، ص 299 ، سامية حسن الساعاتي، " الشك عند ابن خلدون"، **مجلة العربي**، عدد582 (الكويت ، ماي 2007)،ص24-27.

[31] محمد غنيمي هلال ، **الأدب المقارن**، (القاهرة : دار نهضة مصر، 1977، ط 3)، ص 61،62.

[32] بوعلام إقْلولي،" المثاقفة والمنهج في النّقد العربي الحديث "، مجلة **الممارسات اللغوية**، عدد32،(2015)، ص142.

[33] ناصر الدين سعيدوني، " نظرة عامة حول منهجية التاريخ وأهميتها بالنسبة للمراسلين المهتمين بالتاريخ"، **مجلة التاريخ**، عدد 19،(الجزائر :المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1985) ، ص 33.

[34]نفسه، ص34.

[35] بسام قطوس ، **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، (الإسكندرية:دار الوفاء للطباعة والنشر، 2006،ط1)، ص44 .

[36] مرشد الزبيدي ، **اتجاهات نقَد الشعر العربي في العراق :دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958-1990**، (اتحاد الكتاب العرب ،1999)، ص27.

[37] ماهر فهمي ،**المذاهب النقدية**،(القاهرة :مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى)، ص181.

(38) مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، **اليوم الدراسي حول المناهج** ،(تيزي وزو:كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري 2011)، ص160.

(39) جميل حمداوي ، "سوسيولوجيا الأدب والنقد"،**شبكة الألوكة** ،ص 6، **www.alukah.net** ، 28-12-2016، 10سا40د.

(40)ضياء خضير، مرجع سابق ،ص 84.

(41) سيد قطب ،**النقد الادبي . أصوله ومناهجه**، (القاهرة :دار الشروق، 1990، ط6)، ص 165.

(42) مرشد الزبيدي ، مرجع سابق، ص126.

(43) بسام قطوس ،مرجع سابق، ص46.

(44) مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، مرجع سابق ، ص 158-159.

(45) محمد حسن عبد العزيز، **مدخل إلى علم اللغة**،(دار الفكر العربي ،1983) ،ص 145.

(46)نفسه، 146.

(47)مخبر الممارسات اللغوية مرجع سابق ،ص 227.

(48)نفسه،ص 232.

المصادر والمراجع:

(1) أبراش ابراهيم ،**المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، *1999*.

(2) ابن خلدون عبدالرحمن ، **المقدمة**،دار الكتب العلمية، بيروت 1993، ج1.

(3) إقلولي بوعلام ،" المثاقفة والمنهج في النّقد العربي الحديث "، عدد32، مجلة **الممارسات اللغوية** 2015.

(4) جوتشلك لويس ، **كيف نفهم التاريخ: مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي**، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت 1966 .

(5) حسن عبد العزيز محمد ، **مدخل إلى علم اللغة**، دار الفكر العربي 1983.

(6) حمداوي جميل ،"سوسيولوجيا الأدب والنقد"،**شبكة الألوكة** **www.alukah.net** ، 28-12-2016، 10سا40د.

(7) خضير ضياء ، **ثنائية مقارنة أبحاث ودراسات في الأدب المقارن**،(العراق: المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 2004 ، ط1) .

(8) الزبيدي مرشد ، **اتجاهات نقَد الشعر العربي في العراق :دراسة الجهود النقدية المنشورة في الصحافة العراقية بين 1958-1990**، (اتحاد الكتاب العرب، 1999).

(9) زكي نجيب محمود ،**قشور ولباب**،(بيروت: دار الشروق، 1988).

(10) العالم محمود أمين ،"الرواية بين زمنيتها وزمنها"، مجلة **فصول المصرية** ،عدد 11،(1993).

(11) عماد الدين خليل ، **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**،(بيروت : مؤ سسة الرسالة، 1987).

(12) غنيمي هلال محمد ، **الأدب المقارن**، (القاهرة : دار نهضة مصر، 1977. ط 3).

(13) فهمي ماهر،**المذاهب النقدية**، (القاهرة : مكتبة نهضة مصر).

(14) قطب سيد ،**النقد الادبي . أصوله ومناهجه**، (القاهرة : دار الشروق، 1990، ط6).

(15) قطوس بسام ،**المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية،2006م، ط1.

(16) الماضي شكري عزيز ، **في نظرية الأدب**، دار المنتخب العربي، لبنان 1993 م.

(17) مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، اليوم الدراسي حول المناهج ،كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو 2011.

(18) مسورخالد ، "منتديات ستار تايمز "،**المكتبة الإلكترونية** ،(شبكة المعلومات الدولية للأنترنت) .

(19) مندور محمد ، **في الميزان الجديد**،(تونس : مؤسسة بن عبد الله، 1988، ط 1) .

(20) موافي عثمان ، **في نظرية الأدب**، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، 2002 ، ج2).

(21) الواد حسين ، **في تاريخ الأدب مفاهيم ومناهج**،(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1993، ط3).

الدوريات:

(22) الأعرج واسيني " كتاب في جريدة: كتاب الأمير،مسالك أبواب الحديد"، عدد557، **مجلة العربي** ، (الكويت : أفريل 2005).

(23) حسن الساعاتي سامية ، " الشك عند ابن خلدون"، **مجلة العربي**، عدد582، (الكويت: ماي 2007).

(24) سعيدوني ناصر الدين ، " نظرة عامة حول منهجية التاريخ وأهميتها بالنسبة للمراسلين المهتمين بالتاريخ"، **مجلة التاريخ**، عدد 19(الجزائر :المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1985) .

(25) الشمعة خلدون ، "عصفور حي أم نسر محشو بالقش، إشكاليات المثاقفة الثالثة: النظرية، السياق، المصطلح"، **مجلة الجديد**، عدد3، (العراق : أفريل/نيسان ، 2015).

(26) قاسم عبده قاسم ، "التاريخ والرواية.. تفاضل أم تكامل؟ "، **مجلة العربي**، عدد557، (الكويت : أفريل 2005).

(27) **مجلة المنتدى الأدبي، العدد99، (السنة 1991،9).**

L'interprétation contextuelle de la terminologie dans le discours didactique des sciences médicales en première année.

Benachenhou Assya*

تاريخ تقديم البحث **2017/11/14** تاريخ القبول **2018/03/15**

ملخص

المصطلح هو في الأصل كلمة تعبر في خطاب ما يرجع إلى سياق خاص. المصطلح لم يكن له معنا إلا داخل السياق مخصصا لحالة معينة في خطاب ما.

الكلمات الدالة: الخطاب، المعنى/ الدلالة، حالة السياق، السياق.

Abstract

La terminologie est un des constituants du discours scientifique médical. Elle a un rôle prépondérant dans la signification des énoncés. Deux paramètres situationnels essentiels concourent à son interprétation dans le discours : le cotexte et le contexte. Le premier est linguistique, le second est référentiel à la situation discursive.

Keyboard: Discours, signification, situation cotexte, contexte

* Département de Français Faculté des lettres et des langues . جامعة البليدة 2، الجزائر

Article :

La terminologie dans le discours scientifique médical joue un rôle essentiel dans l'acquisition des connaissances. J'ai entrepris des recherches dans ce domaine, notamment dans le discours didactique scientifique médical de première année pour les raisons suivantes :

- C'est une année charnière dans laquelle les étudiants sont appelés à maîtriser des connaissances langagières en français pour s'approprier des enseignements des contenus des supports écrits en français. Précédemment, ils ont reçu une formation scientifique dans le système éducatif essentiellement en arabe.
- Cette situation de passage d'une langue à une autre rend la construction des savoirs dans le domaine des connaissances scientifiques problématique du fait que les notions acquises ne peuvent être traduites automatiquement de l'arabe au français. Le domaine des sciences médicales relève d'une spécialité dont l'impact est stratégique. Ne pas comprendre un texte littéraire c'est moins dangereux que de ne pas comprendre le fonctionnement normal du corps humain pour identifier les pathologies qui peuvent l'affecter. C'est pour cette raison, la maîtrise des terminologies est importante dans le domaine des sciences médicales.

Démarche utilisée :

- **1. Présentation théorique de ce genre de discours**.

- **Ses particularités**.

C'est un genre discursif expérimental qui ne peut s'approprier sans la représentation effective de l'observation de l'expérimentation et du raisonnement à partir des conclusions qui peuvent en découler. Dans le cas de la première année, il s'agit d'écrits didactiques dont le rôle et de rendre accessibles aux étudiants les

connaissances se rapportant aux objets et situations observés. C'est un discours notionnel, les énoncés qui constituent ce discours didactique reposent sur des notions bien déterminées se rapportant à des situations observées ou expérimentées, c'est-à-dire toutes les constructions des structures syntaxiques et lexicales qui permettent de conceptualiser un domaine extralinguistique référent au domaine biomédical. J'ai pris en considération deux paramètres pour observer la terminologie:

- **Le cadre cotextuel**

Reboul S, (1994) et Orrechionni (1980) sont les premiers à avoir utilisé la terminologie de cotexte. Le cotexte renvoie à la situation énonciative des contenus d'enseignement, à partir d'unités énonciatives et une distribution des unités lexicales dictés par le domaine. Il forme l'ensemble des désignations lexicales et syntaxiques jouant un rôle sémantique propre à l'interprétation du sens d'un thème scientifique particulier.

- **Le cadre contextuel**

Le niveau sémantique cotextuel n'est perceptible qu'à travers un contexte, lieu de la discrimination sémantique en situation. Le contexte permet de sélectionner le sens apporter par le cotexte par opposition à tous les autres qui peuvent appartenir à un mot. Pour J. Dubois, (1971), il s'agit de la « situation » et de la « redistribution » et, pour E. Benveniste (1966), de « l'emploi » et de « la distribution ».

Kokourek, R. (1991 :40) considère les langues qui véhiculent des connaissances scientifiques comme **des « sous-langues » partiellement conforme au système linguistique général,** dans la mesure où les règles syntaxiques sont reconnus comme identiques, mais que les ressources lexicales sont présentées comme spécifiques.

- Lerat, P (1995 :19) en revanche, remet en cause les notions de « sous-langues » et critique la dénomination « langue de spécialité » qui souffre d'induire une fragmentation et une marginalité de ce genre de langue. Il insiste sur « l'unicité de l'idiome et la particularité **des univers de connaissances**. Quemada. B, (1978 : 1153) récuse totalement cette distinction de langue de spécialité, il dit « il convient plutôt de parler de « vocabulaire », s'agissant d'emplois particuliers du français et de ses variétés, qui font appel, pour la prononciation, la morphologie et la syntaxe, au fond de la langue commune »

- L'identification des particularités constitutives de la notion de vocabulaire d'un discours scientifique est définie par Guilbert. L (1973 :9) par « les termes techniques et scientifiques n'ont pas leur manière spécifique de signifier, s'il n'existe pas, en effet, une opposition entre le signe en tant que mot et le signe en tant que nom » c'est-à-dire que l'on connaît les « signifiés » des terminologies qu'à travers la connaissance des sciences concernées et non dans la mesure où l'on connaît seulement la langue Dans cette définition, l'antériorité de la pensée sur la langue est confirmée. Les situations d'observations des expérimentations des phénomènes biomédicaux sont nécessaires, ils forment la pensée scientifique médicale. D'après J. Dubois et Alli (1994) « le terme n'est que la traduction linguistique univoque d'une notion qui lui préexiste ».
- Corbin, D. (1987 :390) affirme que « la prétendue spécificité des lexiques scientifiques se situe davantage dans la spécificité de la chose désignée que dans celle du mot qui la désigne. » Et de ce fait, il récuse tout particularisme proprement linguistique. L'originalité du vocabulaire sémantique du vocabulaire spécialisé se traduit par les mots termes et terminologie pour désigner les éléments constitutifs du vocabulaire scientifique et technique. Cusin –Berche. F (2003 :108) appelle cette dénomination de la terminologie « unité lexicale spécialisée » Elle précise

que cette « unité lexicale est généralement dévolue à partir de critères énonciatifs déterminés par des contraintes notionnelles ».

Par conséquent, le terme contexte représente tous les éléments cognitifs, situationnels ou intertextuels, susceptibles d'intervenir dans le processus de construction ou d'identification du sens contextuel référentiel. L'interprétation des énoncés n'est pas modifiée par le sens linguistique des unités constitutives de l'énoncé mais par les données contextuelles d'ordre situationnel qui a une incidence discursive sur une construction d'un énoncé. C'est le référent qui varie avec la situation. Le contexte référentiel de la situation d'emplois va permettre l'interprétation de l'emploi de « pôle » ou de toutes les autres métaphores que j'ai pu recenser dans les réponses des étudiants. L'emploi cotextuel créé le sens mais ce sens n'est identifiable qu'à partir d'un référent contextuel.

- **L'appréhension de la situation référentielle de la terminologie permet** :

- D'éviter l'ambiguïté dans les discours spécialisés. C'est dans cette optique que je situe mon raisonnement non pas en terme de langue. La langue est un code qui permet de produire la polysémie. La terminologie est la résultante d'une organisation notionnelle d'unités lexicales, lesquelles sont généralement forgées grâce à l'application des règles morphologiques en vigueur dans le domaine des sciences médicales. Mais il ne faut pas oublier que la terminologie existe dans tous les discours. On a tendance à rencontrer souvent des néologismes dans les langages courants par exemple « naviguer ». Cette terminologie est souvent utilisée par les jeunes dans le dialecte courant algérien.

- **Approche méthodologique**

- **1. Analyse d'un corpus**

Pour observer les performances des étudiants dans la maîtrise des terminologies, j'ai analysé des contenus écrits des sciences médicales à partir d'un corpus constitué de questionnaires avec des questions ouvertes et fermées, des tests linguistico-discursifs portant sur l'identification et la reformulation d'énoncés scientifiques biomédicaux enseignés en première année et des énoncés rédigés par les étudiants dans leur domaine de connaissances.

- L'objectif de l'analyse de ce corpus est le fonctionnement discursif à travers l'interprétation terminologique à l'écrit.

- **2. Analyse du test**:

Les activités du test ont permis de mesurer les performances des étudiants dans le remplacement de la terminologie utilisée dans les énoncés par son sens équivalent ou une explication équivalente librement choisie par les étudiants.

- **Les résultats ont permis d'aboutir aux constats suivants :**

L'utilisation du cotexte à lui seul ne suffit pas sans le contexte. La reformulation terminologique exige normalement que les étudiants aient des connaissances préalables du domaine aisément transférables en langue française or, ce n'est pas le cas. D'autres part, la compréhension approximative et aléatoire des structures syntactico-lexicales dans les compostions terminologiques constituent un obstacle important pour accéder à la compréhension du référent scientifique présent à travers les contenus.

- **Le dépouillement**:

Le dépouillement du corpus a permis d'effectuer les analyses qualitatives des emplois terminologiques effectués par les étudiants. Les structures syntactico-lexicales ont une incidence dans les constructions des connaissances identifiés au niveau discursif et linguistique au niveau des extensions, les constructions dérivationnelles et les compositions

1. Les extensions

L'analyse qualitative a permis de montrer existence d'une confusion dans la compréhension de l'unité lexicale concernée. L'interprétation sémantique impose un transfert référentiel étroitement associé au maintien au moins partiel, du sens référentiel antérieur. Ceci suppose des connaissances référentielles antérieures. Les reformulations analysées ont démontré des difficultés d'interprétation des énoncés que j'ai ciblés dans les questions du test.

- La lexicalisation du terme « pôle » dans un des énoncés a démontré une difficulté à identifier les différentes acceptions telles que « pôle membranaire, hydrophile ou hydrophobe » chacun des emplois active un contexte particulier de validité, en l'occurrence un domaine scientifique anatomique se rapportant à des situations où il s'agit de la description de la couche membranaire.
- Certains étudiants ont transposé à l'arabe des termes non équivalents. Ils recourent également au dictionnaire mais cette possibilité reste limitée du fait de la polysémie du terme qui exige une sélection du sens en fonction du contexte. Cette stratégie utilisée par les étudiants fait émerger des cotextes spécifiques témoignant de la constitution d'une nouvelle acception significative sans lien avec le contexte. C'est le même cas, pour « **une mosaïque fluide** » pour présenter l'architecture interpréter par la morphologie de la membrane cellulaire, le terme « mosaïque » et « fluide »

ne sont pas une interprétation du terme parce que les acceptions de la relation « mosaïque » et « fluide » n'ont pas été perçues par les étudiants, ils ont reformulés par des termes : une construction, « un objet », « un élément » ; « fluide : libre , liquide ». Le terme n'est pas représenté référentiellement par rapport à la morphologie de la cellule Les réponses ne faisait référence ni à la morphologie de la membrane cellulaire ni à la constitution ni au fonctionnement de la cellule.

2. Les constructions dérivationnelles

C'est le même cas pour les dérivations, elles ne sont souvent pas identifiées. Les réponses données au test à la consigne portant sur la définition de la cellule montrent que les étudiants sont focalisés uniquement sur les termes sans les insérer dans des énoncés sémantiquement interprétables dans une relation cotexte-contexte

3. Les compositions : suffixations et préfixations.

Dans « transmembranaire », l'interprétation du préfixe « trans » (trans exprime une action qui transcende ou traverse un objet ou un phénomène, traversant dans ce cas un constituant biologique la membrane cellulaire)

- Dans « la polarisation de la membrane cellulaire » le sens contextuel de polarisation n'a pu être identifié. Dans ce cas, il s'agit de l'interprétation du suffixe « ation » dans polarisation (qui est l'action de la dynamique organisationnelle de la membrane cellulaire). C'est également pareil pour le suffixe intercellulaire, il caractérise un état de relation entre l'ensemble des cellules.
- Les constructions contextuelles dérivationnelles ne sont pas interprétées, par conséquent une représentation référentielle du contexte de la situation en question n'est pas possible. Que ce soit au niveau des extensions ou au niveau dérivationnel, les difficultés à interpréter les

énoncés cotextuellement a une incidence au niveau contextuel. Ces deux paramètres régissent l'interprétation des contenus écrits des sciences médicales.

- Ceci permet de conclure que l'interprétation des lexèmes dépend de la suggestion cotextuelle, parce que dominée ou conditionné par la contextualisation mentale. Le sémantisme d'un vocable n'est en effet accessible qu'en contexte, ce n'est qu'au regard de l'insertion du mot dans une phrase que l'on peut envisager par exemple qu'un lexème tel que « pôles » est traduit en anatomie comme deux parties extrêmes de la cellule qui comporte deux extrémités. Dans le test, il a été interprété par les étudiants « sommet »
- Les acceptions de « pôle » et celle de **pôle membranaire, hydrophile (attire l'eau) hydrophobe(répulsif de l'eau)**. Ces acceptions sont antonymiques. Elles caractérisent les « couches internes et externes » membranaires et permettent la dynamique membranaire de cette cellule. Pour les étudiants issus du système éducatif ayant étudié les sciences en arabe, la terminologie revêt une détermination néologique difficilement interprétable en français. Son interprétation exige l'interaction langue/discours et observation de l'expérience qui forme le contexte. Les actualisations discursives au lieu d'être un enrichissement formatives ne le sont pas. Les causes sont l'opacité des données textuelles terminologique en français parce que abstraites et décontextualisées.
- C'est également le cas dans le système éducatif où les contenus scientifiques sont présentés généralement sous formes de définitions très succinctes sans une connaissance expérimentale observable préalablement permettant une construction de la pensée scientifique des phénomènes en question. Benveniste. E (1966 :290) indique que « le « sens » d'une forme

linguistique se définit par la totalité de ses emplois par leur distribution et par les types de liaison qui en résultent et par l'exploration contextuelle ».

- En première année de médecine 75% des cas de réponses c'est seulement la langue qui est incriminée par les étudiants dans l'accès aux connaissances scientifiques. D'un autre côté y compris ceux qui prétendent avoir des difficultés en langue, 85% d'entre eux trouvent que les mots scientifiques sont difficiles et un frein à la maîtrise des connaissances dans le domaine médical. Ces réponses révèlent qu'effectivement que c'est un problème notionnel conceptuel que les étudiants n'arrivent pas à situer ni linguistiquement ni discursivement.

- **L'analyse au niveau sémasiologique et onomasiologique.**

- Ces répercussions relatives à l'interprétation des contenus scientifiques sont vérifiées et prouvées également dans le corpus recueilli à travers les réponses à une activité du test, où les étudiants devaient définir et schématiser une cellule.
- La majorité des énoncés formulés portant sur les constituants de la cellule, ne sont que des énumérations terminologiques différentes d'une réponse à une autre réponse. Les étudiants rencontrent des difficultés dans la référentialisation de la terminologie. Les réponses se limitent a: 1. Une simple énumération terminologique des éléments constitutifs différente dans leur majorité d'une définition à une autre.
- Sur plus de 600 étudiants, plus de la moitié n'ont pas répondu à cette question et 40% n'ont reporté que des énumérations de termes constituants la cellule. L'organisation énumérative de ces termes et souvent soit incomplète soit arbitraire. Par exemple, souvent le noyau ou le noyau nucléique sont cités en premier alors que normalement c'est l'enveloppe membranaire qui se situe en premier. Ceux qui ont commencé par

l'enveloppe membranaire n'ont pas énuméré les autres termes se rapportant aux constituants morphologiques de la cellule.

- Concernant la schématisation de la cellule, elle dénote dans son ensemble une absence de légende du type biologique de la cellule mais également des annotations parfois réduites à quelques constituants de la cellule et dans d'autres cas une légendes et des annotations complètement absentes. Les schémas ne sont pas représentatifs de la cellule.
- A la question : utilisez-vous des documents sur papiers ou virtuels pour vous documenter dans votre domaine ? 60% ne les utilisent pas à cause des problèmes de compréhension de la terminologie en français.
- La démarche de construction des savoirs nécessite un traitement pour interpréter les contenus scientifiques des sciences médicales. Ce traitement implique non seulement une démarche onomasiologique qui va du concept au signe lorsqu'il s'agit des contraintes notionnelles cotextuelles et un traitement sémasiologique du signe au concept lorsqu'il s'agit des néologismes, telles que les dérivations, les extensions et les abréviations. Les transferts de la langue arabe au français et du français à l'arabe doivent être rigoureusement et scientifiquement interprétés sinon ils seraient à l'origine des non sens qui au lieu d'aider à comprendre auront un effet contraire. La nécessité de la constitution d'équipes interdisciplinaires : biologie, sciences médicales et didactique des langues française et arabe afin de concevoir des formations qui permettraient non seulement la maîtrise des langues d'enseignement mais également la conception et l'exploitation des vidéos et des cours en ligne.

Bibliographie :

-Benveniste E ,1966. *Problèmes de linguistiques générale*, tome1, Gallimard, Paris.

-Corbin D, 1987. *Morphologie dérivationnelle et structuration du lexique*, Presses universitaires de Lille.

-Cusin-Berche F, 2003. *Les mots et leurs contextes,* Presses Sorbonne Nouvelle.

-Guilbert L, 1973. *La spécificité du terme scientifique et technique*, Langue française n°17.

-Kocourek R, 1991. *La langue française de la technique et de la science*, Brandestter, Wiesbaden.

-Lerat P, 1995. *Les langues de spécialité*, PUF, Paris.

-Reboul S, 1994. *Le vocabulaire de la télématique. Du discours au lexique*. Thèse de doctorat, Université Paris X-Nanterre.

-Quemada B, 1978, *« Technique et langage »,* dans B, Gilles, éd : Histoire des techniques, La Pléiade, Gallimard, Paris.

الترجمة الإشهارية
السمات التواصلية و اللغوية و غير اللغوية
Traducción publicitaria
Rasgos comunicativos, lingüísticos y extralingüísticos

لامية جميات*

تاريخ تقديم البحث **2018/02/22** تاريخ القبول **2018/04/22**

ملخص

يعدّ نقل النص من اللغة الأصلية إلى لغة الجمهور المُستهدَف، في الترجمة الإشهارية، مَهَمّةً في غاية الصعوبة نظرًا للتعقيد الذي يتميز به النصّ الإشهاري في حدّ ذاته؛ حيث يعتبر مزيجا من عناصر تلفظية و غير تلفظية و سمعية-بصرية. ويشكّل هذا النص موضعا لتجسد التواصل الإشهاري و انعكاس خاصياته. يهدفَ هذا المقال لدراسة انعكاس خصائصَ التواصل الإشهاري على ترجمة النصوص الإشهارية؛ على الصعيدين اللغوي و غير اللغوي، مركّزين على تقنية «التَصَرّف[1]»، باعتبارها المحور الأساسي للترجمة بالنسبة لكلا الصعيدَيْن.

الكلمات الدالة: الترجمة الإشهارية، النص الإشهاري، تقنية التصرف، الجانب اللغوي، الجانب غير اللغوي.

Abstract

En traducción publicitaria, llevar el texto de la lengua original a la lengua del público objetivo es una tarea de lo más difícil debido a la complejidad del texto publicitario en sí ; que constituye una mixtura de elementos verbales, no verbales y audiovisuales. Dicho texto ; en el cual se materializa la comunicación publicitaria y se reflejan sus especificidades. El objetivo de este artículo es estudiar el reflejo de las particularidades de la comunicación publicitaria en la traducción de textos publicitarios ; en el aspecto lingüístico y extralingüístico, haciendo hincapié en la técnica de «adaptación» considerada como el eje principal de traducción para dichos aspectos.

Keyboard: Traducción publicitaria, texto publicitario, técnica de adaptación, aspecto lingüístico, aspecto extralingüístico.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر 2، الجزائر .

Introducción

En traducción publicitaria, llevar el texto de la lengua original a la lengua del público objetivo es una tarea complicada debido a la complejidad del texto publicitario en sí ; que constituye una mixtura de elementos verbales, no verbales y audiovisuales. Dicho texto ; en el cual se materializa la comunicación publicitaria y se reflejan sus rasgos. Por ello, es necesario abordar, en primerísimo lugar, el fenómeno de «publicidad» como proceso comunicativo, para luego, poder examinar, la traducción publicitaria. Ésta resulta ser una actividad multifactorial ya que múltiples factores socioculturales al igual que diversos elementos verbales, no verbales y audiovisuales intervienen en su desarrollo, a nivel lingüístico y extralingüístico.

El presente artículo es una reflexión teórica sobre el tema de la traducción publicitaria. Su objetivo es estudiar el reflejo de las particularidades de la comunicación publicitaria en la traducción de textos publicitarios ; en el aspecto lingüístico y extralingüístico, haciendo hincapié en la técnica de «adaptación» adoptada por los traductores, o mejor dicho, los adaptadores, en este tipo de traducción.

I- Comunicación publicitaria : Componentes y particularidades

I-1- Definición de la publicidad

La publicidad es un campo de especialidad científico-artístico de naturaleza interdisciplinar ya que está relacionada con diversos dominios tal como el económico, el científico, el artístico así como el profesional. En efecto, a la hora de trabajar sobre la publicidad de cualquier producto, el publicista debe tener los conocimientos imprescindibles en materia de venta y compra de productos, redacción artística publicitaria y estrtegias profesionales que le permiten triunfar en

su campo profesional. Por tanto, la publicidad puede ser considerada como un arte, una ciencia y una profesión al mismo tiempo[2].

La publicidad, se define, también, por ser un tipo de comunicación de masas con tendencias comerciales cuyo objetivo es la persuasión del receptor para que compre un producto determinado[3]. Desde una perspectiva sociolingüística, la publicidad, que resulta irrealizable sin idioma, tampoco sin sociedad, es un sistema sociotécnico que se suscribe en el marco de la comunicación de masas, cuyo objetivo es influir sobre el comportamiento humano[4].

I-2- Componentes de la comunicación publicitaria

Los componentes fundamentales de la comunicación publicitaria son : el emisor, el destinatario y el texto publicitario.

I-2-1- El emisor

El anuncio es el resultado de un trabajo colectivo en el cual intervienen muchos creadores, cada uno en su campo de especialidad, por lo que el emisor, en comunicación publicitaria, es complejo y se materializa en el departamento o agencia de publicidad. No obstante, cabe señalar que el *autor del anuncio* ; es decir *el textista*[5] o *el anunciante* es el personaje motor del anuncio ya que se considera como el primer creador del mismo[6], mientras que los demás creadores ; emisores aparentes pueden hallarse bajo la denominación de *publicista*[7].

I-2-2- El destinatario (el receptor)

El destinatario de un texto publicitario es ***el consumidor***; es decir ***el público objetivo*** caracterizado por ser extenso y anónimo ya que se trata de comunicación de masas[8] como ya lo señalamos. El emisor trata, por todos los medios e instrumentos, influir en el público objetivo con el fin de lograr su persuasión a adquirir el producto objeto del anuncio.

I-2-3- El texto publicitario (el anuncio)

Texto publicitario y anuncio son sinónimos ya que, en comunicación publicitaria, "*el eje central de la comunicación es el texto publicitario, denominado generalmente anuncio, aunque recibe diversos nombres dependiendo del medio de transmisión : cuña, spot, cartel, valla,...*"[9]. Siendo un componente clave en la comunicación publicitaria, el anuncio es el lazo ; el puente que relaciona entre emisor y destinatario. "*En publicidad, emisor y destinatario están unidos por el producto unitario de la actividad que ella misma desarrolla : el anuncio.*"[10]. En otras palabras, el anuncio es el mensaje transmitido por parte del emisor al receptor.

El texto publicitario es de índole especial ya que constituye una mixtura de diversos elementos muy distintos; palabras, frases, imágene, dibujos, música, canciones y efectos sonoros en general, etc...[11]. Sus componentes esenciales son : el eslogan, la marca, el logotipo, el cuerpo de texto, el pie del anuncio, la imagen y los efectos sonoros. Dada la importancia de estos componentes para la traducción publicitaria, en sus aspectos lingüístico y extralingüístico[12], daremos, a continuación, breve definición de cada componente :

a) **El eslogan :** Es una frase sencilla, breve, bonita y con rima llamativa. Éste debe ser atractivo y muy fácil de recordar para que el receptor lo memorice y lo repita fácilmente, constantemente e inconscientemente.[13]
b) **La marca :** Consiste en el nombre de la empresa, sociedad o compañía que proponen sus productos o servicios al público objetivo con el fin de que éste los conozca y adquiera.[14]
c) **El logotipo :** Es la forma característica ; signo o elemento gráfico que sirve para señalar los productos de la industria o del comercio. El logotipo permite al consumidor distinguir la marca e identificarla fácilmente y rápidamente.[15]

d) **El cuerpo de texto :** Es un texto ; una ampliación textual directamente subordinada al eslogan, cuyo objetivo es la presentación y descripción del producto, exponiendo los argumentos necesarios para lograr su adquisición por el consumidor.[16]

e) **El pie del anuncio :** Es la parte suplementaria que queda en el final (parte inferior) del texto publicitario[17]. La cual sirve para dar información adicional (precios, lugares de venta, indicar por ejemplo si la cantidad de producto está limitada o si la oferta es válida durante un período determinado...).

f) **La imagen :** Es la presentación visual y directa del producto o servicio objetos de publicidad. La imagen puede ser reflejada por medio de la pintura, el dibujo, la fotografía, etc.... Su finalidad consiste en impactar al receptor y seducirle afin de que adquiera el producto objeto de promoción.[18]

g) **Los efectos sonoros :** son las canciones, las melodías musicales, los sonidos producidos por diferentes instrumentos u objetos, etc...[19], que se añaden a los textos publicitarios audiovisuales para que éstos tengan más influencia en el público objetivo. Las canciones y la música deben ser adecuados con el gusto y cultura de cada público.

II- Traducción publicitaria : Particularidades lingüísticas y extralingüísticas

II-1- Definición de la traducción publicitaria

La traducción publicitaria, que forma parte de la traducción especializada, se ocupa de textos publicitarios de toda índole, sean escritos, auditivos, visuales o audiovisuales (carteles, vallas, spot, periódicos, revistas, televisión, radio, etc…). "*Traducir anuncios no sólo se ha convertido en un fenómeno necesario como parte fundamental del desarrollo económico internacional hoy en día, sino que la actividad publicitaria comienza a afianzarse como objeto de estudio y de investigación dentro de lo que se ha denominado Los Estudios de Traducción*"[20]. En otras palabras, el desarrollo económico así como la extensión de relaciones comerciales a nivel mundial han convertido la traducción de textos publicitarios en una necesidad de mayor importancia para dicho desarrollo, de igual modo que la traductología ha empezado a interesarse a la publicidad como nuevo campo de estudio.

En este contexo, cabe mencionar que el interés acordado a la traducción publicitaria por parte de la traductología se realizó tardíamente ya que "*los primeros intentos de estudio de la traducción publicitaria se remontan a hace apenas unas décadas, a los años setenta, cuando los avances en lingüística y en traducción automática confieren a la traducción el estatus de «ciencia»*"[21]. No hay lugar a dudas, entonces, que el desarrollo alcanzado en el campo de economía, lingüística y cibernética ha conducido a que la traducción publicitaria ocupa un lugar estratégico en la era contemporánea.

Considerada como importantísima para la economía de mercado, la traducción publicitaria es el canal lingüístico y extralingüístico que garantiza el paso

y llegada de productos nacionales e internacionales al público objetivo sea a nivel interno o extranjero.

II-2- Particularidades de la traducción publicitaria

En efecto, "*son muchos los factores que entran en juego en la traducción de la publicidad, y también muchos los contenidos : no sólo desde el punto de vista verbal o lingüístico, sino desde el punto de vista cultural o de civilización*"[22]. Esto es, los factores que intervienen en materia de traducción publicitaria pueden ser clasificados en dos categorías ; lingüística y extralingüística (cultural-civilizacional).

Sería conveniente, entonces, abordar la traducción publicitaria desde estos dos enfoques, por lo que hablaremos, a continuación, de las particularidades de la traducción publicitaria en su aspecto lingüístico y extralingüístico.

II-2-1- Aspecto lingüístico

La brevedad, sencillez, concisión, precisión, economía expresiva[23], la simplicidad del estilo lingüístico expresivo, el empleo, a veces, de dialectos así como el uso de algunas astucias lingüísticas tal como la rima y la repetición de palabras[24] son las características fundamentales del lenguaje publicitario. En traducción publicitaria, es imprescindible tomar en consideración estas características, por lo que el traductor ha de reproducir un texto publicitario de llegada que reúne a todos los elementos característicos ya mencionados.

En otras palabras, el anuncio traducido a la lengua meta debe ser breve, sencillo, conciso, preciso, simple, económicamente expesivo y con rima atractiva. El traductor debe desempeñar el papel no sólo de traductor sino además de redactor ; *textista* y publicista en general, con el fin de que el anuncio traducido guste al receptor e influye en él.

«La adaptación» es la técnica adecuada e indispensable para la traducción de textos publicitarios[25]. Ésta consiste en redactar un nuevo anuncio que corresponde al original, cumpliendo con los requisitos característicos anteriormente expuestos, por lo que el traductor ; llamado, en el caso éste adaptador, ha de evitar la traducción literal de frases y estilo del anuncio original, realizando una versión adaptada que sea eficaz y correctamente adecuada a las particularidades lingüísticas de la lengua meta[26].

Así pues, el procedimiento de adaptación basado en la traducción del espíritu del anuncio en lugar de sus letras, incluye dos etapas cruciales durante la realización del proceso traductor; la primera consiste en apreciar el valor del texto de partida, seleccionando la información pertinente, mientras que la segunda radica en verificar la exactitud de traducción propuesta, respetando el principio de fidelidad al texto original.[27]

En suma, los componentes del anuncio deben ser adaptados a la lengua del receptor extranjero de forma correcta y adecuada. Elementos como el eslogan y el cuerpo de texto han de ser traducidos, o mejor dicho adaptados, de forma tal que tengan sobre el receptor, el impacto deseado por el publicista. El eslogan y el cuerpo de texto traducidos deben ser llamativos, bonitos, interesantes y con rimas atractivas. El texto publicitario adaptado a la lengua meta ha de gustar al público objetivo e influir en él con la finalidad de lograr los objetivos comerciales planificados por la empresa o compañía que promocionan sus productos o servicios.

II-2-2- Aspecto extralingüístico

Con «aspecto extralingüístico» nos referimos a «la cultura» en su gran dimensión, la cual puede ser definida como "*un conjunto complejo de objetos tangibles así como de creencias y formas de vida intangibles que definen a un*

grupo y que representan un marco de referencia colectivo. Es algo que las personas heredan de la generación anterior"[28]. En otras palabras, el concepto de cultura incluye una serie de múltiples elementos tal como la religión o las creencias, los modos de vida de los individuos en sus propias sociedades, las tradiciones y costumbres que rigen los comportamientos de estos individuos así como sus concepciones acerca del mundo y de la vida en general.

La cultura es el conjunto de normas sociales, religiosas, morales y tradicionales existentes en una sociedad determinada, las cuales han sido heredadas de generaciones anteriores y transmitidas a las personas que operan dentro del mismo marco social.

La noción de «cultura» es de mayor importancia para la publicidad, en general y la traducción publicitaria, en particular, por lo que el aspecto extralingüístico se convierte en un factor clave, no sólo a la hora de redactar el texto publicitario, sino también a la hora de llevar este mismo texto de la lengua de partida a la lengua meta del receptor.

En efecto, "*la traducción publicitaria debe tener en cuenta las características de la sociedad a la que remite y del público al que este tipo de texto se circunscribe.*"[29]. Especial atención debe ser acordada, entonces, al aspecto extralingüístico con todos sus componentes socioculturales, durante la traducción de los anuncios.

Además de su adopción en el aspecto lingüístico, la «adaptación[30]» es, también, la técnica adoptada para el traspaso de los elementos extralingüísticos contenidos en los textos publicitarios. En efecto, cada grupo social tiene sus propias convicciones ; sean éstas religiosas, políticas, educativas, artísticas, etc…

Lo que está permitido en una sociedad, puede ser prohibido en otra, lo que es normal en una sociedad, es posible que sea anormal en otra, lo que es sagrado

para una comunidad, quizás sea insignificante para otra, lo que es conducta diaria ordinaria para un grupo social, puede que sea un pecado o un acto vergonzoso para otro, y lo que se suele decir libremente sin tabú en una sociedad, es posible que resulte indignante en otra, etc…. En consecuencia, "*el conocimiento de estas realidades es necesario para el buen desarrollo de la traducción*"[31], la cual debe corresponder a todas las dimensiones culturales del público objetivo.

La adaptación de los elementos extralingüísticos a la cultura del consumidor-receptor permite no sólo evitar malentendidos y conflictos culturales sino que ofrece, a los publicistas, la oportunidad de "*lograr una comunicación satisfactoria de sus mensajes*"[32]. En otras palabras, la realización de adaptación extralingüística es la única vía que permite al publicista así como al traductor (daptador) lograr la satisfacción del público objetivo para que, luego y a lo mejor, éste actúe a favor del publicista ; es decir que adquiera el producto o servicio objetos de publicidad.

En resumidas cuentas, la traducción publicitaria, cuya materia prima es el texto publicitario (el anuncio) se basa en dos aspectos que facilitan su comprensión y asimilación; el aspecto lingüístico y extralingüístico cuyo principal eje común radica en la técnica de adaptación.

Conclusión

La publicidad que es un campo de especialidad multidisciplinar se ha convertido, hace décadas, no sólo en uno de los rasgos principales de la globalización sino también en una necesidad indispensable para la prosperidad de las economías nacionales e internacionales. La publicidad como ciencia, arte y profesión se basa en un proceso comunicativo compuesto de tres elementos ; el emisor, el receptor (el público objetivo) y el texto publicitario (el anuncio).

Siendo la materia prima para la traducción publicitaria, el texto publicitario es de muy típica índole ya que constituye una mixtura de signos verbales, no verbales y audiovisuales. Esta especificidad ha llevado a que la traducción del texto publicitario se realiza a dos niveles ; lingüístico y extralingüístico. El traductor publicitario ; o mejor dicho el adaptador, que desempeña, a la vez, el papel de redactor y publicista, debe ofrecer al receptor un buen y atractivo texto publicitario.

Especial atención debe ser atribuida al procedimiento o técnica de «adaptación» que permite al traductor adaptar el anuncio no sólo con las particularidades lingüísticas del receptor sino también con sus realidades extralingüísticas, las cuales deben ser rigurosamente respetadas, afin de no ofender su cultura y lograr con mucha creatividad la persuasión planificada por el publicista.

Notas bibliográficas

1 La técnica de «adaptación » se traduce en árabe por dos equivalentes «تقنية التصرف» y « تقنية التكييف». Sin embargo, el primer equivalente «تقنية التصرف» es el más utilizado.

2 Cristina Valdés Rodríguez, La traducción publicitaria : Comunicación y cultura (Castellón : Publicacions de la Universitat Jaume I, 2004), pág. 25.

3 Ibid., pág. 123.

4 Domingo Cardona y R. Fernández Besararte, Lingüística de la publicidad el idioma español y la publicidad (Madrid : Ediciones Júcar, 1979), pág. 21-22.

5 Lo que se llama en inglés copywriter.

6 Domingo Cardona y R. Fernández Besararte, OP. Cit., pág. 35.

7 Miguel Duro Moreno, Traducir publicidad o el arte de pasar hambre (Granada : Editorial Comares, 2001), pág. 66.

8 M.ª Victoria Romero, Lenguaje publicitario la seducción permanente (Barcelona : Editorial Ariel, 2005), pág. 67-68.

9 Cristina Valdés Rodríguez, OP. Cit., pág. 99.

10 Miguel Duro Moreno, OP. Cit., pág. 69.

11 Ibid., pág. 79.

12 Aspectos que desarrollaremos en la segunda parte de este artículo.

13 M.ª Victoria Romero, OP. Cit., pág. 92-94.

14 Peter Cheverton, Cómo funcionan las marcas (Barcelona : Eidtorial Gedisa, 2007), pág. 153.

15 Id.

16 Miguel Duro Moreno, OP. Cit., pág. 72.

17 Larousse Conciso ilustrado diccionario enciclopédico (México : Ediciones Larousse, 2001), pág. 946-947.

18 M.ª Victoria Romero, OP. Cit., pág. 83-84.

19 Eduard Bartoll Teixidor, Introducción a la traducción audiovisual (Barcelona : Editorial UOC, 2015), pág. 22-23.

20 Cristina Valdés Rodríguez, OP. Cit., pág. 121.

21 Ibid., pág. 121-122.

22 Patrick Zabalbeascoa Terran et al., La traducción audiovisual investigación, enseñanza y profesión (Granada : Editorial Comares, 2005), pág. 233.

23 M.ª Victoria Romero, OP. Cit., pág. 89.

24 باسل حاتم، "منهج فن الإعلان: خلط النصوص و الحوارات و الأنماط في لغة الإعلان و مغزى ذلك لدى المترجم"، تعليم الترجمة، ترجمة: عبد الله محمد إجبيلو و علي إبراهيم منوفي (لرياض: النشر العلمي و المطابع - جامعة الملك سعود، 2003)، ص 151.

25 Miguel Duro Moreno, OP. Cit., pág. 124.

26 Mathieu Guidère, «De la traduction publicitaire à la communication multilingue», Meta : Journal des traducteurs, vol. 54, n° 3, 2009, P. 418. Disponible en : http://id.erudit.org/iderudit/038306ar.

27 Claude Tatilon, «Le texte publicitaire : traduction ou adaptation?», Meta : Journal des traducteurs, vol. 35, n° 1, 1990, P. 245. Disponible en : http://id.erudit.org/iderudit/004326ar.
28 Cristina Valdés Rodríguez, OP. Cit., pág. 69.
29Patrick Zabalbeascoa Terran et al., OP. Cit., pág. 235.
30 "L'adaptation du message et la prise en compte des attentes culturelles du récepteur sont la règle dans le domaine de la publicité, qui suit une pratique ethnocentrique de la traduction" (Daniela Ventura, «Présent et futur de la traduction publicitaire : entre eikôs et pathos», Meta : Journal des traducteurs, vol. 54, n° 3, 2009, P. 459. Disponible en : http://id.erudit.org/iderudit/038308ar.
31 Patrick Zabalbeascoa Terran et al., OP. Cit., pág. 236.
32 Cristina Valdés Rodríguez, OP. Cit., pág. 70.

Referencias bibilográficas

- Bartoll Teixidor, Eduard. Introducción a la traducción audiovisual. Barcelona : Editorial UOC, 2015.
- Cardona, Domingo y Besararte, R. Fernández. Lingüística de la publicidad el idioma español y la publicidad. Madrid : Ediciones Júcar, 1979.
- Cheverton, Peter. Cómo funcionan las marcas. Barcelona : Eidtorial Gedisa, 2007.
- Duro Moreno, Miguel. Traducir publicidad o el arte de pasar hambre. Granada : Editorial Comares, 2001.
- Guidère, Mathieu. «De la traduction publicitaire à la communication multilingue», Meta : Journal des traducteurs, vol. 54, n° 3, 2009, P. 418. Disponible en : http://id.erudit.org/iderudit/038306ar.
- Larousse Conciso ilustrado diccionario enciclopédico. México : Ediciones Larousse, 2001.
- Romero, M. ª Victoria. Lenguaje publicitario la seducción permanente. Barcelona : Editorial Ariel, 2005.
- Tatilon, Claude. «Le texte publicitaire : traduction ou adaptation?», Meta : Journal des traducteurs, vol. 35, n° 1, 1990, P. 245. Disponible en : http://id.erudit.org/iderudit/004326ar.
- Valdés Rodríguez, Cristina. La traducción publicitaria : Comunicación y cultura. Castellón : Publicacions de la Universitat Jaume I, 2004.
- Ventura, Daniela. «Présent et futur de la traduction publicitaire : entre eikôs et pathos», Meta : Journal des traducteurs, vol. 54, n° 3, 2009, P. 459. Disponible en : http://id.erudit.org/iderudit/038308ar.
- Zabalbeascoa Terran, P./ Santamaría Guinot, L. / Chaume Varela, F. La traducción audiovisual investigación, enseñanza y profesión. Granada : Editorial Comares, 2005.

- حاتم، باسل. "منهج فن الإعلان: خلط النصوص و الحوارات و الأنماط في لغة الإعلان ومغزى ذلك لدى المترجم"، تعليم الترجمة. ترجمة عبد الله محمد إجبيلو و علي إبراهيم منوفي. الرياض: النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود، 2003.